القطعة الثالثة من النصف الاول من شرح الشفا

من البعد لان القذف الرمي من بعيد واصله الرمي بالحجارة يقال هم بين حاذف وقاذف والحذف رمي العصا ثم لم
يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة يعني اصلاب اجداده عليه الصلوة والسلام والارحام الطاهرة من حيث
الزنى وغيره ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة في غاية الحسن لانها مقر الطمث والدم والنطف والارحام
جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة حتى اطرحني من بين ابوي اي ابوي وامي على التغليب المشهور واخراجه
من بينهما تولده منهما اي خلقه من نطفتهما لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء ونحوه من بابه
اذا اراقه اي لم يجتمعا على زنا ولم تلف نطفة احد من ابويه وآبائه في غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح الجاهلية
كما مر وقط ظرف لتعميم الازمنة الماضية يقال ما رايت قط بفتح القاف وضمها وتشديد الطاء وبفتح القاف وتخفيف
الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى حسب فبفتح وسكون ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله تعالى عنه
عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه اشتمل على معناه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو الشعر المشهور الذي اوله
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق الابيات وستاتي بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل
انها لحسان رضي الله تعالى عنه والصحيح الاول وان ذهب ابن عساكر في تاريخه الى الثاني في حديث اخرجه عن ابن
عباس رضي الله عنهما الا انه ضعيف جدا قيل وهذا موضع بحث لانه ان اراد بكونه شاهدا بصحته متنا وسندا
وهو غير لازم وان اراد به صحة معناه فهو غير مفتقر اليه لان كثيرا من الاحاديث دلت عليه وانتقاله عليه الصلاة والسلام
من صلب ادم عقلي ايضا وفيه نظر **فصل** واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فيما تقدم اول الباب
وتدعو بمعنى تقتضيه ويلزم حتى كانه تطلبه منه فهو استعارة في الاصل وضرورة الحياة ما لا بد منه فيها مما يضاد الحراليه
فعلى ثلاثة ضروب جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشيء وفي بعض النسخ فعلى ثلاثة ضرب وفي بعضها اضرب جمع
القلة وهو الانسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الاخر كثيرا كقوله ثلاثة قروء وفيه تفصيل ليس
هذا محله ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه وافرد كلا منها بفصل تفصيلا فاما
ما التمدح اي حسنه بحيث يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم والكمال بقلته اتفاقا شرعا وعادة كما بينه
بقوله وعلى كل حال عادة وشريعة والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يودي اليه العقل اذا خلي ونفسه
وطبعه والشريعة ما امر به الشارع صلى الله عليه وسلم ونهى عنه مما تضمنه الوضع الالهي السابق لذوي العقول
باختيارهم الى الامر المحمود كالغذاء والنوم الغذا بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين وبالمد كل ماكول ومشروب
به قوام البدن مطلقا واما بفتح المعجمة ودال مهملة فما يوكل في اول النهار كما مر والنوم معروف ولم تزل الحكما
والعرب اراد بالحكما حكما اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا قابلهم بالعرب وهم يمدحون قلة النوم والسهر
بما لا مزيد عليه قال في هياكل النور النفوس الناطقة من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية
ومشاغلها وضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فيتخلص احيانا الى عالم القدس ويتلقى
منه المغيبات تمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما تمادح كتفاخر لفظا والمقصود الكثير لا التفاعل وخص العرب
لانهم اكثر الناس مدحا لهذين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة ونفاستها
ولهم حرص عليها وذكر الحكما منهم ومن غيرهم ومدح ذلك لاعتنائهم بالرياضة وقلة التنعم في كل ماكول ومشرب
مع سداد عقولهم وصفا اذهانهم واعتنائهم بمهمات امورهم وعباداتهم وهو ظاهر وورد في الحديث ابغضكم
الى الله كل نوم وقال عيسى عليه الصلوة والسلام للحواريين اجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم

ابن افرس

وقالوا البطنة [illegible] الفطنة [illegible] الى ان تحصى وقال الله تعالى الذين كفروا يتمتعون ويأكلون
كما تأكل الانعام [illegible] [illegible] في شهوة الطعام ومنه الحديث
منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشره [illegible] والحرص والشره اى الحرص على الاكل والشرب
والشرة بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء [illegible] [illegible] وغلبة الشهوة المراد غلبة شهوة للطعام
على تحمله وصبره وعقله [illegible] صلاحه فليس في كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد في الحديث
الحرص والشره داء عضال والحريص [illegible] شهوة وعبد بطنه والحرص قوام الحسد وهو هادم الجسد والحرص
قد يكون محمودا اذا كان في محمود قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وانما مدح قلة الغذا والنوم
اذا لم يفرط حتى يؤدى لضرر بلا ضرورة كما قال واخش الدسايس من جوع ومن شبع. فرب مخمصة شر من التخم
ثم ان ترك من ابتلى بذلك اذا عسر عليه ينبغي قطعه بالتدريج كما في منظومة ابن سينا وكل عادة تضر اهلها فاقطع
بتدريج الزمان اصلها وقوله مسبب لمضار الدنيا والاخرة خبر بعد خبر لان وهو بكسر البا المشددة
اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه اخف واظهر لانه امر مباح لا ضرر فيه دنيوى ولا اخروى بل ربما يترتب
عليه نفعهما كراحة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لو لم ينم اول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث
انه ترتب عليه نفع تارة وضرر اخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشو عنه سبب ضررهما فهو مسبب لسبب فان النوم
قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الاخرة والاكل يكون منه الامتلا وهو سبب للبلادة والشرب
بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضى الى المسبب بالفتح والفضل للمتقدم فمعنى مسبب
موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يودى الى جلب المال وكذا حب المال وكذا حب الدعة
والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال الشاعر وانك ان اعطيت بطنك همه وفرجك نالا منتهى الذم
اجمعا ويقع في بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعها على انه مبتدا وخبر وليس بشىء لان غلبة الشهوة
ليس سببا للمضاد وانما سببها الاكل والشرب كما قاله الانطاكى ثم انه رام المصنف الحذ لك على طريق اللف والنشر فقال
جالب لادواء جمع داء الجسد اى امراضه واسقامه كما هو مشاهد وقال فان الداء اكثر ما تراه. يكون من الطعام
او الشراب فلهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلى المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فيتولد منها
الامراض واجتمع اربعة اطبا هندى ورومى وعراقى وسوادى عند الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم
الدوا الذى لا داء معه فقال الهندى هو الاهليلج الاسود وقال الرومى حب الرشاد الابيض وقال العراقى
الما الحار فقال السوادى وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرققها وهذا
داء والما الحار يرخيها وهذا داء قالوا فما هو قال ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك وانت
تشتهيه وفي الطب النبوى في معناه احاديث كثيرة نحو صوموا تصحوا وخثارة النفس بفتح الخا المعجمة
والمثلثة والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخا عند البرهان الحلبى والاول هو الظاهر لموافقة
العباس كالكفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر انه راجع لكثرة النوم
فانه يورث سيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع في بعض النسخ خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف
من الكاتب وهو مجرور معطوف على ادواء وكذا قوله وامتلا الدماغ بابخرة رطبة تتصاعد عند النوم
ترخى اعصاب الدماغ وتضعفه وتذهب صفا الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ونسيح

نؤم

اهليلج هليله ... بابونس

رجوع

رجوع هذه وما قبله [illegible] لكن يأباه ما بعده من قوله وقلته دليل على القناعة [illegible] عطفا على كثرة
الاكل ويجوز دفعه على [illegible] [illegible] يقنع باليسير [illegible] في [illegible] غنى عن الناس فعز وتخلى
للعبادة وكان من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وملك النفس معطوف على القناعة
اى ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا شبع عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون رحمه الله
ما شبعت الا همت بمعصية والجوع يقمع الشهوات وقمع الشهوة معطوف على القناعة والقمع القهر
اى قهر شهوته وغلبها واضعفها حتى لا تخالفه وما بعده خبر مبتدا مقدر والظاهر انه مبتدا خبره سبب للصحة وصفا
الخاطر وحدة الذهن الخاطر يطلق على ما يخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه وصفاؤه من الكدورة
بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع اقوى واصفى وبه يصل للعارف الربانية
ويلتذ بالمناجات والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد
ان يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل وما بعده والحدة بكسر الحا القوة كبعثه كما ان كثرة النوم
دليل على الفسولة بضم الفا والسين المهملة واللام وهى الرذالة وعدم الهمة في امور الدنيا والاخرة فيا نائم الليل
هنيئة فقبل الممات سكنت القبورا لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح انجامه وان كان بمعنى الجبن
لعدم مجى مصدره على فعولة والضعف اى ضعف القوى والادراك وعدم الزكا والفطنة مسبب هما
متقاربان او الفطنة الفهم والزكا سرعته فقدم نفى الاخص على نفى الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم في الترقى
فيه وعدم الزكا مرفوع مبتدا وخبره مسبب كما في الاصول والاظهر جره عطفا على ما قبله فسبب خبر بعد خبر
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع اما كون كثرة النوم سبب للتوانى من فعل المهم فلتقعد الكسل
فيه وارتخائها بعده فاذا الف ذلك عجز وضاع عمره بلا فائدة كما قال اليس من الخسران ان لياليا تمر بلا نفع
وتحسب من عمرى فتلك لا يعد عمرا لان ما عمر الانسان احد داريه اذا كان راس المال عمرك فاحترس عليه من الانفاق
في غير واجب وقساوة القلب وغفلته وموته لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته وعمايته وموته بعدم ادراكه
لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الاية فالنوم اخو الموت
والشاهد على هذا اى الدليل عليه وانهما يوديان ما ذكر ما يعلم ضرورة اى يعلمه كل احد علما بديهيا ضروريا
ويوجد مشاهدة منه ومن امثاله او ينقل متواترا اى نقلا متواترا بحسب المعنى من كلام الامم المتقدمة والحكما
السالفين المتقدمين على ملة الاسلام من حكما الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم لقول الحارث بن كلدة
حكيم العرب افضل الدوا الانام الى قلة الاكل وقال داود اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس
لاعمالهم واشعار العرب واخبارها كقوله فارب فدتيك ان الملت فان شرب وان غشيتا وانا الكفيل
لك الحياة وان تعافا ما جنيتا وقال قيصر لقس بن ساعدة ما افضل الاكل قال ترك الاكثار وصح الحديث
النبوى مثل ابغضكم الى الله كل نوم اكول شروب وغيره والاثار من سلف وخلف الاثر ما اثر اى نقله عن غيره
فيشمل الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبى صلى الله عليه وسلم وبمن
خلف ما عداهم كالصحابة رضى الله عنهم والتابعين بما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اى طلب شاهد ودليل عليه
وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به الغنى عن التطويل بذكره والاختصار
عند اهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف بلا دليل وعند المحدثين ان يكون للحديث طرق فيكتفى باحدهما

وعادة العجز ... العيش ... بالعبادة ... الجزء

والمراد هنا عدم التصويل اكتفا بشهرة العلم بما ذكر فيهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين اي النوعين
وهما الاكل والنوم بالاقل عنه بالبا وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى التمسك او الاتصاف اي لازم صلى الله
عليه وسلم اقل قليل منهما لما فيه من الكمال والملكة المرضية وان كان لم يشارة القريب تحقيرا لهما نحو ما هذه الحياة الدنيا
وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وما قيل من انه كان ينبغي للمص رحمه الله ان يقتصر على كلامه صلى الله
عليه وسلم فان معه لا يحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشيء فان مراده ان صفاته صلى الله عليه وسلم مما اتفق العقلا
وجميع الامم على حسنها وكونها مرضية محمودة وان كلامه صلى الله عليه وسلم زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرا
كتبهم وكذلك قصص القرآن نظر الصنيعة هذا اي ما ذكر من قلة كلامه ونومه مما لا يدفع اي لا ينكر ولا ينازع فيه من سيرته
اي من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع اي لشهرته وتواتره لا ينازع فيه احد وهو الذي امر به
امته دون ضده وضميره به لهذا او للاقل وحض عليه بحاء مهملة وضاد معجمة اي حث الناس ورغبهم في التخلف
به لما علم من شرفه وكماله لا سيما بارتباط احدهما بالاخر لا سيما بمعنى لا مثلهما والكلام عليه مفصل في العربية ويذكر
بعدها ما هو اولى بالحكم نحو اكرم الناس لا سيما العلما الآن فكونها هذا كذلك خفا لم يتعرضوا له غير ان بعضهم قال
المعنى لا سيما الامر الاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما بالاخر لانه اذا شبع شبعا كثيرا نام كثيرا ففاته خير كثير
يعقبه ندم كبير وهو لا يجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد منهما مذموم مع انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف
اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم احدهما للاخر فان النوم يلزم الاكل وايضا بمعنى مع فما قيل ان لا سيما هنا ليست
على وفق استعمالها ليس بشيء وهو توطية للحديث الاتي المتضمن لتلازمهما ومن لم يفهم هذا قال ان المص استعمل لا سيما
على خلاف ما جاء في قوله ولا سيما يوم بدارة جلجل وقد قال ثعلب من استعملها على خلاف اي على خلاف ما جا
عليه انتهى فهو مخطئ وحذف الواو والمثنى بها وتقديره ولا سيما حض بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي
الصدفي بن سكرة تقدم بيانه بقراءتي عليه بين طريق روايته عنه بانه قرأ على شيخه يسمع الان قراءة الشيخ والسماع
منه اعلى رتبة في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل انهما ارفع وقيل انهما سوا قال حدثنا
ابو الفضل الاصبهاني بفتح الهمزة وكسرها وبالباء والفاء وهي بلدة عظيمة قال صاحب المطالع قيدناها بالفتح
عن جميع شيوخنا قال وقيدها بالكسر ابو عبيد البكري قال واهل المشرق يقولون اصفهان بالفاء واهل
المغرب بالباء وهو احمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى اصبهاني مقر الفرسان لان اصب بمعنى فرس قيل وهو
لا تخلو غالبا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل عليه الصلاة
والسلام فلما رواه امنوا به قد عا لهم بذلك اي بان تجاب دعوتهم كما اجاب دعوته قال حدثنا ابو نعيم
بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثه احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني
الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البنا ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة ثلاثين واربعمائة
وعمره اربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة قال حدثنا
سليمن بن احمد بن ايوب بن مطر الشيباني مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى
به ابوه فرحل به في حداثته وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها عدا بن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة
والبصرة واصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر مسند ابي هريرة
فانه افرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير ومصنفات

آخر

اخر جليلة وتوفي لليلتين من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة وله مائة سنة وعشرة اشهر بقيا وله ترجمة في الميزان
وتصانيفه مشهورة قال حدثنا ابو بكر بن سهل ابو محمد مولى بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي
روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي سنة ست وثمانين ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو مقارب
الحال وقيل ضعيف كما في الميزان قال حدثنا عبد الله بن صالح هو ابو صالح الجهني مولاهم كاتب الليث
روى عن معاوية بن ابي صالح الاتي وموسى بن علي وغيرهما وروى له البخاري واصحاب السنن وهو زاهد
حسن الحديث توفي في سنة مائتين وثلاث وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة في الميزان
قال حدثنا معاوية بن ابي صالح الحضرمي قاضي الاندلس وهو امام صدوق توفي سنة ثمان وخمسين ومائة وله
ترجمة في الميزان ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام ابن معدي كرب هو يحيى بن خالد الطائي قاضي
حمص مات سنة مائة وست وعشرين واخرج له اصحاب السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي
صحابي نزل حمص وترجمته مشهورة توفي سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن واحمد قال
السهيلي معنى معدي كرب وجه الفلاح وفيه لغات الكان يا معدي وثانيها النصب مع فتح با كرب بلا تنوين
لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا
من بطنه وهذا الحديث رواه الترمذي والنسائي وابن حبان واخرجه المص رحمه الله عن الطبراني ولم
يروه عن الترمذي لان سنده لمعجم الطبراني اعلى من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية في رواية الطبراني
وبينه وبينه في رواية الترمذي من احدى طريقيه احد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح في الروايات
اختلاف يسير ففي الترمذي بدل ابن ادم ادمي وبلفظ بطن بلا اضافة وبحسب الاتي بالباء الجارة والوعاء
ظرف الطعام والمراد انه لو عاء اشر منه ولا يساويه في الشر فجعل بطنه كاوعية البيت تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية
زيادة في تحقيره لان امتلاءه يورث البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصي ويحصل له من الامراض ما يفضي
كثيرا ويؤدي الى هلاكه ولا شر اعظم من هذا فحسب منه ما يقيم صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام امور
دنياه فلذا قال حسب ابن ادم وفي رواية المسلم بدون ابن ادم اكلات يقمن صلبه حسب بسكون السين
اسم بمعنى كاف كما يقال اعطيت الرجل ما حسبه اي اعطيته عطا يكفيه وهو مبتدا خبره اكلات بضم الهمزة والكاف
معا والرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع اكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يوكل ويقمن بمعنى يقوين
من قام بمعنى دام وثبت وصلبه بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عمود وفيه النخاع الذي يمد
العصب بالمسك فاذا افرط جوعه ضعف وانحنى صلبه وفي القاموس ما يخالف ما قاله الشراح لانه جوز
في اكلة الفتح والضم واقتصر في جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان اكلات بضم الهمزة جمع اكلة بفتحها وهي
اللقمة فان كان لا محالة بضم الميم والحاء المهملة واللام بمعنى لا بد ولا حيلة كما توفي قوله وكل نعيم لا محالة زائل
اي ان لم يكن صبر على الاقتصار على اللقيمات فثلث من بطنه لطعامه وثلث منه لشرابه وثلث منه لنفسه بفتحتين
وهو الهوا الخارج من الجوف وروى الديلمي طعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة
للخطاب اعتنا بشان من ارشده فيما ارشده اليه وانه لا ينبغي تجاوزه وفي الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز
لما فوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الماء ولاه كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب هذا من كلام المص رحمه الله
لا من الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله ولا على ما عطف والظاهر انه عطف على قوله السابق

بارتباط احدهما بالاخر لان السر[illegible] والعطش في معنى واحد والمراد بارتباطهما ان احدهما يستدعي الاخر فان الاكل
يقتضي الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما من الابخرة الكثيفة الى الدماغ المرخية
له المقتضية لكثرة النوم المستدعي للكسل وذهاب الفطنة وفوات العبادة وفي ذلك ما لا يخفى من الضرر
قال سفيان الثوري بكسر السين وضمها وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبد الله والثوري
نسبة لثور بن مناة وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفي عالم عصره الزاهد المحدث توفي سنة احدى
وستين ومائة وعمره اربع وستون وهو ثقة ولا عبرة بمن تكلم فيه وهو من اقران مالك رحمه الله يملك
سهر الليل بقلة الاكل يملك بضم اليا وفتح اللام مبني للمفعول وسهر مرفوع نائب الفاعل اي يقوى ويقدر
عليه من غير مشقة فشبه قدرته بتمكله فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام بعد ان كانت قاهرة وقال
بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا زاد الغزالي في الاحيا فتخسروا كثيرا وزاد غيره فتندموا
عند الموت لقلة الزاد لان اكل الزاده فضيعة في غير وقته وقد روى عنه اي النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي لما فيه من السخا بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا
الحديث قال السيوطي رحمه الله انه رواه ابو يعلى عن انس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد ولفظه كما قال
الشيخ قاسم في تخريجه له لم يجمع له غدا وعشا وخبز ولحم الا على ضفف وسنده جيد واخرجه ابو عبيد في الغريب
انه صلى الله عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف واخرجه الترمذي في الشمائل عن مالك بن دينار
قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف قال مالك سالت رجلا من اهل
البادية بالضفف قال تناول مع الناس واخرجه الطبراني رحمه الله عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال احب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدي انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة والفائين
اولاهما مفتوحة فسرها المص رحمه الله بما ذكره اهل اللغة وهو تفسير ما ثور كما سمعته انفا وهو من قولهم
بير ضفوف اذا كثر الناس عليها وقال يحيى بن احمد الضففان يكون الاكلة اكثر من الطعام والحفف
بالجيم ان يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة اي لم يكن صلى الله عليه وسلم محبا للترفه في ماكله ولا
مستطابه وفي رواية لم يشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعام الا على ضفف وروي على شظف اي ضيق
وشدة كما علم فالضفف والشظف رويا بمعنى الضيق والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الاكل مع الجماعة
وان قل طعامه وضاقت معيشته والاحاديث في معناه كثيرة كطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين
يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وهو حديث صحيح وقيل الضفف كثرة العيال وقيل قلة الطعام
وكثرة الاكلين ويقال ضف بالادغام وقال ابن السكيت الضف الاكل بالبيد ففيه لغتان وله معان وعن
عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وروي عنها ايضا ما شبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وهذا يقتضي بمفهومه انه شبع بعض الايام
دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما صحيح ويجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق
عند من قال بها كابي حنيفة رضي الله عنه فلا تعارض بينهما بالطريق الاولى او يقال الامتلا شبعا صفة
زائدة على الشبع فالشبع الاعم كان يقع منه صلى الله عليه وسلم احيانا وانما الامتلاء من الشبع فلم يقع اصلا
والشبع مباح عليه محرم على غيره الا للتقوي على صوم الغد او لموافقة الضيف حتى لا يستحيي من الاكل

كما قاله الحنفية وعند الشافعية [illegible] من مال [illegible] لم يعلم رضا[illegible] نفسه مكروه مع ان ما ذكر
من تعارض الحديثين غير مسلم [illegible] ما ذكره [illegible] في الاحيا ايضا عن عائشة رضي الله عنها في تمامه
ودعا يكثف رحمة له صلى الله عليه وسلم لما ارى به من الجوع وامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا
لو تسلفت من الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم
من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم عز وجل فاكرم مابهم واجزل
ثوابهم واجدني اخشى ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص
بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من ان الحق اخواني
واخلائي قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله تعالى وقد ذكر المص رحمه الله صدره فقط وقال
العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجد هذا الحديث فلا يعارضه وشبعا تمييز او مفعول له او مفعول مطلق
وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح البا وتسكن وصوب ابن مكي كسر الشين وسكون البا كما قاله التلمساني ثم انه
ورد في الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان يشبع ويجوع وفي البخاري ما شبع ال محمد قط
وهذا محمول على غالب احواله صلى الله عليه وسلم فان الغالب ينزل منزلة الكل كثيرا وهذا لم يكن
عن احتياج حقيقي لما رواه الترمذي عن ابي امامة رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم عرض علي ربي
ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا
شبعت شكرتك كما قال الابوصيري وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فاراها ايما شمم
فجوعه عليه الصلاة والسلام كان قصدا ولكن يظهر انه عن احتياج تطييبا لقلوب الفقرا وتنزيها من رياضة
اهل الكتاب والحكما كما قال صلى الله عليه وسلم لا رهبانية في الدين وهذا مما ينبغي التنبه له ويجب اعتقاده
والتاسي به فيه فافهم وانه معطوف على ما قبله من قوله انه كان احب الخ وقوله كان في اهله اي اهل بيته
وعايلته وهو حال من فاعل يسال وخبر وجملة لا يسالهم طعاما حال منه وعدم سواله صلى الله عليه وسلم
لذلك لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو اهم منه ولا يشتهاه مضارع تشهى تفعل عن الشهوة وهي الميل الى ما
يستلذ وقيل هي ادراك الملايم من حيث هو ملايم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها وبين الارادة
ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه ويشتهي ما لا يريده كالمريض المحتمي عما يشتهيه والارادة قد تتعلق
بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها كانت
مجازا عن الارادة كما قيل لمريض ما تشتهي فقال اشتهي ان اشتهي وفرق بينها وبين المحبة ايضا فانك تقول
احب الله ورسوله ولا تقول اشتهيهما فالمحبة اعم والشهوة في الاصل تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف
المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله احب الي واشهى الي فجعلوا التي في الاول للتبيين وفي الثاني بمعنى عند وفي كلام
لنا في نكت المغني من باب الهمزة فان اردته فراجعه ثم بين ما ذكر بقوله ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل
وما سقوه شرب يعني انه صلى الله عليه وسلم كان ياكل ما قدموه له اهله ونحوهم من الطعام ويقبله من غير ان
يعيبه وكذا كل ما قدم له من الما يشرب وهذا كان غالب حاله صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما وقع له نادرا
على خلاف مقتضى طبعه كما في مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء فقلت يا رسول الله ما عندنا شيء قال فاني صائم الحديث وقوله يعني اعطوه

نسخة: تسلف [illegible] ابو عبيد [illegible] اللغة

مالغرب وزاد الدلجي قط بعد قولهم السابق لا يسالهم ولم يعرض بنيا المجهول على هذا بحديث بريرة رضي الله
عنها اي على هذا المذكور من عدم سؤاله لما ذكر وبريرة بفتح الواحدة وراء مهملتين اولاهما مكسورة بينهما
مثناة تحتية من البر بمعنى مبرورة او بارة وهي بنت صفوان وهي قبطية وحبشية عند الذهبي مولاة عايشة رضي الله
عنها اشترتها من عتبة ابن ابي لهب وقيل من بني كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها اخرجه مالك
في الموطا عن القاسم بن محمد عن عايشة رضي الله عنها ورواه الشيخان وهو قالت عايشة كانت في بريرة ثلاث
سنن وكانت احدى السنن انها اعتقت فخيرت في زوجها وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الولاء لمن
اعتق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل بيته والبرمة تفور باللحم خبزا وادما من ادام البيت فقال
الم ار البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق به على بريرة وانت لا تاكل الصدقة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان هذا اللحم باهدائها اياه
انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة وانما الذي حرم عليه ما تصدق به على نفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان
ما تصدق به من شيء يثبت له حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشيء ان يبيعه من غني فقد سالهم صلى الله عليه
وسلم الطعام واجاب عنه المص بقوله الاتي فاراد بيان سنة فان سؤاله لمقتض والمنع السؤال بغير مقتض وقوله
الم ار البرمة بضم الموحدة وسكون الراء وبالميم وهي عند العرب قدر منحت من الحجارة وقيل اعم من ذلك
فيشمل النحاس والحديد وغيرهما فيها لحم الضمير للبرمة لانها مؤنث كالقدر الا ان تانيث الثانية سماعي
واللحم بسكون الحاء المهملة وبفتح وقد قيل انه لغة مطردة في كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبغل والبحر
والكحل والنحل وانكره البصريون اذ لعل سببا سؤاله ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادهم اي اعتقاد
عايشة المخاطبة وغيرها من الناس فذكره تعليما انه اي اللحم بسبب انه صدقة من الاصل لا يحل له صلى الله عليه
وسلم كالصدقة عليه بالذات فاراد بيان سنة اي طريقة المشروعة له وهي جواز اكل الهدية وان كانت صدقة
على مهديها اذ راهم لم يقدموه اي اللحم اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به اي لا يخصون انفسهم ويقدموها
عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الطعام وغيره فصدق بتخفيف داله ويجوز تشديدها عليهم ظنه بالنصب
اي صدقه في ظنه جهلهم فهو متعد بنفسه او على الحذف والايصال كما في صدق وعده او بالرفع على انه فاعل
اي تحقق ظنه او وجد صادقا في جهلهم ذلك وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية
وهذا جواب التحسين فان الرجل اذا رد طعاما اهدي اليه فسال عنه وطلب ان يوتى به لا يذم وانما لا يسال
عما غاب من طعامه ويبحث عنه واتى بالعلاوة للترجي لانه لم يجزم وتقدم جواب اخر وهذا الحديث
يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله عليه وسلم لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسوا فيه صدقة
التطوع والفرض كالزكوة وفي حل التطوع قول لك فيه وكذا اهل بيته وقيد ما يحرم عليه الصدقة
العامة كماء السبيل والابار المسبلة وهل ذلك حرام على سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام او خاص
به صلى الله عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه به صلى الله عليه وسلم وفي الاحاديث ما يدل عليه
ونقل عن ابي حنيفة رحمه الله جواز الصدقة على اهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت
المال كما نقله الطحاوي وهو وجه عن ان فيه ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنوا المطلب بخلاف غيرهم من قريش
والازواج رضي الله عنهن وفي حكمة لقمان بن عنقاء بن سيرون واسم ابيه تاران وقيل غير ذلك وقيل

انه ابن اخت داود عليه الصلاة والسلام وعنه اخذ الحكمة وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاصح انه
حكيم وقد جمعت حكمه في كتاب مستقل مسند والمراد بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هذا هو المذكور
في القران وكانت تجري على لسانه لما اتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو ولي عند الاكثر ونبي عند بعضهم وكان
عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال او خياطا او راعيا وقيل نوبي وقيل انه تلميذ لالف نبي وهو غريب
وهو من اهل ايلة وقيل انعم وقيل اشكم وقيل ماثان وقيل انه ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل انه كان
في زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول وقيل بعد عيسى عليه الصلاة والسلام والقول
بانه على الفترة غلط من لقمان بن عاد يا بني بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة
وميم على الاصح وقيل غيره كما مر اذا امتلات المعدة قامت الفكرة المعدة بفتح الميم وكسر العين وبكسر الميم
مع سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش للبهايم والحوصلة للطير والفكرة والفكر قوة مدركة
في الدماغ عند من اثبت الحواس الباطنة في بطون الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هي قوة للنفس
تدرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها او شبهت الفكرة بشخص واثبت
له النوم على طريق المكنية والتخييلية وكذا على الثاني او المراد نام صاحبها فان النوم مبطل للحس والادراك
والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغل بطنه عن مهماته ومثله ما ورد في الحديث لا تميتوا القلوب
بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء فيدير عما يهمه من العلم النافع والعبادة
والجهل يستعار له الموت كما قيل لا يعجبن الجهول بزته فذاك ميت وثوبه كفن وخرست الحكمة هو الذي
قبله في الاستعارة ونحوها اي خرس اللسان التي تجري عليه والحكمة النطق بما فيه كمال النفس واقتباس العلوم
النظرية والملكات التامة والافعال الفاضلة اي تركت ذكرها واكتسابها وقعدت الاعضاء عن العبادة
اي كسل صاحبها فلم يستعملها في عبادة الله بان يعطل بدنه من القيام لها واللسان من ذكرها والقلب عن فكرها
وهكذا فتنبه ترك بالقعود او استعمله في لازمه ونحوه مما مر فقسه على ما قبله قال سحنون الفقيه المالكي وهذا
لقبه واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي قاضي افريقية وكنيته ابو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضي
فتحها وقال ان الضم زعمه بعض الفقها وعليه ابن الحاجب في الشافية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون
كحمدون وهو مختص بالعلم لندور فعلول وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلول
بالنون وهو اولى لكثرته في الاعلام كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر
كثير الحركة في الاصل وقيل هو البلبل وادرك مالكا ولم يقرا عليه وقرا على ابن القاسم واشهب وهو واضع
كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له ما لم ينله غيره وولد في رمضان سنة ستين ومائتين
ومات لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهي
الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة او هو مصروف ان كان فعلولا وقال التلمساني وقع
في نسخة العزفي هنا ذو النون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل الفيض بن ابراهيم
المصري فيمكن ان يكون احدهما روى عن الاخر لانهما في عصر واحد لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع المضادع
بقيد الاستمرار التجددي اي من يكون دابه كثرة الشبع يكثر نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولا يليق
به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة كما تقدم ولانه يشتغل باصلاح ماكله وكسب مال يحصله فيفوته العلم وكل خير

وفي صحيح الحديث الذي رواه البخاري وغيره [illegible] يريد المص بصحيح الحديث كتاب البخاري لان الصحيح غلب عليه اما انا فلا اكل متكئا هذا الحديث في الصحيحين مروي بروايات مختلفة منها ما ذكره المص ومنها انى لا اكل متكئا ومنها لا اكل وانا متكئ قال الكرماني هذا ابلغ في الاثبات والاول ابلغ في النفي فقيل على المراد انه اكثر مبالغة لا ابلغ ووجهه ان متكئ اسم فاعل فيه ضمير مستتر قد اسند الاتكاء اليه مع اسناده معه الى انا فهو ابلغ في اثبات الاتكاء لتكرر اسناده وان لم يكن متكئ مع فاعل جملة بخلاف لا اكل متكئا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو في النفي ابلغ وعندي ان الثاني ابلغ لنفي القيد والمقيد انتهى اقول هذا كلام لا محصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرماني بالنفي والاثبات نفي الاكل في حال الاتكاء واثباته للاكل في حال عدم الاتكاء الذي يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال المفردة والجملة فان النفي في الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضي نفيهما والثانية لا تقتضي ذلك نحو وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فانه يقتضي انهم يعذبون بعده كما مر ويقتضي هذا انه ياكل اذا ذاك الاتكاء وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما اخرجه ابن ماجه بسند حسن وهو ان اعرابيا اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه ياكل فقال له الاعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له اي لاجل الاكل والتقعدد تفعلل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود لا انه قيل انه لم يوجد منه هذه المادة تفعلل والمص نقله مما يقوله بمنزلة ما يرويه وللجلوس انواع بينها الثعالبي في فقه اللغة في الجلوس له اي لاجل الاكل كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته من ارض وفراش ونحوه والتربع يكون بمعنى النزول في الربيع وجعل الشيء رباعيا ونوع من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط اربعة من اعضائه الساقين والوركين مع انضمامهما على هيئة معلومة وقوله من تمكن الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان اي تثبته في المكان والاعتماد بمعنى الاتكاء كما في الصحاح وهذه اشارة الى ما ارتضاه في تفسير الاتكاء فان اهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى انه الميل الى احد جانبيه مع اعتماده على شيء كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابي وتبعه المص رحمه الله الى انه الاعتماد على ما تحته في غير ميل كما بينه هنا كما ياتي تحقيقه ثم اشار الى وجه كون الاتكاء بهذا المعنى في حال الاكل لم كان غير محمود فقال والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل اي يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضي تناوله ويستكثر منه اي يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كانه يطلب من نفسه الاقبال عليه وقوة شهوة لغلبة حيوانيته والنبي صلى الله عليه وسلم لاعراضه عن مثل وتناوله منه مقدارا ضروريا بسرعة وانما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا المستوفز الذي لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على اوفاز اي على سفر كما قلت في الفصول القصار من كان في الدنيا على اوفاز استراح لتهنيه بعيشه اوفاز والاقعاء بقاف وعين مهملة والف ممدود لها تفاسير والمعروف منها اثنان احدهما ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره وربما يكون مع وضع يديه على الارض مع اقعنساس شبيه جلوس البدوي المصطلي والثاني ان ينصب قدميه واضعا على عقبيه اليتيه ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذه التحيات فهي رخصة في الصلاة اذا رفع راسه من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان عليه العبادلة وكرهه الحنفية واما الاول فمكروه بلا خلاف في الصلاة واما اقعاؤه صلى الله عليه وسلم للاكل ففسر بالصاق مقعده بالارض

ناصبا فيه

ناصبا فيه وهو الاحتقاد وقال التجاني ان قول المص رحمه الله ان جلوس النبي صلى الله عليه وسلم للاكل مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له في كل احواله والذي ورد في الحديث انه اكل مرة هكذا كما قال انس رضي الله عنه رايته صلى الله تعالى عليه وسلم اكل مرة مقعيا لا وجه له لان ما قاله المص هو المصرح به في عامة الكتب ورواية انس رضي الله عنه مرة لا تصلح سندا للنفي في غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله عليه وسلم من الاتكاء في اكله لانه من الكبر والترفه الذي ينزه طبعه عن الميل له ولانه يفضي الى الميل الى ما يستدعي الكثرة في الاكل اذا تربع وهل كان الاكل متكئا مكروها في حقه صلى الله عليه وسلم كسائر الامة او حرام عليه وان ذلك من خصايصه ذهب الى الثاني بعض الشافعية والاصح الاول واختياره صلى الله عليه وسلم غيره دائما لا يدل على حرمته ويقول انما انا عبد الله لا ملك لاختياره العبودية التي هي اشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والاطراء المبالغة في المدح والى هذا اشار الابوصيري رحمه الله تعالى بقوله دع ما ادعته النصارى في نبيهم ٥ واحكم بما شئت فضلا فيه واحتكم وهذا من تاكيد المدح بنفيه اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد في حال الاكل وغيره تواضعا لله فلا يمد رجليه عند جلسائه تكريما وتعظيما لعباد الله وارشادا لغيره ولا يعبوء بترفع ذوي الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم وبه اقتدى خلفاؤه رضي الله عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فادبهم انما هو معه وسياتي الكلام ايضا على هذا الحديث عند ذكر المص له في قوله فصل واما تواضعه وقد ضيف بعض المشايخ بعض الامراء وهيا له محلا ينام فيه فلما دخل وجد فيه مصحفا فلم يزل قائما على قدميه الى الصباح فلما اتاه رب المنزل راه قائما فقال له لم لا تجلس فقال له كيف اجلس وانام في محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار سلطانا واستمر الملك في عقبه الى الان فلما طغوا وتكبروا حتى طلب بعضهم سجود الناس له قصمه الله تعالى وصار ملكهم على شرف الزوال ومالك الملك يوتيه من يشاء وليس معنى الحديث في الاتكاء المذكور سابقا الميل على شيء عند المحققين من اهل اللغة والحديث بل هو ما مر وهو احد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل تكأة مثل تودة كثير الاتكاء واصله وكاه والتكأة ايضا ما يتكا عليه وهو المتكا قال تعالى واعتدت لهن متكا قال الاخفش هو في معنى مجلس وطعمة حتى اتكاه اي القاه على هيئة المتكئ واوكات فلانا نصبت له متكا وفي نوادر ابي عبيد اوكات عليه اي توكات انتهى وكذا قوله غيره فهو واوي من الوكاء واصل معناه الشد والمعتمد على شيء يتقوى ويشتد به فالاعتماد حالة الجلوس على الارض او غيرها متكئا والمائل على احد شقيه المستند الى الارض او الوسادة متكئ ايضا فكلا التفسيرين صحيح والمراد به في الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين او المشهور في الاستعمال فحيث طابق الوضع كان الظاهر فرد المص رحمه الله لم يصادف محزه واكثرهم على خلافه الا الخطابي والحق احق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما هي الاعتماد الحسي فالمتربع معتمد والمائل معتمد على احد شقيه فلا خطا في كلا التفسيرين لمن له معرفة باللغة فالتحقيق خلاف ما ادعاه المص رحمه الله من التحقيق وانما جعل النبي عليه الصلاة والسلام هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن فيكون مستوفزا مستعجلا والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها فنظري انما هو لعبادة الله وتبليغ اوامره فلا التفت اليها وانما تناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وفيه نكتة اخرى تدرك بالذوق اي انه

مهتم بذلك لا بالاكل والشرب كالبهايم وكذلك اى كقلة اكله وشربه وعدم ترفهه فيهما نومه صلى الله عليه وسلم
كان قليلا بيان لوجه الشبه شهدت بذلك اى بقلة نومه صلى الله عليه وسلم ودلت عليه الاثار الصحيحة اى الاحاديث
الصحيحة المسندة فى كتب الحديث التى اغنت شهرتها عن ذكرها كاملا وهذا كان اكثر حالاته صلى الله عليه وسلم وربما
خالف هذا احيانا اذ قد ورد ما يؤذن بان نومه زاد على يقظته او ساواها لحديث النساى عن انس رضى الله عنه
قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رايناه ومع
ذلك اى مع قلة نومه غالبا فقد قال صلى الله عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى فنومه صلى الله عليه وسلم ليس
كنومنا بل هو يقظة فكانه لا نوم له اصلا بحسب الحقيقة فقلبه صلى الله عليه وسلم مستيقظ دائما مدرك لما لا يدركه
غيره فى يقظة ولذا كانت رؤياه صلى الله عليه وسلم قسما من الوحى لاتصاله بعالم الملكوت فى نومه وكذلك سائر الانبيا
عليهم الصلوة والسلام تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة للامة وهذا ايضا باعتبار غالب حاله
فانه صلى الله عليه وسلم نام هو واصحابه مرة حتى فاتتهم صلاة الصبح وادركهم حر الشمس وقد اجيب عنه ايضا
بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما تدركه العين النائمة وانما يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا ذهب
بعض الفقها الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه وبانه شغل الله تعالى قلبه الشريف بمشاهدة ملكوته مع نومه عنه
فلم تدرك خروج الوقت للتشريع لامته وقدم الكلام على ذلك كله وكان نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم اى استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن
وتماسكه بظهره فكان صلى الله عليه وسلم من عادته انه اذا نام نام على شقه الايمن وحكمة ما ياتى ان القلب
مايل الى جانب اليسار فاذا نام المرء على يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه واذا نام على يمينه تعلق
القلب ولم يسترح فيخف نومه ويكثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب فى جانب اليسار ليعادل
الكبد الذى فى جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه صلى الله عليه وسلم من التيامن فى اموره لما فيه من اليمن لفظا
ومعنى وما قيل من انه حال امتهان لا اتكاء على الجانب الذى ينام عليه لا وجه له فان فى النوم راحة تعين
على العبادة فلا اتكا عليه كالاتكا على اعضا السجود وكذا ما قيل انه صلى الله عليه وسلم مع قوة روحه
ويقظة قلبه غالبة لنومه غير محتاج للاستظهار عليه وانما هو للتيمن والتشريع فان القوى اذا تقوى كان شديد
القوة والنوم امر طبيعى فى جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هى الحالة الغالبة فالتقوى احترازا عما يعرض
نادرا لانه اى النوم على الجانب الايسر اهنا افعل تفضيل مهموز الاخر من الهنى اى اسهل والد والهنى ما اتاك من غير مشقة
فالنوم على الايسر ايسر وفعله هنو بالضم ويكسر هناه قيل انما جعل الطايف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة
واجعل افئدة الناس تهوى اليهم فجعل جانب القلب واعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب
السيات واليمين محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين لتنقلب
ضده وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت من ثنيته كذا من ناحية باب بنى شيبة
فيبقى ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصا فيمينه يسارك ويسارك يمينه
والذى يلاقيك من البيت وجهه وهو الباب لان باب كل شى وجهه والادب ان يوتى الكبير من قبل
وجهه ولهذا ابتدى بثنية كذا والاصل فى القربة اليمن ولو ابتدا بالحجر وجعل البيت على يساره فكان قد
ابتدا بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدا بالحجر وجعل البيت على يمينه ترك الادب ويمين البيت

الحايط

الحايط الذى من ركن الحجر الى الطرف الاخر وغيره ما يقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق وقوله لهدو القلب تعليل
لكونه اهنا اى لراحته واستراحته لسكونه والهدو بمنزلة السكون وهو مهموز الاخر وتبدل الهمزة واوا وتدغم
وتسهل ايضا وهو قريب من الهنو ولامهما همزة فى الاصل وما يتعلق به اى وتهدو علاقته الذى تعلق به ونياط
وكلاهما من الاعضا الباطنة اى الموجودة فى داخل الانسان حينئذ اى حين نومه على جانبه الايسر فيستدعى ذلك
اى يقتضى ذلك الهدو ويستلزم بحسب الطبع الاستثقال فيه اى ثقل بدنه فى نومه وغلبة النوم حتى يستغرق
فيه وهو جواب اذا ومسبب عما قبله والطول اى طول نومه وطول زمان بطالته واذا نام النائم على جانبه الايمن
تعلق القلب وقلق اى لم يستقر ويطمئن فاسرع الافاقة اى التيقظ من نومه ولم يغمره بفتح اليا وسكون الغين
المعجمة وضم الميم وجزم الراء المهملة الاستغراق فى النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا وغمره
له بتغطيته وشدة استيلائه عليه من غمر الما اذا علاه فهو استعارة كما اشتهرت الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق
مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مايل طرفه الاسفل الى اللسان لتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل
الجسم فان الحرارة كلها فى الايمن لكون الكبد فيه فصل والضرب الثانى مما تدعو ضرورة الحياة اليه وهو
الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده اذ فيما قبله يتمدح بقلته وبضدها تتميز الاشيا وهو ما يتفق التمدح
بكثرته يتفق اما من قولهم اتفق كذا ووقع اتفاقا اى وقع من غير قصد لصاحبه او من الاتفاق وهو اجتماع
الكلمة فالاصل ما يتفق الناس على التمدح بكثرته اى كثرة المدح وقوته والمراد بالاول لان صاحبه لم يقصده
ولم يقصد مدح الناس له بسببه وان كان قد يقصد ذلك والتفخر بوقوعه اى الافتخار بكثرته دون قلته ووجوده
فانه موجود فى كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ منه بالحظ الاوفى الاوفر كالنكاح
اى الجماع فانه يطلق عليه وعلى العقد كما مر والمراد الاول والجاه وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ
الكلمة والاشهاد بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة واصله وجه فقلب واعلم كما مر اما النكاح فيتفق عليه
اى فى مدحه وشانه اتفق العلما واصحاب البصيرة والتمييز شرعا كما سياتى بيانه وعادة فيما اعتاده الناس
وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا وما بعده على التمييز او المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش
فقال فانه اى النكاح دليل الكمال فى الخلقة والجسم بقوته واعتداله وصحة الذكورة الظاهر انها مصدر
كالصعوبة والانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته ايضا الا ان الاول اولى وصحة
الذكورية بمعنى قوتها كلا منها من الضعف والافة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة للناس معروفة بينهم لا تنكر
والتمادح به سيرة اى طريقة ماضية اى قديمة او نافذة مقررة من مضى الامر اذا قضى وقرر واما الشرع فلانه
ماثورة اى هو فى الشرع امر مسنون منقول فى اثار السلف والاحاديث الصحيحة اى المراد انه طريقة مشهورة
قال الراغب سنة النبى طريقته التى كان يتحراها وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما وهو حديث صحيح رواه
البخارى افضل هذه الامة اى افضل امة الاجابة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة اكثرها
نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم بمعنى ان المراد بالافضل فى كلامه هو النبى صلى الله عليه وسلم لانه ابيح له جمع
ما فوق الاربعة وهو من خصايصه صلى الله عليه وسلم دون امته فدلت الاكثرية على تعينه لهذه الافضلية
ولذا عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل التصريح وهو وان كان افضل من ان اجل واعلى من ان
يقال انه افضل منهم مع انه لا فائدة فيه بادى الراى الا انه رضى الله عنه قصد الحض على النكاح

والا كنا دمنه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه لما ساله الك ذو جة
فقال لا فقال له تزوج فان خير هذه الامة من كان اكثرها نسا وفي صحيح البخاري كما مر ولا بد من جعل
النبي صلى الله عليه وسلم داخلا في الامة على ما ياتي لان افضل التفضيل في الاصل انما يضاف لما هو بعضه
وان جاز يوسف احسن اخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغني عن ذكره
وهذه الكثرة باعتبار ما ابيح له صلى الله عليه وسلم بعد التزوج من شان يجمع في وقت واحد عند عدة
لا يجوز الا بجرد الدخول والعقد فانه ثابت لغيره ايضا وكان اللاتي تزوج صلى الله عليه وسلم بهن
باجماع اهل السير احدى عشر امراة ستة من قريش واربع من سائر العرب وواحدة من بني اسرائيل
من نسل هارون عليه الصلاة والسلام وهي صفية بنت حيي وسياتي لذلك مزيد بيان واما التي اختلف
فيهن ممن فارقها او عقد عليها ولم يدخل بها او خطبها ولم يقع عليها العقد فاختلف فيهن وفي سبب
فراقهن والذي ذكره بعضهم انهن سوى من تقدم سبع فالجميع ثمان عشرة امراة غير السراري ويمكن
ان يكون المراد بالامة ما يشمله صلى الله عليه وسلم وامته ولا بعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح لما فيه من الفوائد
كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما لا يشغل عن القيام باوامر الله تعالى مع امتثال امر الله كقوله
تعالى خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وفي ذلك تسبب للالفة والمودة وايصال القرابة ولان
فيه تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الا النسا ولما فيه من اظهار معجزته لقوة قدرته على الجماع مع قلة اكله
وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تقيده بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك مما لا يحصى
وقد عد من النسك والعبادة بل قيل انه افضل منها احيانا وهو من اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وتركه للقادر عليه مكروه الآن يحوجه لكسب ما لا يقدر عليه وارتكاب محظور كما في اخر الزمان ولذا ورد
خيركم الخفيف الحاد الذي لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة فيخرج سليمن وداود عليهما الصلاة
والسلام فانهما كانا اكثر منه صلى الله عليه وسلم نساء وفيه تامل وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا
فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة ووقع في بعض النسخ تناكحوا فاني مباه بكم الخ بدون تناسلوا والتناكح
تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان يراد لينكح احدكم بنت غيره
وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذراري
او المراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا انسب بالمقام وبما بعده وتناسلوا اصله تتناسلوا بتائين
في اول المضارع وحذفت على القياس في كل تائين في اوله او هو امر بدل مما قبله وبتقدير العاطف والاول اولى
لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله فيحتاج الى تاويله باطلبوا التناسل واحرصوا عليه بان تنكحوا غير
العقيمة والايسة من الولد بان يعلم ذلك منها ان كانت ثيبا او تكون الظاهر ذلك منها اشبابها ففيه نهي عن نكاح
العجايز من غير داع وشارة الى انه ينبغي ان يكون المقصود من النكاح مع قمع الشهوة وجود ذرية تعبد الله
وتحصل بها كثرة الامة والمباهاة المفاخرة وهي على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة او تجعل مسرة لهم
ورؤية غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اتي يوم القيمة
بمثل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة عليهم الصلاة والسلام لما جاء مع محمد اكثر مما جاء مع الامم والانبياء
وهو صلى الله عليه وسلم اكثر الناس امة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده المؤيدين لدين الله ففيه فخر عظيم

وهذا الحديث اخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف الا انه حسن لكثرة متابعته لفظا ومعنى فانه رواه
الطبراني في الاوسط من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار
رضي الله عنه تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة ونهى صلى الله عليه وسلم عن التبتل كما رواه
الشيخان عن سعد بن ابي وقاص والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو
اذن لنا لاختصينا فهذا هو النهي الذي كان استاذنه في التبتل فرده ونهاه عنه وروي ان جماعة من الصحابة
فيهم علي كرم الله وجهه لما راوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قالوا
نلزم الصوم والعبادة ونترك نساءنا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك والاختصا
الشق على الانثيين وانتزاعهما وهو التبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية
ويقال رجل بتول وامراة بتول اذا انقطعت عن الرجال ولذا قيل لمريم البتول واما فاطمة الزهراء رضي الله
عنها فسميت بتولا لانقطاعها عن الدنيا وزهدها ولانقطاعها لعبادة الله تعالى او لانقطاعها عن نساء زمانها
فضلا ودينا وحسبا واما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا للحديث لانه بمعنى اخر اي انقطع في الليل لعبادة الله
تعالى والتهجد واخلص له واقرا القران وورد النهي عنه اي عن موافقتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية
واما قوله لو اذن لنا لاختصينا فلا يدل الاختصاص ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى اخر كما سمي الصوم
وجا وهو جائز في البهايم في صغرها لغرض تسمين الماكول وهو في الادميين حرام لانه مثلة ويكره استخدام الخصي
ويمنع من دخوله على النساء ثم ان النهي عن ترك النكاح للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب
فالنهي على ظاهره قال التجاني المتاخرون من المالكية يجعلونه في حق بعض الناس واجبا وفي حق بعضهم مندوبا
وفي حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا نوع من القياس يسمى القياس المرسل وهو الذي ليس له اصل
يستند اليه وانما هو لاقتضا المصلحة وقد انكره كثير من العلما والظاهر من مذهب اصحاب مالك القول به انتهى
مع ما فيه اي في النكاح او في التبتل وقيل الاول متعين بقرينة ما ياتي من قمع الشهوة اي قهرها والغلبة واصله
ضرب الراس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنسا وغض البصر اي خفض البصر
وتغميضه عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر كانه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يشفق
لا مر يغض عنه عينه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة او كناية اللذين نبه عليهما صفة لقمع الشهوة وغض
البصر بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن عايشة رضي الله عنها الا ان في سنده
مقالا وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج واخرجه الطبراني بلفظ المص بدون فانه الخ او من كان
ذا طول بفتح الطاء المهملة وسكون الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته
واهله بحيث لا ينظر الى مال المراة وغيرها فانه ورد في الحديث ايضا لا تنكح المراة لمالها فلعل مالها ان يطغيها
ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن في النسا مثل الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا
نهي ارشاد لا تحريم وورد في الحديث استوصوا بالنسا خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعلاه اعوج فان
اردت تقيمه كسرته وقد نظمه القايل حيث قال هي الضلع العوجا لست تقيمها ۝ الا ان تقويم الضلوع انكسارها
اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى ۝ اليس عجيبا ضعفها واقتدارها ۝ ومنه اخذ المنصور قوله اذا نعمت

مطلب

القياس المرسل

عرس وانت تجهها فدع بحارا هوالة تنزا الموجا ولا تطمعن الدهر في ان تقيمها فقد خلقت في الاصل
من ضلع عوجا فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج اى فان التزوج اكثر حملا على غض البصر وكفه
عن النظر لما يحرك الشهوة واكثر تحصينا اى حفظا للفرج عن الزنا والمفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بمنع
الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان في التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه افضل من التزوج دفعه
بقوله حتى لم يعد اى التزوج والنكاح العلما بالدين والشرع مما يقدح في الزهد القدح والطعن في الشئ ذكر عيوبه
اى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة وقوله في الزهد اى بترك الدنيا ولذاتها
لانه ما ذكر من جملة التلذذ لان القصد به التعفف والنسل وهذا مروى عن ابن عمر رضى الله عنهما فانه قال
ليس في التسرف ولا في تركهن عبادة وزهد كما في تحفة العروس للتجانى قال سهل بن عبد الله التسترى
وقد تقدمت ترجمته فقد حبب بالبنا للمجهول والتشديد الى سيد المرسلين اى خلق الله فيه محبتهن والضمير للنسا فكيف
يزهد فيهن اى اذا كان الله جعل حبهن مركوزا في جبلة من هو ازهد الخلق صلى الله عليه وسلم فكيف يدعى احد
ان تركهن زهد وفي سراج المريدين في قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
واجعلنا للمتقين اماما ان هذه الاية تدل على ان فضلا لتزوج على العزوبة لبقاء الذرية ودعائها الذى
هو عمل لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه افضل في حق من يقتدى به الناس ونحوه اى مثل المروى عن التسترى
مروى عن ابن عيينة علم منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفي احد الائمة الاعلام الامام
الحافظ روى عن كثير كالزهرى وابن دينار واحمد والزعفرانى وروى عنه خلق كثير واخرج له اصحاب الكتب
الستة وكان يسكن مكة وتوفي في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ومولده سنة سبع ومائة وكان اعور وترجمته مشهورة
وهو من تبع التابعين ادرك منهم ستة وثمانين نفسا وقد كان زهاد الصحابة رضى الله عنهم كثيرى الزوجات
والسرارى كثيرى النكاح كثيرى بيان اصله كثيرين بصيغة الجمع فحذفت نونه للاضافة يعنى كانوا يكثرون
من النسا حرائر واماء وانهم كانوا يطلقون كثيرا فتكثر زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله التجانى وكان عند على
كرم الله وجهه اربع نسوة وتسع عشرة وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة رضى الله تعالى عنها حتى ماتت وولد له
منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفي صغيرا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى سماه محسنا كما ذكره
الدارقطنى والحسن رضى الله عنه كان من اشد الناس حبا للنسا وكان مطلاقا قيل انه ارخى ستره على مائتى حرة
والسرارى بتشديد اليا وتخفيفها جمع سرية بالتشديد والسرية هى الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل
الوطى حتى ان من جعل بيد زوجته عتق كل سرية لم يكن لها عتق التى لم يطاها زوجها وهى منسوبة الى السر الذى
هو الجماع او الاخفا لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب كما قيل في النسبة للدهر دهرى
بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسرها فابدل احدى رائها يا كما قالوا تظننت وتظنيت وضم سينها
لازم ولذا قيل عليك بضم صدر السرية والتسرى كنه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بالسرارى فانهن
مباركات الارحام وقد تسرى الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضى الله عنهم وحكى بالبنا للمجهول
في ذلك المذكور من التزوج والتسرى وكثرته عن على كرم الله وجهه والحسن ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك
ولذا قدمه لا الحسن البصرى فانه لم ينقل عنه مثله وابن عمر وغيرهم من الصحابة غير شئ هذا هو نائب فاعل اى حكى
عنهم اشيا كثيرة في ذلك الاشيا واحدا وابهمه لكثرته كما في قوله وقد ذكره غير واحد من السلف الصالحين ان نلقى الله

يموت لان لقا الله عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء
الملاقاة واصل معناه مقابلة الشئ ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما عزبا بفتح العين المهملة والزاى
المعجمة والبا الموحدة هو الذى لا امرأة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامرأة عزبة وعزب عنه
علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروى عن ابن مسعود رضى الله عنه فقد حكى عنه انه كان يقول لو لم
يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لئلا القى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله
في الطاعون وكان مطعونا ايضا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله عزبا اى بعيدا عن النسا وقال
في الدرة العزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمراة عزبة ولا يقال للرجل اعزب بالهمزة او هى لغة قليلة
وفي التقريب قال ابو حاتم لا يقال اعزب قال الازهرى واجازه غيره وورد في الحديث في مسلم
ما في الجنة اعزب قال النووى هو في جميع نسخ بلادنا بالالف وهى لغة مشهورة وما وقع في بعض النسخ
من تقييد عزب بسكون الزاى بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول في كتب اللغة فان
قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا جعلهما لشهرتهما وشهرة اتصافهما
بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حتى اشار اليهما ويحيى وزكريا بلغاتهما عجميان وقيل انه عربى مشتق من الحياة
لا كالمفازة بل لان الله احيا قلبه بانوار النبوة الذاتية والمكتسبة من زكريا لانه اول من امن به وفي النبوة
والفضائل المكتسبة منه فقال انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبى لم
يسم احد قبل يحيى بذلك فاحيى الله به دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحى اسما كما
اشتق اسم سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان هو وعيسى ابنى خالة وكانت
امه تقول لمريم انى اجد الذى في بطنى يسجد للذى في بطنك كما يانى ويحيى اكبر من عيسى وفي مقدار عمره
اختلاف فقيل مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين اثنين وسبعين واما زكريا فمن ذرية سليمان عليه
الصلاة والسلام وكان اخر من بعث في بنى اسرائيل قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ولما اراد بنو اسرائيل
قتله فر منهم فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان هدب ثوبه فلما راوه نشروا الشجرة حتى قطعوه
في جوفها واما يحيى عليه الصلوة والسلام فقتل بسبب امرأة اراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى انها لا تحل
لك لانها بنت امرأتك فتوصلت لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام فكان دمه يفور
حتى قتل منهم بخت نصر سبعين الفا وهذا قصاص الانبيا عليهم الصلوة والسلام كما ان قصاص الملوك
خمسة وثلاثين الفا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل بل صح في الحديث ان الموت بعد استقرار
اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة يؤتى به بصورة كبش املح فيذبح فيذبحه يحيى وقيل الذى يذبحه جبريل
عليه الصلاة والسلام والثانى مروى في بعض التفاسير واما الاول فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية
قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا في قوله وسيدا وحصورا والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير ستاتى
واما الحصور فمن الحصر وهو المنع ولذا اشتهر تفسيره بمن انحصر عن النسا بحيث لا ياتيهن واخرج ابن جرير
عن ابن عمرو عمرو بن العاص رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله تعالى
الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله عز وجل يقول وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة
الثوب واشار بانملته وبه فسره ابن عباس رضى الله عنهما واورد شاهدا له من كلام العرب وعلى هذا يبنى

المصنف

السوال كذا فى الشرح الجديد اقول هذا الحديث لم يثبت وسئل النووى رحمه الله فى فتاويه عن حديث
ما منا الا من عصى او هم بمعصية الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه حديث ضعيف لا يحتج به رواه ابو يعلى فى مسنده
عن زهير عن عفان عن حماد ابن مسلمة عن على بن يزيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف
ابن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما احد من ولد ادم الا قد اخطا او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده
ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف بن مهران مختلف فى تخريجه فكيف يثنى الله عليه فى القران بالعجز
عما يعد فضيلة وهو النكاح وكثرته وهذا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام تبتل عن النسا اى انقطع
عنهن بالكلية ولم يتزوج ولو كان كما قررته ان النكاح بل كثرته فضيلة ممدوحة لنكح اى لتزوج ليحوز هذه
الفضيلة فاجاب بقوله فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام انه كان حصورا ليس معناه كما قال
بعضهم كما مر انه كان هيوبا اصله الهيوب الجبان من الهيبة وهى المخافة والتقية ويأتى بمعنى يخافه الناس
وليس مرادا هنا بل المراد انه كان حييا عن النكاح او لا ذكر له الذكر بفتحتين معروف لم يرد ظاهره وانما اراد انه
صغير جدا او لا حرمة له اصلا وكما ورد فى بعض الاحاديث الضعيفة ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ نواة او قذاة
وقال كان ذكره مثل هذه وفى اخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور على المجبوب
الذكر والانثيين كما فى حديث القبطى الذى امر النبى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه بقتله قال فرفعت
الريح ثوبه فاذا هو ممسوح بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما حذاق جمع حاذق بمعنى ماهر
فى علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذى يميز جيد النقدين من رديهما واصل معناه الوزن وخلاف
النسيئة ولم يذكر الاول فى القاموس وهو المراد هنا وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام اى لا تصلح لهم ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا اصلحها وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب
كسائر الانبيا والعصمة عندنا ان لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسياتى الكلام على تفصيل
عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اى لا يأتيها كانه حصر عنها اى منع عنها فالحصور بمعنى محصور وقال البجانى هذا
الجواب ضعيف لما ورد فى حديث بسر بن عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصر فى الاسلام وقال
لا حصور الا يحيى بن زكريا كما اخرجه الماوردى وغيره وفيه نظر سيأتى وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست
له شهوة فى النسا يعنى ان لم قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها باشتغاله بغيرها من العبادة او له قدرة ولكن لا تتوق
نفسه له ولا يريده فانهم عرفوا الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة بان الارادة اعم
فان الارادة قد تتعلق بما لا يشتهى كارادة شرب الدوا والشهوة ميل طبيعى غير مقدور ولذلك يعاقب بارادة المعاصى
عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله عصمه بان لم يخلق فيه ميلا للمشتهيات ولو لم يفسر بما ذكر لما صح
تعقيبه بقوله فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى كونها موجودة ثم قمعها وهذا معنى
ما قاله البسيلى فى تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا كان عن اختيار منه لان خلافه نقص فى الخلقة وعيب ينزه عنه
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما ذكره ابن حزم فى الملل والنحل من ذمه انما يتمشى فيما اذا كان لمجرد الشهوة البهيمية
اما اذا كان لتكثير النسل فى الاسلام فلا ذم فيه وقال ابن العربى قول من قال الحصور هو الذى يكف عن النسا عن قدرة
هو الصحيح لوجهين احدهما انه اثنى به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلى الثانى ان حصورا فعولا من صيغ
المبالغة وهو انما يكون فى الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو فى شرعهم مطلوب بخلاف شرع نبينا النبى صلى الله

عليه وسلم عن التبتل انتهى فاندفع ما قيل ان قوله لا شهوة له فى النسا لا وجه لذكره هنا لانه فى مقام الجواب عما
اورده وهذا مقول لا يراد لا جواب عنه وما ذكره فى هذا المقام هو وجه تفضيل البشر على الملك فان قلت
فما تقول فيما ورد فى الحديث على فرض صحته من انه عنين او ماله كقذاة او نواة او هدب ثوب قلت
اجيب عنه بانه لغلبة خوف الله تعالى عليه وكثرة الرياضة التى كانت مشروعة له ذبلت اعضاؤه واضمحلت
حتى صار كانه مثل بذلك ما ذكر لا انه لنقص فى خلقته فهو على طريق التشبيه والتمثيل اما بمجاهدة متعلق بقمع
والمراد بذلك ان الله خلق الانبيا عليهم الصلاة والسلام على احسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم
الا ان منهم من قهر شهوته وغلبها حتى اضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة عنهن
للعبادة وهو المراد بالمجاهدة لانه يجاهد نفسه بمنعها عما تريده من الشهوات وهو الجهاد الاكبر كعيسى عليه
الصلاة والسلام او يقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريده لان الله تعالى خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات
من غير مجاهدة وهو المراد بقوله او بكفاية من الله كيحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى صرفه عن شهوة الجماع
قيل والاليق ان يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة كعيسى عليه الصلاة والسلام ولذا فسر البيضاوى حصورا
بمبالغ فى حبس نفسه عن الشهوات والملاهى والتبتل فى حق المعصوم امر مطلوب وفى غيره نهى عنه وكان مشروعا
فى دينهم كما مر فترك التزوج عبادة عندهم لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام
شديد الخوف من الله تعالى حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين
فضيلة زائدة مرفوع خبر المبتدا وهو قمعها فى قوله ثم قمعها اى ترك الشهوة والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة
محمودة وصفة حميدة زائدة فى الخلقة على اصلها لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات اى لكون الشهوات تشغل
الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات وفى نسخة مشغلة قال التلمسانى مفعلة من الشغل وروى مشغلة
اسم فاعل من اشغل وهو قليل وروى شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشتغال لغة
ردية ولذا لما وقع الصاحب على رقعة فيها الاشتغال قال من قال اشتغالى لا يصلح لاشتغالى كما مر وهو لم يقع فى النسخ
المتداولة حاطة الى الدنيا اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى سفل وهو منصوب خبر بعد خبر لكون اى
نزول الانسان الى شهوات الدنيا الدنية لمن لم يعصمه الله عن التحلى بها وتمنعه عن اشتغال قلبه بها ثم هى اى الشهوة
فى الجماع لا الفضيلة الزائدة عليها كما توهم فى حق من اقدر عليها بالبنا للمجهول اى من اقدره الله على شهوته فاغلب
وملكها اى تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح اللام والميم مبنى للفاعل او بضم الميم وكسر اللام المشددة والبنا للمجهول
قال التلمسانى وهو اولى ليكون على نسق اقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال كما يقال الغنى فى حق الكريم حسن وقام
بالواجب فيها معطوف على ملكها اى ملك شهوته ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع
عن ذلك ينبغى تركه وفيها متعلق بقام اى قام بما يجب عليه وهو متلبس بها ولم يشغله عن ربه شغل يشغل كسائر
يسال وقوله درجة عليا مرفوع خبر هى اى مرتبة رفيعة عند الله تعالى وعليا بفتح العين والممدوح فى الاصل كل مكان
مشرف اى مرتفع واريد به علو المنزلة وهى درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اى هذه الدرجة العليا عند الله التى وصل
اليها فى الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى الله تعالى بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق الذى لم
يشغله صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم مبينة لما قلناه كثرتهن اى النسا عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة على عبادته
المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل لتحصينهن اى جعلهن محصنات متعففات بنكاحه صلى الله عليه وسلم

لهن وقيامه بحقوقهن من النفقة والكسوة وغير ذلك فان فيه اجرا ايضا واكتسابه لهن فان الكسب الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان لفيضان الله تبارك وتعالى ذلك او صلة من غير كسب لكنه صلى الله عليه وسلم ملتزم لقيام العبودية وهدايتها اياهن بتعليمه الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة اعلى من هذه بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشية عن ميل قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب عما توهم ذلك فقال بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو جمع حظ كاحاظ واحظ وهو النصيب المقدر مما يسر به ويقال حنظ بالنون او هي لغة يمانية وان كانت من حظوظ دنيا غيره من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها فان قلبه امتلاء بمحبة الله تعالى لا يدخله محبة غيره كما قيل غلات بعض حبك كل قلبي فان ترد الزيادة هات قلبا ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث فقال حبب الي بالبناء للمجهول من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الحاكم والنسائي عن انس رضي الله عنه بدون لفظ ثلاث الا ان احمد رواه عن عائشة رضي الله عنها ولفظه كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا النسا والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة اصاب النسا والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وقد روى هذا الحديث من طرق اخر يقوى بعضها بعضا فهو صحيح الا ان اكثر الحفاظ على انه ليس فيه لفظ ثلاث كابن القيم والعراقي وابن حجر وانها مدرجة في الحديث ومن رواها فقد وهم وخالفهم في ذلك ابن فورك وقال انها مروية في الحديث والف في ذلك جزا منه قلا صح فيه روايتها ولم اقف عليه وتبعه في اثباتها الزمخشري في سورة ال عمران والراغب وابن عربي في الفصوص وغيرهم ومن وهمهم قال الصلاة ليست من امور الدنيا فلا يصح عدها منها فجعلوه وهما لفظا ومعنى ومن اثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا لذة كان او عبادة فالصلاة من امورها على هذا وفي لفظ ثلاث تغليب للمؤنث على المذكر عكس القاعدة المشهورة لنكتة وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك رحمه الله واعطف على اسم شبه فعل فعلا وعكسا استعمل تجده سهلا فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه الطي وهو ان يذكر جمعا يريد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث تطوى ذكره في الحديث لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته وقوف السامع عليه لنكتة فان هناك الطعام كما ورد التصريح به في رواية احمد فطيه لحذف عنده واستشهدوا له بقول ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قديما مولعا الخمر واللحم القرح واطلي بالزعفران فلا ازال مولعا وقوله كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر اما الاول فالثالث وهو قوله واطلي الخ على نهج ما تقدم في الحديث واما الثاني فلانه ذكر قبيله بني حنيفة وجعلها اثلاثا عبيد وموالي وحلفا فبقي نفس القبيلة وصميمها وهي مذكورة اولا وقال حبب بالبناء للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل احببت من دنياي اشارة الى ان محبته صلى الله عليه وسلم لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه بل بفعل الله فحبه انما هو لقه وذاته لما اراده ورضيه له لانه صلى الله عليه وسلم بشري الظاهر ملكي لا يتحلى باحوال البشر الا اذا امره الله تعالى بها للتسلي به امته وتشرفي بما رضيه له فعده صلى الله عليه وسلم من البشر كعد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل في الصلاة اشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدي خالقه فيزداد قربا

ومشاهدة

ومشاهدة فيحصل نور بصره بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا نشرح السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان بعض الناس يصافح من عنده فانهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس مع اصحابه الاربعة رضي الله عنهم فقال حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة فقال ابو بكر رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالي عليك وقال عمر رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاثا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا افشا السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاثا اقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وانا يا رسول الله حبب الي من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين واداء الامانة واداء الندامن قبل الله تعالى وهو يقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الاربعة رضي الله تعالى عنهم ويجوز ان يكون لجميع الناس والامة فدل ذلك على ان حبه صلى الله عليه وسلم لما ذكر من النسا والطيب الدنيا من دنيا غيره اي دل ما ذكر من انه حبب للمجهول واضافة الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم واستعماله كذلك بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله لذلك مباشرته للجماع وتطيبه وتضمخه بالطيب ليس لدنياه والتلذذ بها بل لاخرته اي استعماله لها بنية العبادة التي هي من امور الاخرة للفوائد التي ذكرناها في التزويج من تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن وللقا الملائكة في الطيب اي استعماله لاجل محبة الملائكة وهو صلى الله عليه وسلم يلاقيهم كثيرا ولذا ترى اصحاب الغرايم والهياكل يلازمون البخور محبة الروحانية لهم وله ولانه اي الطيب ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه اي مما يحرك داعية الجماع ويقويها لانتعاش الروح به ويحرك الباءة اي يهيج مقدماته كالشهوة والقبلة او المراد انه فكنى عنها تادبا واحتشاما وهو تعبير حسن وكان حبه صلى الله عليه وسلم لهاتين الخصلتين الجماع والطيب لاجل غيره اي الزوجات والملائكة عليهم الصلاة والسلام وقمع شهوته لا لمجرد التلذذ والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب اذا اهدي اليه وفي الحديث من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل واذا اعطي احدكم ريحانا فلا يرده والمراد الريحان المعروف وكل ذي رائحة طيبة قال ابن العربي ما ورد قط عن نبي من الانبيا انه حبب اليه النسا الا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان كانوا رزقوا منهن كثيرا كسليمان وغيره ولكن كلا منافي كونه حبب اليه وذلك انه كان منقطعا الى ربه عز وجل لا ينظر معه الى كونه يشغله عنه فانه معزول بالتلقي عن الله تعالى ورعاية الادب فلا تتفرغ الى نبي الله جبهن اليه والله جميل يحب الجمال وكان حبه الحقيقي المختص بذاته لا لامر اخر عرضي يرجع بالاخرة الى الدين والثواب في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته الجبروت فعلوت كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقي وحيه ودعائه وقراءة القران وقال الدواني في شرح هياكل النور الجبروت يراد به عالم العقول اي الملائكة ويسمى ايضا بالملكوت الاعلى والاعظم قيل انما سمي بالجبروت لانها مجبورة على كمالاتها الفطرية او لانه جبر نقصها الامكاني بحصول ما يمكن لها بالفعل انتهى ولذلك مين فرق وفصل بين الحبين اي حب ما هو من امور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله وفصل بين الحالين اي حال المحبين بتغيير العبارة والاسلوب كما مر فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فاوردها جملة فعلية معطوفة

على اسم قبلها كما مر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها مجهولة لذاتها فليست معطوفة على حسب عطف الفعلية
على الفعلية كما ذهب اليه من جعل الثالث مطويا كما عرفت وقرة العين ما يسر من ينظر من قر يقر بالفتح اذا برد لانه
كما قيل دمعة السرور باردة او من القرار والسكون لسكونها اذا نظرت من تحب او ينوم ما لان الحزين يسهر
وقد قيل عيني تقر بكم ولو لم يغير الاسلوب قال والصلاة التي بها قرة عيني او وقرة عيني في الصلاة فلا يحصل
التمييز بين ما حبه عرضي وبين ما حبه ذاتي وحقيقي وبهذا العدول علم انها ليست من دنياكم وهذا انما يتوهم
اذا كان الحديث لفظه هكذا والمص رحمه الله تعالى ممن لا يقول بصحة كلماتي في فصل وقال والمراد بالصلاة
الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لما يشاهد فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام
عليه قال ابن قرقول والاول اظهر فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام في كفاية فتنتهن
يعني ان يحيى وعيسى صلى الله عليهما وسلم تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء وتمكن
حبهن في القلب والاشتغال بهن عن العبادة في مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعنه
عنها في حال من الاحوال فساواهما في عدم الاشتغال حتى كان الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في فراش زوجتها
واعانته خديجة رضي الله تعالى عنها في اول امره فلا يقال انه صلى الله عليه وسلم في حال مضاجعتهن مشغول
عن عبادته الان بعد جماعة عبادة وزاد فضيلة عليهما اي يحيى وعيسى بالقيام بهن اي له صلى الله تعالى
عليه وسلم فضيلة زائدة على ما ذكر بقيامه على زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع غفلته صلى الله عليه وسلم طرفة
عين عن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر بالبناء للمجهول اي قدره الله تعالى على القوة في هذا اي
امر النكاح مع القيام بحقه وحق الله وليس في هذا دلالة على ان عيني صلى الله عليه وسلم اقدر منه كما توهم واعطى
الكثير منه ولهذا ابيح له صلى الله عليه وسلم من الحراير جمع حرة على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيلة فجمع جمع فعيلة
كما قال النابغة حذار على ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرايرا ما لم يبح لغيره من جمع ما فوق الاربعة
وهو من خصايصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من النساء ما شاء اول امره ثم حرم عليه بعد
ذلك ان يزيد على ما في عصمته من ازواج فقال لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك
حسنهن الا ما ملكت يمينك قاله التجاني وقال مغلطاي له صلى الله عليه وسلم خصايص جمة منها اباحة تسع نسوة
والصحيح ان له الزيادة قال بعض الشراح من قال لا يزيد على التسعة واستدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
مثنى وثلاث ورباع وهو خطا بالاجماع لانه ليس معنى الاية وليست الاية في حقه صلى الله عليه وسلم وانما هي
في حق الامة والزيادة على الاربعة ممنوعة بالاجماع الدال على معنى حديث غيلان ولم يخالف فيه مستدلا
بهذه الاية الا بعض الروافض والزنادقة كما فصله ابن حزم في كتاب المحلى وقد روينا عن انس رضي الله تعالى
عنه قال السيوطي هذا الحديث عزاه المص رحمه الله للنسائي وهو عند البخاري ورويناه بفتح الراء والواو المخففة
وما قاله الذهبي نقلا عن المزي من انه بضم الراء وكسر الواو المشددة لا وجه له انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه
اي يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشى حوله فجعل كناية عما ذكر في الساعة من الليل والنهار اي في مقدار
ساعة منهما فقدرته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع ما كان عليه من قلة الاكل والشرب معجزة في حقه صلى الله عليه
وسلم قيل والتبتل في حق يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام تشبيها بالملائكة كان افضل في زمانهما ودوره صلى الله
عليه وسلم عليهن كان برضاهن فلا ينافي حديث القسم وهي احدى عشرة اي نساؤه صلى الله عليه وسلم اللاتي

عدتهن

عند تقربكم د

ابن اقرس

عدم

ابن اقرس

ابن اقرس

دار

عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا في صحيح البخاري من حديث انس رضي الله عنه وقال ابن خزيمة لم يقل
احد من اصحاب قتادة بانهن احدى عشرة الا معاذ بن هشام عن ابيه وعن انس في رواية اخرى في البخاري
انهن تسع وجمع بينهما بان ازواجه صلى الله عليه وسلم كن تسعا في ذلك الوقت كما في رواية سعيد وسريتان مارية
وريحانة عند من قال ان ريحانة كانت امة وبعضهم انها زوجة وروى ابو عبيدة انه كان مع فاطمة بنت شريح
وقال ابن حبان كان هذا اول ما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فكانت زوجاته تسعا لان جمع سنانه لم يقع مرة
واحدة ولا يستقيم هذا الا في اخر امره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع احدى عشرة
زوجة عنده فانه صلى الله عليه وسلم تزوج احدى عشرة امراة اولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى
ما ذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل على ان رواية الاحدى عشر مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بان مع التسع
فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها زوجة فصدر الجمع منه صلى الله عليه وسلم مع تسعا ومرة احدى عشر
وايضا قيل التسع محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة ومارية فان
قيل الرواية بلفظ النسا وهي حقيقة في غير الرجال فلا حاجة الى التغليب قيل لا يقال انه حقيقة في ذلك
الا اذا لم يضف للازواج الا انما كما في الحديث وقوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم فان اضيف لهم لم يتناول
الاما حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الاية على عدم صحة ظهار الاما خلافا لمالك وقد تبع التجاني ان جمع
بين روايتي انس بانهن تسع حراير واحدى عشر منكوحة وسريتان لدخول السراري في النسا كالامة
والنسا والنسوة والنسوان جمع المراة من غير لفظها كالقوم في جمع المرء وقد علم ان طوافه صلى الله عليه وسلم
على نسائه في ساعة واحدة لا ينافي القسم ان قلنا بوجوبه عليه ولم نقل ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجب
عليه القسم وقد ذهب الى هذا الزيلعي من ائمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله عليه وسلم انما كان تطييبا لخاطرهن
تفضلا منه وتعليما لامته ولذا كان يقرع بينهن اذا اراد السفر مع ان القسم انما يجب عليه في الحضر او يقول هذا برضاهن
مع ان هذا لا يفوت القسم لمساواتهن فيه والاختيار في القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روي انه
صلى الله عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيي رضي الله عنها كما في مسلم وعليه
قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقال المنذري كان يؤوي عايشة وام سلمة وزينب وحفصة
رضي الله عنهن انتهى ومن ذوات زوجاته سوده وجويرية وام حبيبة وصفية وميمونة انتهى واستدل القائل
بالوجوب عليه بحديث الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا
قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وقد يقال هذا كان قبل اعلامه بعدم الوجوب عليه
او لعدوله عن الافضل في حقه صلى الله عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضي الله عنهن مفصل في السير
وللعلامة ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى توفي رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعايشة ميمونة وصفية وحفصة يتلوهن هند وزينب جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست
نظمهن مهذب والواو في قوله من الليل والنهار بمعنى او قال انس رضي الله عنه وكنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم
اعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع وهذا تتمة الحديث الذي قبله خرجا اي رواه مسندا النسائي وقد
تقدم ان البخاري رواه ايضا وروي بالبنا للفاعل والمفعول نحوه عن ابي رافع اي هذا الحديث مروي
عن ابي رافع ايضا في سنن ابي داود والبيهقي والنسائي ولفظه طاف صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه في يوم او ليلة

دار

واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه ولذا قال نحوه لاختلاف لفظ وزيادة وابو رافع هذا هو
مولى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قبطي واسمه ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل صالح وقوله قوة
ثلاثين قال البرهان الحلبي في الصحيح من رواية الاسماعيلي عن معاذ اعطي قوة اربعين رجلا
وفي حلية ابي نعيم عن مجاهد قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وفي الترمذي ان قوة كل رجل من رجال
الجنة قوة سبعين رجلا يعني من اهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال ابن
حبان قوة كل رجل في الجنة قوة مائة رجل والنسائي هو الامام الحافظ الحجة ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب
بن علي صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته واصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى اليه علم الحديث وروى
عنه كثيرون وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة ويشبه انه سنة خمسة عشرة ومائتين وهو بعيد من اصحاب الكتب الستة
بعد الثلاثمائة غيره فعلى هذا قوته صلى الله عليه وسلم قوة الوف ووقع في بعض النسخ هنا برواية اللخمي
عن المص رحمه الله تعالى وعن طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا وقد تقدم من رواه وما فيه
وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان اليماني وهو من ابناء الفرس وقيل من النمر ابن قاسط وقيل اسمه
ذكوان ولقب بطاوس لانه كان طاوس القراء روى عن عائشة وابي هريرة وابن عباس وغيرهم رضي الله
عنهم وروى عنه الزهري والتيمي وابنه وغيرهم وتوفي بمكة سنة ست ومائة واخرج له اصحاب السنن وغيرهم
وعن صفوان بن سليم بالتصغير وهو امام عابد قيل انه لم يضع جبينه على الارض اربعين سنة حتى نقبت
جبهته من السجود توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعي روى عنه اصحاب السنن وقالت سلمى مولاته بفتح
السين بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووي رحمه الله والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لانها خادمه
وقيل انها مولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وهي زوجة ابي رافع داية فاطمة الزهراء رضي الله عنها وروى
ابن ابنها عبيد الله وهذا الحديث صحيح رواه ابو داود وكما قاله السيوطي طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه السبع
ويتطهر من كل واحدة اي من جماع كل واحدة منهن قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اي الغسل من كل جماع
اطهر واطيب وروى ازكى واطيب واطهر اما كونه اطهر فظاهر واما انه اطيب فلانه يقوي البدن بالنظافة
وقيل الاطيب للباطن والاطهر للظاهر وهذا الحديث متصل لان سلمى روته عن زوجها ابي رافع وفيه دليل على ان
الغسل على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له الوضوء كوضوء الصلاة وروى عن عمر انه
لازم وما ورد في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل بعضهم
الوضوء في قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم اهله فليتوضأ على الوضوء اللغوي اي يغسل فرجه وهذا
بناء على ان الوضوء لا يستحب كما قاله ابو يوسف وذهب بعضهم الى انه يستحب لانه انشط كما ورد في الحديث وقد
قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك اي الطواف
عليهن وجماعهن كما قاله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان بن
داود عليهما الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تاتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال
له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي فلم تات واحدة منهن بولد الا واحدة جاءت بشق غلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله تعالى لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفي رواية على ستين امرأة
وفي رواية على تسعين وفي اخرى على سبعين وتسعة وتسعين وستاتي الزيادة وما فيها قالوا ولا تعارض

بين الروايات لان اثبات القليل لا ينفي الكثير والعدد لا مفهوم له ثم هذه النساء ان كانت اماء او بعضها حرائر
وبعضها اماء فلا اشكال وان كانت حرائر فالحصر في الاربع لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف
الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف بالشيء واطاف به اذا دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف
اللغتين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن وفي الحديث جواز القسم والتعليق بالمشيئة واما كون سليمان
عليه الصلوة والسلام لم يقل وانه نسيه فسيذكره المص رحمه الله تعالى في اول القسم الثالث وقوله في الحديث
لم يحنث بمعنى لم ياثم ويخطئ لانه فعله وليس المقسم عليه الولد لانه ليس في قدرته ومثله لا يحلف عليه والدرك
بفتح الراء بمعنى الادراك والتحصيل وفي البخاري بدله كان دركا لحاجته وسليمان نبي الله صلى الله عليه
وسلم امره ونسبه مفصل في القصص والتواريخ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان عليه الصلوة
والسلام ماء مائة رجل المراد بالماء المني ومنبعه من الرجال صلب الرجال كما ذكروه في قوله تعالى يخرج من بين
الصلب والترائب والمراد ان له قوة مائة رجل في الجماع وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى
النقاش رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته وغيره انه كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية وروي انه له الف امرأة
وتسعمائة سرية وهذا يخدش فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما اجابوا به عنه الان بعضهم ضعفه وجمع بين
الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها على الحرائر والسراري ولا يخفى ما فيه ولو قيل ان الاختلاف
لاختلاف احواله صلى الله عليه وسلم باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص لهذا الاعتبار لكان اظهر وفي تفسير
البستي عكس ما حكى المص رحمه الله عن النقاش فقال كان لسليمان عليه الصلوة والسلام ثلاثمائة حرة وسبعمائة
سرية وكذا في الكشاف والله اعلم بالصواب وقد كان لداود عليه الصلوة والسلام على زهده واكله من عمل
يده لان الله تعالى الان له الحديد فكان يصنع منها الدروع ويبيعها ويأكل هو واهله من ثمنها مع ما اتاه الله
من الملك وافضل ما انفق المرء ما كان من كسب حلال كالصنعة والتجارة والزراعة واختلفوا في الافضل
منها وفصلوه في كتب الفقه والحديث مما لا مزيد عليه ولا حاجة لنا هنا به تسع وتسعون امرأة كما ذكره
القشيري في تفسيره وبمئة بزوجة اوريا مائة بالرفع والنصب فالرفع على ظاهره على الفاعلية
والنصب على ان يكون الفاعل العدة وهو مضمر ويجوز النصب على الحال منها اي وتمت العدة في حال
كونها مائة ويقال لكل قرينين من ذكر وانثى زوج وزوجة لغة ردية واوريا علم لرجل من بني اسرائيل
عبراني واختلفوا في ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة تحتية فقيل ممدودة وقيل
مقصورة وهمزته مضمومة وواو ساكنة وراؤه مكسورة وياؤه مفتوحة بعدها الف وقيل همزته مفتوحة
وهو اوريا بن حنان وقال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب النساء هو اوريا السعدي وزوجته هي ام
سليمان النبي صلى الله عليه وسلم وقصته هي المذكورة في القرآن في قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
وقصته ستاتي وما فيها في القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا تبعا لما في بعض الشروح وذلك
ان داود عليه الصلوة والسلام كان في ملأ من بني اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لا يخاف الفتنة ويقال انه قال
للملكين الحافظين له اني لا اقع في مكروه غنما او حضدتما فانفرد في محرابه يوما فوقع بين يديه طائر
حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده لياخذه فزال عن موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مدخله فاطلع
داود منه فرأى امرأة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به ارسلت شعر ذوائبها فسترها فزاده ذلك عجبا

وميلا لها فانصرف وسأل عنها فقالوا انها امرأة رجل من جندك يسمى اوريا كان مع جيش له بعثوا للقتال فارسل
لاميره ان يجعله مع التابوت فى القدمة وهو معترك الحرب وسنده فقدمه فاستشهد فلما جا خبر الشهدا كان
كلما اخبر برجل منهم توجع فلما اخبر به قال الموت مكتوب على كل نفس وخطب امرأته وتزوجها فولدت
له سليمان عليه الصلوة والسلام فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله ظلم وهو خلو عليه فتسورا حايط
ودخلا عليه ففزع منهما لخوف انهما من اهل مملكته بغاة لان التسور فى العبادة كذلك لانه كان ليلا
بلا استيذان ففهما من الخوف وقالا لا تخف وقصا امرهما وقالا له احكم ولا تجر كما قصه الله تعالى وقدرا
كلاهما على لسان اوريا وقوله تعالى اكفلنيها اى اجعلها فى كفالتى او كفل عنى زوجنى والنعجة كناية عن المراة
وقوله عزنى اى غلبنى لغلبته على وقهره فقال داود لخصمه ما تقول فاقر فزجره وامره بالرجوع للحق وقال
لقد ظلمك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا للسما فشعر بما اراد وقيل تبينا له ما فعل وعرفاه ان ما قالاه تمثيل
له فخر ساجدا فغفر الله تعالى له فقال يا رب ما اصنع اذا طالبنى بدمه فقال استرضيه فسر بذلك قالوا
وهذه القصة مما افتراه القصاص واهل الكتاب حتى روى عن على رضى الله عنه من حدث بقصة داود صلى الله
عليه وسلم جلدته مائة وستين وهو حد قذف الانبياء عليهم الصلاة والسلام عنده والمعتمد ان داود عليه
الصلاة والسلام راى امراة فاعجبته فسال تطليقها فطلقها بطيب خاطره فتزوجها ومثله فى شرعهم جائز
وقد كان مثله فى صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسياتى بقية الكلام على هذا وقد نبه الله عز وجل
على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة الاية حكاية عن الخصمين الذين
نزلا نفسهما منزلة اوريا ونزل احدهما الاخر منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال صحبة يوم نسيب
قريب وذمة يعرفها اللبيب شديد الظلمة والعرب تكنى عن المراة بالنعجة وهى فى الاصل انثى الضان تاوها
لتاكيد التانيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية ايضا فاستعيرت للمراة
كما استعير لها الشاة فى قوله ما شاة ما قنص لمن حلت له حرمت على وليتها لم تحرم وفى مصحف ابن مسعود نعجة
انثى لمزيد تاكيد التانيث او لبيان المراد لحديث فلا ولى رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امراة مؤنثة يستانس بها لزوجها
وضدها امراة مذكرة وهى التى لا تلين لزوجها ولا ياتنس بها ووصفها بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه فانه مع
كثرة نعاجه حسده مع قلة ما عنده وفى حديث انس عنه عليه الصلاة والسلام كما رواه الدارقطنى
فى الاوسط بسند جيد كما قاله السيوطى رحمه الله اذ قال فضلت بالشدة والبنا للمجهول على الناس
باربع السخا والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطفه
على كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لان ماء الحياة يصب فى الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى انه
صلى الله عليه وسلم لم تضعف قوته وانه من اياته وسياتى معنى السخا والشجاعة واما الجاه وهو كونه وجيها
عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال اربابها فى مقاصده
وهى لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد الارقا فمحمود عند العقلا عادة
منصوب على الظرفية او الحالية اى جرت عادة العقلا بحمده ويجوز جعله تمييزا وعنده متعلق بمجرد ظرف
لغو وقيل انه حال وكونه محمود عقلا يقتضى انه محمود شرعا بحسب ذاته واصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما
يعرض له عند بعض الناس وهو اعظم نفعا من المال لان المال يكسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال

ويقدر جاهه اى الانسان ذى الجاه يعظم فى القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبى صلى الله
عليه وسلم فى الدنيا بالنبوة وفى الاخرة بلواء الحمد يكون عظمه بكسر العين وفتح الظا المثالة وفى اخره ها الضمير
كما قاله البرهان الحلبى فى القلوب لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده
زادت عظمة شانه فى قلوب الناس وقد كان صلى الله عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند اعدائه ثم ايد كونه محمودا بقوله
وقد قال الله تعالى فى صفة عيسى عليه الصلوة والسلام وجيها فى الدنيا والاخرة اى عظيما ذا جاه عند الله فى الدارين
وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فقلب وكان اصله وجه فوزنه عفل ووجيها منصوب على انه حال مقدرة من كلمة
فى قوله ان الله يبشرك بكلمة منه ووجاهته صلى الله عليه وسلم فى الدنيا بالنبوة وفى الاخرة بعلو رتبته كما مر ثم استدرك
على كونه محمودا بدفع ما يتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال لكن افاته كثيرة جمع افة وهى العاهة والمفسدة
اى يعرض له ما يفسده ويجعله مذموما كثيرا فهو مضر لبعض الناس باعتبار ما يعرض له لعقبى الاخرة باعتبار ما
يعقبه ويترتب عليه فى الاخرة فاللام لتقييد التاقيت والتخصيص بالوقت كما قيل ويجوز ان تكون تعليلية
ولذلك اى لضرره فى العاقبة ذمه من ذمه ومدحه ضده وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس اى انما ذمه
من ذمه لهذا لا لانه فى نفسه امر مذموم لما ورد فى الحديث الصحيح ما ذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها
من حب المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله فى الاحيا فقال طلب رفعة المنزلة فى القلوب باعتقاد صفة
ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب وتلبس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه فى الاخرة جائز
ممدوح كقول يوسف عليه الصلوة والسلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله
صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير اليه بالاصابع فى دينه او دنياه رواه البيهقى وورد
فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض معطوف على قوله ويخفى كما فى الحديث ان الله يحب الاتقيا الاخفيا
الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض
ولا فسادا وان كان العلو فى الاية معيدا بصفة زائدة عليه من ظلم او غيره والخمول بضم الخا المعجمة وفتحها خطا
ضد الظهور وكون الخمول فضيلة ممدوحة لا يضر مقام الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين لم يرضوا لخلفا
الراشدين والائمة العلما فان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس
بمذموم بل افضل من الخمول فى حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة طويته ولذا قال الله تعالى
لا يريدون علوا دون يعلون ومن لم يقدر ويصبر على ذلك فالخمول فى حقه احسن كما اشار اليه فى الاحياء
واليه الاشارة فى حديث المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل ولذا قال الشاعر

من اراد العز والراحة فى الدهر الطويل فليكن فردا من الناس ويرضى بالخمول ويرى ان قليلا
كافيا غير قليل

وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة اراد بالحشمة المهابة والعظمة فى اعين الناس
ولذا عطفه عليه والمكانة هى المنزلة الرفيعة رفعة معنوية كالعطف التفسيرى وشيع فى هذا الاستعمال المشهور
لانها وردت فى كلام الناس بمعنى الاستحيا فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما فى شرح ادب الكاتب
لابن السيد الحشمة تضعها الناس موضع الاستحيا وعليه قول المتنبى ضيف الم برأسى غير محتشم وليس كذلك
انما هى الغضب يقال هذا مما يحتشمه اى يغضبه وهذا قول الاصمعى وهو المشهور وذكر غيره انها تكون
بمعنى الاستحيا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لطاعم حشمة وقال الطرماح ما تستهى ورايت الشريف.

في اعين الناس وضيعا وقل منه احتشامي انتهى وفي القلوب والعظمة معطوف على الحشمة قبل النبوة
عند الجاهلية اي عند اهل الجاهلية والمراد بالجاهلية ما بين المولد والبعث وتطلق على ما كان قبل
البعثة ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وبه جزم النووي في شرح مسلم فاذا اضيف للشخص اريد به
ما قبل الاسلام وقد يراد بها ما قبل فتح مكة وبعدها اي بعد النبوة وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه
ويقصدون اذاه في نفسه خفية بضم الخاء وكسرها كما قاله البرهان لانه لهم هيبة صلى الله عليه وسلم عندهم
وعظمة في قلوبهم لا يواجهونه بما يؤذونه وهو منصوب مفعول مطلق لمذكور او مقدر او حال
حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخبارهم في ذلك معروفة سيأتي بعضها وهذا
بالنسبة لما في نفس الامر واكثر الاحوال كما روي عن ابي جهل لعنه الله انه ساوم رجلا من بني زبيد ثلاثة
ابعرة هي خيرا بل بثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فزاده حتى رضي فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى ثمنه ارامل بني عبد المطلب
وابو جهل مخزي بنظره ولا يتكلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم له اياك ان تعود لمثل ما صنعت لهذا الاعرابي
فترى مني ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له امية بن خلف ذللت في يد محمد فقال ان الذي رأيتم مني
لما رأيت معه لقد رأيت رجالا عنه وسنانا يشرعون رماحهم الي لو خالفته لكانت اياها اي لاهلكوني
في وقائع اخرى مثلها وهذا لا ينافي انهم في بعض الاحيان قال اذوه صلى الله عليه وسلم جهرة كوضعهم
الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد وتكذيبهم له في قصة الاسراء وقول ابي جهل لابي طالب عند موته
لا تطعه اترغب عن ملة عبد المطلب ونحوه وتحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا الذلك لحكمة تظهر بها
غيرة الله وامره بمقاتلتهم وقد كان بهت ثلاثي مبني للفاعل او المفعول بمعنى يتحير ويدهش كما في قوله
فبهت الذي كفر لكن روايته بالبناء للفاعل من باب علم او يخاف ومن رآه فاعله كما روي عن قيلة بفتح القاف
وسكون المثناة التحتية ولام وهاء في الصحابيات من يقال له قيلة ثلاث قيلة ام بني انمار ويقال اخت
بني انمار وهي الخزاعية ام سباع وقيلة بنت مخرمة العنبرية وقيل العترية نسبة لعترة بنون وزاي معجمة
مفتوحتين وقيلة الغنوية بفتح الغين المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها
مذكور في شمائل الترمذي وفي سنن ابي داود واخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطي وهو انها رأته
صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأته متخشعا في الجلسة ارعدت من الفرق
وهذا هو المراد وان اختلف بعض لفظه وقال التجاني هذا انه مخرمة الغنوية او العترية ويقال
بل التميمية ولا تنافي بين الاخير وغيره لان العنبرية نسبة لبني العنبر ابو حي من تميم كما ان العترة حي
من ربيعة بن نزار وفي مثل هذه القصة وقعت لعمر رضي الله عنه وكان مهيبا وقوله انها لما رأته صلى الله
عليه وسلم ارعدت بضم الهمزة وكسر العين وفتح الدال المهملات مبني للمجهول اي اخذتها رعدة من الخوف وقوله
من الفرق بفتحتين وهو شدة الخوف وفي نسخة ارتعدت فقال صلى الله عليه وسلم يا مسكينة عليك السكينة
وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمأنينة اي الزمي الاطمينان وعدم الخوف والسكينة ثبت
في النسخ المعتمدة بالرفع على انها مبتدأ وخبر والجملة خبرية مرادا بها الامر اي سكني وبالنصب اي الزمي
السكينة للاعزاء او عليك اسم فعل بمعنى الزمي ولم يثبت هنا ما قيل انما انا ابن امرأة تاكل القديد

وبين

وبين سكينة ومسكينة تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح وحق سكينة انها لا تلحقها الهاء لان باب
مفعيل ومفعال للمبالغة لا تلحقه التا لكنه حمل على فقيرة وسكينة بالفتح والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح
وهو قليل جدا وفي حديث ابي مسعود رضي الله تعالى عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الصحابي
رضي الله عنه البدري كما في البخاري وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه لم يصح انه شهد بدرا وانما
شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وانما سكنها فهو بدري دارا لا حضورا وبهذا يحصل الجمع بين القولين
وروى عنه ايضا وروى احمد واصحاب السنن ومات سنة اربعين او احدى واثنين واربعين وهذا
الحديث رواه البيهقي من طرق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هو المحفوظ واخرجه الحاكم
مثله وصححه ان رجلا قام بين يديه صلى الله عليه وسلم فارعد بضم الهمزة وكسر العين المهملة اي اخذته
رعدة من خوفه وفي رواية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل فكلمه فجعلت ترعد فرايصه بالفاء
والصاد المهملة كالفرائض بالمعجمة وهي لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخائف فقال هون
عليك فاني لست بملك الحديث وتمامه وانما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وهون بتشديد
الواو المكسورة امر من الهون وهو الامر الهين السهل والعرب تقول هون عليك بمعنى لا تخف قال
فهون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها ولا وجه لتفسيره بالقصد في المحبة ولا يبالغ
في التعظيم وملك بفتح الميم ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعني لست من الملوك الجبابرة حتى تخاف
مني لان جبريل عليه الصلاة والسلام جاء من الله وخيره بين ان يكون ملكا نبيا وعبدا نبيا فاختار
ان يكون عبدا نبيا ولم يرض موضعه بالملك وكذا الخلفا الاربعة واول من ملك في الاسلام معاوية
رضي الله عنه فلا وجه لقول بعضهم هنا ان هذا لا ينافي انه ظهر ملكه وان كان ملكه نبوة فانه لم يرد
الا نفي انه ملك كسائر الملوك عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه احد من شراح الحديث فاما عظيم
قدره بالنبوة اي وصف قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من العظم ما لا يخفى
وشريف منزلته بالرسالة جعل منزلة رسالته شريفة لانه واسطة بين الله تعالى وخلقه وفي تاهيله
لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله اليهم بتبليغه من اتصاله بالملا الاعلى
وانافة رتبته بالاصطفا الانافة بالنون والفا بمعنى الاعلاء والاشراف على ما تحت والمراد بالاصطفا
ولاية وهي اقرب مقاماته من الله تعالى لتخصيصها بالطرق الاعلى ولذا جعلها مرتبة كالمرقبة اعلى الجبل
كما في الصحاح ففطن لتعبيره اولا بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالمرتبة بمصادفة ذلك وفي نسخة
بدل انافة انابة بالنون والموحدة والكرامة في الدنيا خصها لانها محل ظهور امره صلى الله عليه وسلم
والا فذلك في الاخرة مما لا شبهة فيه كما لا يخفى كرم فاما هو مبلغ النهاية اي ليس فوقه مرتبة اخرى يكون
نهاية او هو نهاية النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم عطفه بثم للتراخي زمانا ومعنى ورتبة وهذا
بعض من حديث البخاري وهو انا سيد ولد ادم ولا فخر وتقدم ان قوله ولا فخر سقط من بعض نسخ
الشفا وثبت في بعضها قيل وهو الاكثر الاولى لانه هنا من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم ومن اثبته فهو حكاية كما قاله التلمساني وفيه نظر والمراد انا اشرف هذا النوع
ادم وولده لما ورد ادم ومن دونه تحت لوائي ومر في معنى قوله ولا فخر انه لم يذكره للافتخار

ومدح نفسه بل لبيان الواقع تحدثا بنعمة الله تعالى والمراد اني لا افتخر بهذا فان لي ما هو اعظم منه من المنزلة
عند ربي ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير امة لانه يلزم من تفضيل امته على الامم تفضيل نبيهم صلى الله عليه
وسلم لان اجرا عمالهم له وعلى معنى هذا الفصل المشتمل على اوصاف يتمدح بكثرتها ويتميز باتشانه بها نظمنا هذا
القسم الاول من الكتاب اي جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات فجعل ما فيه كالعقد المحتوى
على اللالى والفوائد كناية واثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك ان تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه
قوله فاما عظيم قدره الخ باسره اي جميعه واصل الاسر شد الاسير بما يربط به ويطلق على ما يربط به فاذا
قيل خذ الاسير برباطه فالمراد خذه بجميع ما له ثم تجوز به عن معنى الجميع **فصل** واما الضرب الثالث
فهو ما يختلف الحالات جمع حالة والحالة تذكر وتؤنث والغالب عليها التانيث في التمدح به وهو
تفعل للكثرة او بمعنى المجرد لا للتكلف والتفاخر بسببه بين الناس والتفضيل من الناس لصاحبه لاجله
غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار في مقام اسهاب الخطابة ككثرة المال ثم بين اختلاف الناس
فيه فقال فصاحبه على الجملة هذا كما يقال في الجملة والمال انه احيانا الا في كل حال معظم عند العامة اي عوام
الناس او اكثر الناس الناظرين للدنيا وجه تعظيمه لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه مجرور
معطوف على حاجاته بسببه اي المال والا اي وان لم يكن ذلك او ان لم يعتقدوا فيه ذلك وجواب الشرط
محذوف تقديره فلا يعظمه احد واقيم بسببه مقامه وهو قوله فليس له فضيلة في نفسه ثم فسر ما اجمله
بقوله فمتى كان المال بهذه الصورة اي مصروفا في هذه المصارف وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات
من اعتراه بمهملتين بينهما مثناة فوقية اي من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وارباب الحاجات
من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل يا لهف نفسي على مال اجود به على المقلين ارباب المروآت وامله
اي رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرئ امه بمعنى قصده صح ولكن لا يساعده الرسم كما قيل من ام لم ينال
ما امله وتصريفه في مواضعه تصريفه مرفوع معطوف على المال اي كان تصريفه في مواضعه اي تصرفه واقع
موقعه ويصح عطفه على قوله صاحبه وهو اوضح ويجوز جره عطفا على مهماته وكذا ضبط بالقلم في بعض
النسخ اي ان صاحبه منفقا له في مهماته ومنفقا له في تصريفه في موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه
بدل تصريفه مضاف للفاعل اي ضمير صاحبه وللمفعول اي ضمير ماله والاول اولى لقوله مشتريا به المعالي
والثنا الحسن فانه حال منه اي حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالي الامور وثناء الناس عليه والمراد
بالمعالي جمع معلاة وهي الجاه والرتب العالية والثنا الجميل كما علم وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطلبه
فجعل تحصيل ذلك بخرجه بمنزلة اشترا امر نفيس كما في قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ومثل هذه
الاستعارة شايع في الكلام القديم وغيره وقوله الحسن صفة مؤكدة والمنزلة من القلوب اي كونه له مهابة
وعظمة في قلوب الناس لانها جبلت على حب من احسن اليها وهو منصوب معطوف على المعالي مفعول الحال
كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا جواب متى المسبب عنه وقيده بقوله عند اهل الدنيا لان نظرهم
لهذا فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لان من
اقترن بنية صالحة كان فضيلة عند الله ايضا واذا صرفه في وجوه البر اي ذا صرفا للمال في انواع الاحسان
كالصدقة والهبة فالوجوه بمعنى الجهات او هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية او مكنية وانفق في سبيل الخير

اي في طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم وقصد بذلك المذكور من الصرف والانفاق او المصروف والمنفق الله والدار الاخرة
اي قصد ان يكون ذلك لله وثواب الاخرة كان فضيلة اي امرا فاضلا محمودا عند الكل اي كل الناس من اهل الدنيا
وغيرهم العامة والخاصة ومراده ادخال ال على كل وبعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان القياس لا يأباه
بكل حال اي سواء كسب به المعالي والثنا ام لا ومتى كان صاحبه ممسكا له اي لا يصرفه في مصارفه بل يخزنه لشحه به
ومحبته له غير موجهه وجوهه اي غير صارف له في مصارفه في مهماته ووجوه الخير حريصا على جمعه عادا اي رجع
او صار كثره كالعدم الكثر كالكثير معنى وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام اهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث
ومثلثة ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم ابلغ من مقابلته بالقليل ولذا عدل
عنه وان كانت القلة تكون بمعنى العدم ايضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره حارس
لنعمة يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي طلبه فيعيش عيش الفقرا ويحاسب عليه حساب
الاغنيا كما قيل وقد مس يغني البخيل بجمع المال مدته وللحوادث والوارث ما يدع كدودة القز ما
تبنيه يملكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع وكان منقصة في صاحبه لذم الناس له ووصفه بالبخل
والرذالة وقبحه عقلا وشرعا ولم يقف على جدد السلامة اي لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال
والذم والجدد بفتح الجيم ودالين مهملتين اولاهما مفتوحة وهي الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد
من العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط في النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله تعالى في قال
انه وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد اي طرق ومنه قوله تعالى
ومن الجبال جدد بيض اي طريق فهو صحيح ايضا ومنه ركب فلان جدة في الامر اي رأيا ظاهرا ولم
يقف في امر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع او صرف ما جمعه في مصارفه فعدل عن طريق السلامة فهلك
كما اشار اليه بقوله بل اوقعه ماله الذي جمعه وبخل به في هوة بضم الهاء وتشديد الواو وهي الاهوية الحفرة
العميقة وهو مضاف لقوله رذيلة البخل اي وقع في وهدة دناءة وخسة اتت حفرها النفس وفيه استعارة
مكنية وتخييلية كالذي قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويامن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها
من اتاها ومنه النذالة هي بالنون والذال المعجمة الدناءة والخسة وهو معطوف على رذيلة فيها الاستعارة
السالفة او على هوة وهذه من افات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدالة على انه في نفسه ليس ممدوحا وانما
يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله اي عند من مدحه ومدح
صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها ليست لنفسه من حيث هي وانما هو اي التمدح به بالتوصل
به الى غيره من الثنا الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون ببذله وتصريفه في متصرفاته وفي الحديث يقول
ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت فمن لم يتوصل
بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لا مال له قال ابو العتاهية اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي
هو مالكه الا انما مالي الذي هو منفق وليس لي المال الذي انا تاركه فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
يصرفه في مهماته ومهمات من امله ولا وجهه وجوهه من انواع البر وسبيل الخير ويحتمل التعميم في كل منهما
غير ملي اي غير غني يقال ملوء مليا بالمد الغني بالحقيقة اي في نفس الامر لان الغنا هو المغني لصاحبه عما سواه
وهو محتاج لماله ولغيره وفي اكتسابه وقد قال الحكما الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله الى شيء

اي

ولا يعتج بالمغنى المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكانه فقير ولا يتمدح به بفتح الدال
عند احد من العقلا بالجر معطوف على سلى اى من تحمل عقلا لايعد فى عقله بل هو فقيرا بدا غير واصل الى غرض من اغراضه
ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر وكونه لم يصل الغرض لعدم انفاقه وكسبه به ما يريد
كما اشار اليه بقوله اذا ما بيدك اى فى ملكه وتصرف من المال الموصل لها بكسر الصاد مخففة ومشددة اى اغراض لم
يسلط عليه بالتشديد والبنا للمجهول اى لم يرزقه الله ويقدر له الانفاق منه فى اغراض فاشبه خازن مال غيره
فى حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه ولا مال له جملة حالية من خازن فكانه اى صاحب المال
ليس فى يده شئ منه كما قيل اذا كنت جماعا للمال ممسكا فانت عليه خازن وامين تؤديه مذموما الى غير حامد
فيا كله عفوا وانت دفين ولمحمود الوراق تمتع بمالك قبل الممات والا فلا مال ان انت متا شقيت به
ثم خلفته لغيرك بعدا وسحقا ومقتا فجادوا عليك بزور البكا وجدت عليهم بما قد جمعتا وارهنتهم كل ما فى يديك
وخلوك رهنا بما قد كسبتا والمنفق غنى بتحصيله فوائد المال وان لم يبق فى يده من المال شئ فالممسك كما انه
فقير بالقوة فكذا المنفق غنى بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل وانى لارجوا الله حتى
كاننى ارى بجميل الظن ما الله صانع وهذا كله توطية لبيان امر النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمال عدما
ووجودا كما قال فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم اى طريقته وهديه وخلقه بضمتين او ضم فسكون
فى المال اى فى شان المال وما هو بالنسبة اليه تجده قراوى خزائن الارض ومفاتيح البلاد اى اتاه الله ذلك
كما ورد فى الحديث الصحيح بينا انا نائم اوتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى وفى كتاب الوفا
عن جابر رضى الله تعالى عنه مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتيت بمقاليد الدنيا على فرس
ابلق عليه قطيفة من سندس واليه اشار الصرصرى رحمه الله تعالى بقوله بعثت مقاليد الكنوز جميعها تهدى
اليه على سراة حصان جعلت عليه قطيفة من سندس فله المقام الزهد عن امكان ومثله ثابت من طرق
عديدة وهذا يدل على ان الله اعطاه ذلك حقيقة وخزائن الارض دفائنها ومعادنها بان يطلعه
الله عليها ويجعل الملائكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينته بيد خازنها حاضر مطيع لديه
فهذا معنى كونها فى يده عرفا واما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزائن فكذلك وان كانت جمع مفتح او مفتاح
بمعنى آلة الفتح فاعطاوها ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل انه كناية عن فتح البلاد على امته وجباية
اموالهم والمفاتح روى فى الصحيح بدون يا جمع مفتح وروى بيا فى كلام المصنف رحمه الله تعالى جمع مفتاح
والاول افصح كما قيل واحلت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله الغنيمة ما يؤخذ من الكفار وكذا الفى وفرق
الفقها بينهما بان الفى ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسر فى وهبه والغنيمة ما حصل بقتال
ولو قبله او بعده وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك ما يحصل من اهل الحرب
يا للقرب من الذبائح تنزل نار من السما فتحرقه ان قبل فان قلت كيف هذا وقد كان لسليمان وداود
عليهما الصلوة والسلام سوارى ولا شك انها تحصل من اهل الحرب غنيمة حتى تملك قلت قالوا ان الذى
كانت تاكل النار سهام الانبيا عليهم الصلاة والسلام دون سهام الامة وقرابينهم فكانت تحل لهم فاذا
اشترى النبى كذا ودعليه الصلاة والسلام من اشيا منها كان له ذكره ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى الوفا وفتح عليه
فى حياته بلاد الحجاز الحجاز بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة او بين اليمن والشام وهى مكة

والمدينة

والمدينة والطايف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازى
ونصفها تهامى واليمن وهو معروف وسمى به لانه عن يمين الكعبة او ليمنه او لانه عن يمين الشمس وجميع
جزيرة العرب الجزيرة فعلية من جزر الما وهو انكشافه ورجوعه ضد المد وجزيرة العرب ما بين اقصى
عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا عند الاصمعى ومن حفر ابى موسى
الى اقصى اليمن طولا ومن رمل قبرس الى منقطع السماوة عند ابى عبيدة وقال مالك هى الحجاز واليمن واليمامة
وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع اقوال اخر وسميت جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات
احاطت بها وما دانى ذلك اى قرب منه او من جزيرة العرب فيذكره باعتبار المكان ونحوه من الشام والعراق
اما الشام فبهمزة وتبدل الفا وقد تمد همزته فيقال شآم وبعضهم ابى هذا ويذكر ويونث كغيره من اسما البلدان
وينسب اليه شامى بهمزة والف وشامى بالتخفيف والتشديد كيمانى فيقال امراة شامة وشامية مخففا ووجه
تسميتها بذلك عن شمال الكعبة او لانه تشام بها قوم او باسم صاحبها وهو سام ابن نوح عليه الصلاة والسلام
فعربت بابدالها شينا معجمة وانكر بعضهم هذا وقال لم ينزلها سام قط وانما سميت بها لان فى ارضها شامات
حمرا وسودا وبيضا وحده من العريش الى الفرات او الى نابلس طولا وعرضه من جبل اجا دسما الى بحر الروم وما
يسامته وقد دخله النبى صلى الله عليه وسلم الا انه لم يدخل دمشق وقيل دخل الشام عشرة الاف عين رات
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما العراق فهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى وطوله
من تكريت الى عبادان وهى قرية ولذا قيل فى المثل ما وراء عبادان قرية وعرضه من القادسية الى حلوان ودجلة
حد جانبها الايمن للعراق والايسار لفارس واما عراق العجم فهو اقليم خراسان ولفظ العراق عربى وقيل انه معرب
ايران وفيه كلام ليس هذا محله واليمن فتحها على رضى الله عنه فى سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل
فتحها عبد الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم اهلها على النبى صلى الله عليه وسلم على ما فصل فى السير والتواريخ
ومن لم يقف على هذا قال انها انما فتحت فى زمن ابى بكر رضى الله عنه لكن النبى صلى الله عليه وسلم اوتى مفاتيحها ووعد
بفتحها وجلب اليه بالبنا للمفعول نايب فاعله ما لا يجبى الاى وانثه باعتبار المعنى وهو الاموال من اخماسها
اى غنايمها لان الغنايم تجعل خمسة اجزاء خمس للامام واربعة اخماس للجند والمراد نفس الخمس لانه اى الذى
يختص به وجزيتها بكسر فسكون وهو ما يؤخذ من الكفار من الخراج على الروس سمى بها لانها تجزى اى تغنى
او من الاجزاء بمعنى الكفاية وقيل انها معرب كزيت واحكامها تفصيلا فى كتب الفقه وصدقاتها المراد ما كان
يوخذ من الزكاة لبيت المال لانه يسمى صدقة ما لا يجبى اى يجمع يقال جباه اذا جمعه للملوك الا بعضه وهادته
اى اهدت اليه صلى الله عليه وسلم وليس المراد المفاعلة ملوك الاقاليم المتقدمون قسموا الارض سبعة اقسام
سموا كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلدان مفصل
فى كتب الهيئة والمساحة قيل المص اراد بالاقاليم النواحى والبلدان وان كانت من اقليم واحد او اقليمين
من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى مستعمل ايضا كما يقال اقاليم مصر قسموا كل ناحية منها اقليما والهدية
ما يبعث بلا عوض الى المهدى اليه اكراما وقال السبكى الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها منقولة
فلا يقال العقار هدية فهى اخص من الهبة والظاهر ان قيد الاكرام بنا على الظاهر فرقا بينها وبين الصدقة
وممن هاداه صلى الله عليه وسلم المقوقس ملك القبط اهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضا وهى

الدلول وهاداه فروة ابن عمرو الجذامي عامل قيصر بعد ما نزع بالاسلام واهدى له بغلة بيضاء يسمى فضة وفرسا واثوابا وقباء من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم ارسل يقول له ارجع لدينك اطلقك واعيد لك ملكك فابى وقال لا افارق دينه وانك لتعلم انه حق ولكن ضننت ملكا بملكك فقال صدق والانجيل ومنهم اكيدر دومة الجندل كما في البخاري والنجاشي واما هدايا غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير واهدى له الرهبان ايضا كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من لم يسلم منهم كالمقوقس والنجاشي ورده بعض هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل زبد المشركين اي عطيتهم لانه كان يقبل الهدية ممن يرجو اسلامه استيلافا لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد غير هدية اوزاك خاص بالمشركين ومن قبل منه من اهل الكتاب فيقبل كما توكل اطعمتهم وذبائحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث القبول لا العكس على الارجح ثم ان قبول النبي صلى الله عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره من الحكام من خصايصه صلى الله عليه وسلم لانتفاء التهمة في حقه صلى الله عليه وسلم وقيل انه صلى الله عليه وسلم رد ما اهدى له خاصة دون ما اهدى للصحابة فما استاثر بشيء منه اي مما اختص به صلى الله عليه وسلم دون اصحابه لرؤيته انه احق به كما يفعله الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من الاثر وهي المكرمة والخصوصية كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولا امسك منه درهما اي لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يجعله عنده او في يده بل صرفه في مصارفه باعطائه لمن يستحقه وفي وجوه الخيرات واغنى به عيش من الجند والمولفة قلوبهم فكان صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وقوى به المسلمين بصرفه في مهماتهم وفيما ينصرهم على عداتهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان مسندا عن ابي هريرة رضي الله عنه منه ما يسرني اي يجعلني في سرور وفرح ان لي احدا ذهبا اي مثل احد او نفس احد يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة وقوله ذهبا تمييز اي من ذهب واحد بضمتين وقد تسكن حاؤه اسم جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال صلى الله عليه وسلم فيه احد جبل يحبنا ونحبه يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني وقد روي هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففي الصحيح تاتي علي ثالثة وعندي منه دينار اي وامسي ثالثة وعندي منه دينار او روي تحول ذهبا ويصير ذهبا والا دينارا روي بالرفع والنصب وارصده بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال رصدته وارصدته بمعنى اي اعده للخير والشر وقيل رصدته بمعنى راقبته وارصدته بمعنى اعددته وهو المشهور وقوله لديني بفتح الدال المهملة وسكون المثناة التحتية والنون وارصاده للدين اما لان صاحبها غايب او لانه لم يحل اجله وفيه دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون المرء مستغرقا في الدين حتى يجد له وفاء وبقية الحديث في الصحيحين وشروحها فان اردته فانظره وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وانه صلى الله عليه وسلم اتى بدنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستمائة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت انتهى وقوله دفعها روي كرفعها بالراء قال السيوطي رضي الله عنه هذا الحديث رواه ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ وفي الشرح لم اقف عليها لان لم نظايرها اوردها وكانت هذه الدنانير جاءت من الصدقة والتمام ياخذه النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تاخر بعدما عصمه الله تعالى مع اشتغاله بهذا الزمان

وصرفهم

وصرفهم بيت المال في هوى انفسهم قاتلهم الله انى يؤفكون ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة على نفقة عياله جمع عيل وهو من تلزمه مؤنته والدرع مؤنثة وهي الزردية وكان له صلى الله عليه وسلم عدة ادرع ذات الفضول سميت بها لطولها اهداها له سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لبدر وذات الحواشي ودرعان اصابهما من بني قينقاع السغدية وفضة ويقال ان السغدية كانت درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت والتبر والخرنق فهذه سبع وقال ابن الاثير رحمه الله تعالى في مادة سباغ س ب غ درع النبي ذات السبوغ لتمامها وسعتها فيحتمل واحدة مما ذكر او غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي ان التي رهنها صلى الله عليه وسلم هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى ابا الشحم كما وقع في كتب فقه الشافعية ووقع في كلام بعض تسميته بابي شحمة والمعروف الاول والسغدية لم يتعرضوا لحركة سينها المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسغد وهي جبل معروف وقال مغلطاي انها بعين مهملة وفي معرب الجواليقي انه بالسين والصاد لانه قياس في كل سين معها حرف استعلاء قال شقيق الاسدي وخافت من جبال السغد نفسي وذكر مغلطاي ايضا انه صلى الله عليه وسلم كان له مغفر يسمى السبوغ والحديث المذكور في صحيح مسلم مسندا عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفي رواية فرهنه صلى الله عليه وسلم درعا من حديد ورواه البخاري ايضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار مع ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز الرهن على الثمن المؤجل وادخار القوت خلافا لزفر وقال المص رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه مكروه عند مالك واحمد واجمعوا على انه يجوز معاملة اهل الذمة وغيرهم الا في آلات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من اهل الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها واما رهنه فان خشي التقوي به علينا فهو كالبيع فما فعله النبي صلى الله عليه وسلم اما لان اليهودي لم يكن من اهل الحرب او لانه كان بين اظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به وفي رواية ملك رهنت في عشرين صاعا وفي اخرى اربعين وفي رواية وسق شعير والاجرنة لحل الاجل قبل الاجل ومن ثم قيل انه صلى الله عليه وسلم افتكه قبل موته لخبر نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وهو صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك والاصح خلافه كما اقتضاه كلام المص ولقول ابن عباس توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي والخبر محمول على غير الانبياء وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد لعله لا نفاق جميع عنه ولا يعلم احد بذلك اذ لو علم الصحابة ذلك والوه صلى الله عليه وسلم بجميع اموالهم كما كانوا يالونه بارواحهم ولكنه تكمه وتصبر تلذذ بالرضى بما قسم وفي توفي قوله في نفقة عياله للتعليل واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد بصيغة الماضي معطوف على اقتصر فيما سواه اي ما سوى مقدار الضرورة ووقع في بعض النسخ وزهده بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع عطفا على ضرورته او مجرور بالعطف على مجرور اليه بغير اعادة الجار والنسخة الاولى اوضح وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجده حاضرا عنده من غير تكلف فيلبس في الغالب الشملة هي كساء يشتمل به وقيل تختص بما له هدب وقال ابن دريد هو كساء يتزر به وهي البردة وان شمله العوام ما يلف على الراس شملة فلا اصل له والكساء الخشن اي الكسوة المليحة والكساء قريب من البرد وخشن بزنة حذر ضد اللين والرقيق والبرد الغليظ البرد بضم اوله ثوب فيه خطوط ومطلقا الثوب ثم اشار الى ان هذا ليس من عجزه صلى الله عليه وسلم عن فاخر الالبسة

المخصوصة

بل لعدم ميله لها ويقسم مما عنده من الغنايم والهدايا على من حضر عنده اقبية الديباج المخصوصة بالذهب
الاقبية جمع قبا وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من اقبية الحرير معرب ديبا بالدال المهملة فيهما بكسر داله
وقد تفتح والمخصوصة بضم الميم وفتح الخا المعجمة وتشديد الواو يليها صاد مهملة وهاء اى منسوجة باعلام من ذهب
كالخوص وفعل يأتى للتشبيه كثيرا فلا وجه لانكار دهم سرح بمعنى كالسراج فى كتب المعانى وقيل هو المكفوف بالذهب او المطوق
والمزرر به اما نفقته صلى الله عليه وسلم فى ماكله فكان التمر والماء وحده فكان يمضى عليه الشهر ولا يوقد فى بيته نار وهو
يقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا او كفافا وملبسه فى الاكثر اكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان
والقطن ايضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله عليه وسلم حلة حمرا او بردا احمر يلبسه فى العيدين وعند قدوم الوفود
عليه وكانت له صلى الله عليه وسلم جبة رومية ضيقة الكمين وكان احب اللباس اليه القميص لقصر الكمين وفوق
الكعبين مساوية لاطراف اصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه فى الثمانية فى صفة العمامة وكان له صلى الله
عليه وسلم قلنسوة وقسمته صلى الله عليه وسلم لها ذكر مروية فى البخارى وهذا انما يكون قبل تحريم الحرير والذهب
او كان يقسمه ليباع او يعطى ذلك للنسا والصغار ويرفع لمن لم يحضر اى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر
القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التى رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة قال قال لى ابى يا مسور بلغنى انه صلى الله
عليه وسلم جاءته اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال ادعه لى فاعظمت ذلك فقال يا بنى انه
ليس بجبار فدعوته صلى الله عليه وسلم فخرج ومعه قبا من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبات لك هذا
فجعل صلى الله عليه وسلم يريه محاسنه ثم اعطاه له فنظر اليه وقد رضى وكان فيه شدة واستيثار اذ المباهاة اى اظهار
الفخر بالكمال والعجب به والتزين واصل معنى المباهاة المفاخرة فنزل ذلك منزلتها فى الملابس جمع ملبس وهو واللباس
بمعنى والتزين بها اى اظهار الرتبة بالملابس ليست من خصال الشرف والجلالة اى المغالاة فى ذلك واظهاره ليس مما
يعد شرفا ولا مما يقصد الاشراف وقال الفقهاء رحمهم الله تعالى لبس الثوب الجميل للتزين مباح فى الجمع والاعياد
ومجامع الناس وما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لا ينوى
به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقلت
فى ذلك نصيحة لطيفة قالت بها الاكياس كل ما اشتهيت والبس ما تشتهيه الناس وانما هى من صفات النساء اى
المباهاة والتزين انما يقصده النساء ومن فى حكمهم كالاطفال واكثر ما رويناه ذلك فى محدث النعمة ومن لا قدر
له والمحمود منها اى المحمود منها عند الله وعند الناس من صفات الملابس نقاوة الثوب بفتح النون وضمها
اى كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر وفيه لغة يقال نقاه بمعنى نقاوة وفى ابستان وهو مصدر مهموز
فيقال نقاه بمعنى نقاوة فى ابستانه يستحب للرجل الذى له مروءة وعلم ان يكون ثيابه نقية من كبر وراى
النبى صلى الله عليه وسلم رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقى ثيابه وقال ايضا ما على الرجل
حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبى مهنته وفى المثل المروءة الظاهرة فى الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة
بضم النون الخيار والظاهر هنا فتحها وهى النظافة كالنقاوة البخا والوسط فى جنسه اى المحمود فى اللباس
استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا وكونه لبسه بضم اللام بمعنى اللازم اى كونه مما يلبسه
امثاله من جنسه فشرع ان يوافق اقرانه فى لباسه فلا يخالفهم فيوقع الناس فى الفتنة ونهى النبى صلى الله عليه وسلم
عن الشهرتين فى اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلى اكثر الناس فى مدح الملابس

وذمها

وذمها واللازم ان يلبس كل احد على قدر حاله فلا يلبس الغنى ما هو دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله
ولا يتزيى العالم بزى الجاهل ولا الجاهل بزى العالم وعنه صلى الله عليه وسلم لا يشبه الزى بالزى حتى
يشبه القلب القلب فالى ما ذكرنا اشار بقوله غير مسقط لمروءة جنسه اى مما يعد مسقطا للمروءة امثاله مما لا يودى
الى الشهرة فى الطرفين اى غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور اوسطها والشهرة اسم
من الاشتهار وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لم يعهد قال النووى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب
الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا ولهذا ورد الحديث فلبس المرقعات امر مكروه شرعا
وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما نراه اليوم وما نهى الشرع عنه كالحرير خارج عما نحن
فيه واما توسيع الاكمام كما يفعله الفقها فمخالف للسنة كتكبير العمايم وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة
قبيحة وسرف وتضييع للمال الا ان ابن عبد السلام والسبكى قالا اذا كان ذلك شعارا للعلماء يندب ليعرفوا
فيسالوا ويطاعوا فاذا كان كذلك فى نفس الامر لا يسقط المروءة وقال السبكى انه استنبط من الاية
فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين
ومثله لبس الخضرة للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة وليس من الشهرة المنهى عنها لا لاهله ولبس
ثياب الفقراء مع القدرة على غيرها ليرى صلاحه عند الظلمة ويجعله مكتسبا منهى عنه وفى الحديث من لبس
ثوب شهرة فى الدنيا البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة وقد ذم الشرع ذلك كما عرفته وذلك اشارة الى المباهاة
فى الملابس والتزين بها وغاية الفخر فيه عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال يعنى
ان كثرة المال والملابس عند العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها واما العوام
فيفتخرون بكثرتها وتعددها حتى راينا بعض الحمقاء يلبس فى المجلس الواحد الوانا من الثياب والغاية النهاية
واصلها غيية بيائين اعلت اولاهما لتحصن الثانية بتاء التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال
ونحوه ووفور الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره او بمعنى
القوة وكذلك التباهى اى مثل التفاخر بما ذكر التفاخر بجودة المسكن اى حسنه بحسن بنائه وزخرفته
وعلوه والجودة بفتح الجيم وجوز ضمها ابن رسلان وهو كذلك وسعة المنزل لانه مما يمدح اهل
الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه الشطر وقد قالوا الدار المضيقة العمى الاصغر ثم اتبع ذلك
بما يتبعه فقال وتكثير الالات جمع الة والالة ما يصنع به الاعمال كالقدوم للنجار والابرة للخياط والمراد
به هنا اللوازم كالفراش والانية وخدمه جمع خادم وفعل بفتحتين جمع سمع من الفاظ معدودة ومركوباته
كالخيول والبغال وغيرها واضافتها للمنزل لادنى ملابسة او لانها فيه فمثل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها
الا ذوى العقول السخيفة ومن له حرص على حطام الدنيا تنبيه لا يكره البناء للحاجة وان طال والاخبار
الدالة على منع ما ذاد على سبعة اذرع وان فيها لو عبد اشديد محمولة على من فعل ذلك للخيلا والتفاخر
على الناس ويكره الزيادة عليها لغير حاجة اى من حيث القدر فى معناه على ما هو الظاهر ما لا تدعو
الحاجة اليه من حيث الوصف كان يتخذ بيتا من نحو العنبر والعود والدرفان قلت يشكل ذلك
بان الظاهر انه لا كراهة فى تناول نفس الاطعمة والملابس على ما تقدم قلت يفرق بان التلبس منهما
قد ينفع البدن او يحتاج اليه لمصلحة بخلاف المسكن لان كل ما زاد منه على ما يدفع به الحر والبرد لا شئ

لمحة فيه للبدن وهو يختص كراهتها زاد على الحاجة بالمباحة لا يكره شراء ما زاد منه على الحاجة فيه نظر ولا يبعد
عدم الفرق نظرا للمعنى نبه عليه شيخنا ابن قاسم رحمه الله تعالى ثم بين ان النبى صلى الله عليه وسلم حايز للفضيلة
المالية ايضا وواصل منها مالم يصل اليه غيره ولذا قالوا لا يجوز ان يقال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم انه فقير فقال
ومن ملك الارض بتمليك الله اياها له فلو اراد ملكها من المشرق للمغرب يسره الله له فى طرفة عين وقد خيره الله
تعالى بين الملك والعبودية فاختار العبودية كما مر وجبى اليه ما فيها اى جمع له ما فيها من الغنايم وخيرتها وصدقاتها
مما فتح فى زمانه فترك ذلك اى المال المجبى زهدا وتنزها اى لاجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك
لاجل الله فالزهد اخص من الترك وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد الرغبة عن الدنيا
مع القدرة عليها رغبة عن الاخرة ولا يتحرر ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد
عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت جمة على وهو من اعلى المقامات وفى الحديث
ازهد فى الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه وقوله فهو حايز جواب او من خبرها وحايز بالحاء المهملة والزاى
المعجمة اى جامع ومحصل للفضيلة المالية اى من كان كذلك حاز فضيلة المال التى يفتخر بها اهل الدنيا وقادر
على المنع والتلذذ بها الا انه لا يزيد ذلك ومالك للفخر بهذه الخصلة المالية الا انه لا يفعله كاهل الدنيا وقيل
المراد خصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذى يلتيم مع قوله ان كانت فضيلة زايدا عليها فى الفخر ان كانت فان
بفتح الهمزة مفسرة بمعنى اى كما قاله التلمسانى رحمه الله وهو تحقيق واثبات للفضيلة التى حازها من الزهد
والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة او ناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة زائدة على فضيلة المال ولكن
الظاهر ان يقول زائدة وزايدا على هذا منصوب صفة وقيل ان صح نصبه فهو حال من فاعل حايز وقال
بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكرم بدونها قطعا وهذا مبنى
على ان ان شرطية مكسورة الهمزة وهو مبنى على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفى الشرح الجديد بعد ما ذكر
من نصب زايدا على الحالية ان صحت رواية فانه فى بعض النسخ مرفوع ومر قال الاى مرفوع فى جميع النسخ
وعندى ان نصب زايدا على انه حال من فاعل مالك لا حايز اى هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه
زائدا عليها فى الفخر لعدم التفاته لها واكتراثه بها فهو فى ملكها وفخره بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة
ليس مساويا للفخر من افتخر بها فى ملكها حالة كونه زايدا عليها تركها بالاعراض عنها فزايدا وصف له
صلى الله عليه وسلم والاولى انه صفة مصدر هو مفعول مطلق لمالك اى مالك ملكا زايدا على هذه الفضيلة
بالاعراض عنها انتهى وهذا محصول فى جميع الشروح وقوله فى الفخر متعلق بقوله زايدا واقول لا يخفى
ان هذا كله كلام مظلم لم ينور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو مبتدأ خبره ومالك معطوف عليه وان
مكسورة شرطية وكانت ناقصة اسمها ضمير للفضيلة او للمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله زايدا
خبر ثان والخبر اذا تعدد يجوز عطف الجميع وترك عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات
وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ما قبله لان الفضيلة الدينوية ليست من جنس ما زاد عليها فى الفخر
والفضيلة لان الاول امر دنيوى ولا فخر بها باعتبار ذاته بل باعتبار ما يترتب عليه اذا صرف فى وجوه الخير
من الثواب ونصرة الدين ولذلك اتى فيه بان الشرطية لانه بكونه ذا وجهين اذ لا فضيلة له بحسب ذاته
فيتراءى انه لا فضيلة له اصلا فان نظر لما يترتب عليه فله فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير محققة

اى

اى هو زائد على تلك الفضيلة المالية فى فخره بالامور الدنيوية لو اراد اما الزيادة ما بانه لو بقى على ما عنده غيره
او لكونه مكسبه طيبا ومصرفه فى محله وفيه من الفوائد ما لا يتيسر لغيره فحاصل المعنى انه صلى الله عليه وسلم
حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وان لم يعبا به ما لم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب بكيالى
ان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطا من لا يخاف الفقر وزاد غناه فوائد لا يتيسر لغيره ويجوز نصب
زائدا على انه حال من ضميره صلى الله عليه وسلم وما مر من انه لا يتحقق الكرم بدونه فكيف يخفى ومعرق
بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو القياس
من اعرق الوجر والشجرة اذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اصل فى الكرم
والحسب قال المجد يا خير ضو كريمة فى قومها والفحل فحل معرق وقد يقال فى اللوم تمكنا وعرق الثرى
اذم قال امرؤ القيس اذا عرق الثرى وشجت عروقى وهو مرفوع معطوف على قوله زائد فان نصب يعنى
ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم جمع له ما جمع لاهل الدنيا وهو زايد
عليهم فى ذلك واصيل فى المدح بذلك لانها لا قيمة لها عنده كما اشار اليه بقوله والضاربه عنها اى بسبب
اعراضه عن الجهة المالية وزهده فى فائتها بالفاء وثناة تحتية ثم فوقية اى يزهد فيما هو فايت منها اى
ذاهب كما يقال لكى لا تاسوا على ما فاتكم وفى بعض النسخ فانها بنون بعد الالف وبدلها بموحدة وذال
معجمة اى اعطائها فى مضانها من الضنة بالضاد المعجمة والنون اى تجود صلى الله عليه وسلم فى محال
يبخل فيها الناس كذا ضبط وفسره التلمسانى وهو فى غاية الحسن والظهور وضبط البرهان الحلبى
بالظا المثالة وعليه الرواية فى اكثر النسخ جمع مظنة بالكسر وهى الموضع الذى يظن كونها فيه فالمعنى
انه صلى الله عليه وسلم يبذلها فى محلها الذى يرجى فيه كمحال البر والصدقة **فصل** واما الخصال
المكتسبة اى الصفات الحميدة التى ليست ضرورية ولا طبيعية من الاخلاق الحميدة ومن هنا تبعيضية او بيانية
والاداب الشريفة جمع ادب وهو الافعال المستحسنة فى معاملة الناس ومخالطتهم التى اتفق جميع
العقلاء على تفضيل صاحبها اى من قامت به واتصف بها بالخلق الواحد منها اى يمدح بكل واحد منها منفردا
فضلا عما فوقه اى عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيد ان ما بعده اولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لا يملك درهما
فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة فى بيان اعرابه ومعناه وهى مشهورة الا انهم قالوا انها
تلزم الوقوع بعد نفى تصريح او ماول كقوله قلما يبقى على هذا القلق صخرة صما فضلا عن رمق لانه قرره
بمعنى النفى لان القلة اخت العدم ولا يختص هذا بكونها مكفوفة كما قاله ابن هشام والمص استعملها فى الاثبات
لان معنى الواحد الذى لا يتعدد فلا اشكال فى كلامه اثنى الشرع على جميعها وامر بها فيدل الثناء عليها على حسنها
والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها فائدة وفيه دليل على جواز تغير الطباع وشدلها والطبع
فى الانسان لا يتغير ما ولا واكثرى ووعد بالسعادة الدائمة منصوب بنزع الخافض اى وعد بالسعادة
او هو مضمن معنى اعطى للمتخلق بها اى الذى اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله
وليس المراد المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل يا ايها المتحلى غير شيمته
ان التخلق يأبى دونه الخلق ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة كما ورد فى الحديث
السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وورد فى حديث اخر

ابن الحنبلي

ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزا من النبوة وهذا هو الذي
اشار اليه المصنف اى هذه الخصال من شمايل الانبيا وفضائلهم عليهم الصلاة والسلام وليس معناه ان النبوة
تتجزى وتكتسب بجميع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده وهي المسماة بحسن الخلق
قيل اطلق عليها خلقا لكونها ناشية عنه والا فحسن الخلق ملكة للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة
وهنا اربعة امور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس
حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا او ريا او نحوه ولا عن الثاني لان تعلق القدرة
بالشيء والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل الاصح جعل الخصال الحميدة حسن خلق
وجعلها مكتسبة فانها كسبية في اول امرها ثم تصير سجية طبيعية وهو مبني على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة
للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم اطال بما لا طائل تحته والثمرة
تدل على الشجرة فكن على بصيرة وهو اي حسن الخلق الاعتدال في قوى النفس واوصافها قوى جمع قوة وليست الشدة
وضد الضعف كما توهم بل الامور المذكورة في الخلق كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى النفسية واعتدال
القوى ان لا يخرج الى حد الافراط والتفريط فاعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الى الافراط
تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اذا اعتدل قوة الغضب تسمى شجاعة فان افرطت
فهي تهورة وان مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه
بحسن الخلق كما اشار اليه بقوله والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها
اى اطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المايل والمراد بالاطراف ما بيناه وقد يجوز فتح رائه على انه مصدر ميمي بمعنى الانحراف
والاول اولى فجميعها اى جميع الخصال الحميدة قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم انث ضمير جميع لاكتسابه
التانيث من المضاف اليه على الانتهاء في كمالها حال من ضمير كانت اى مستقرها تلك الاخلاق الحميدة الحسنة على انتهاء
الكمال بتشبيه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر في قوله على هدى من ربهم والاعتدال الى غايتها
معطوف على كمالها اى وصلت الى غاية الاعتدال والسداد حتى غاية للغاية اثنى الله عليه بذلك فقال وانك
لعلى خلق عظيم اى مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه لحسن مداراته وتحمل اذى قومه وملاطفته
لهم كما تضمنه قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه اى كان صلى الله عليه وسلم متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم
الاخلاق ومحاسن الاداب لا يتعداها فيرضى بكل ما يرضاه الله ويسخط بكل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه
وقال السهروردي قدس الله روحه في عوارف المعارف في كلام الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها سر غامض
وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على طبايع وصفات شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى الاشارة بقوله
خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته
نزع حظ الشيطان منه كما ورد في حديث شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها
امهات تلك الصفات الا انها في غير ممتزجة بظلمة الطبايع لتفاوت حاله عن حالهم فنزلت الايات لقمعها
تاديبا من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ورحمة خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات
كما قال كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا فتثبت فؤاده بها عند ظهور بعض الصفات لارتباطها بنفسه

فعند

عرض

اندلسی

فعند كل اضطراب تنزل اية لمصالحه كما وقع في احد اذ شج صلى الله عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شيء فلبس قلبه لباس الاصطبار وفاء بعد
الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات على تلك الصفات بحسب الاوقات وصفت الاخلاق النبوية بالقران
وفي ابقاء امهات تلك الصفات تهذيب للامة وتاديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال في كلامها رضي الله عنها رمز وايما
خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القران
استحيا من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال ادبها انتهى ولا يخفى ان خلقه
في كلامها اسم كان والقران خبرها وما قيل من انه على العكس لضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية
عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه صلى الله عليه وسلم معلوم والذي قصد اثباته انما هو بيان
ما تخلق به وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل المعاني فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقي
في دلائل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف
في رضى الله تعالى بالكفر وعدمه كما فصلناه في حواشي البيضاوي وقوله وقال عليه الصلاة والسلام
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق حديث صحيح رواه احمد عن معاذ والبزار عن ابي هريرة رضي الله عنه
بهذا اللفظ ورواه مالك في الموطا وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله
لا سيما في العرب فتممها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة وزاد فيها ما لم يسبق اليه وجمع ما تفرق منها
فيه وفي امته فهذا على حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيف فم ازكوه كما لا يخفى قال انس رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمي
وصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم بانه عظيم في الاية والغالب وصفه بالحسن كما في هذا الحديث لان
حسن الخلق وكرمه وادبه اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمؤمنين
غليظا على الكفار مهيبا في صدورهم فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام ولذا
اردفه المص بحديث انس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسلم عنه خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين
والله ما قال لي اف قط وعن علي بن ابي طالب مثله اى روي عن علي كرم الله وجهه مثل ما قاله انس رضي الله عنه
كما ذكره ابو عبيد في الغريب وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا اى مخلوقا مطبوعا عليها
اى على مكارم الاخلاق وفي اصل خلقته واول فطرته التي فطره الله عليها اى من غير تكلف ولا تعلم لم تحصل باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية بفتح الخاء وضمها ربانية منسوبة للرب على خلاف القياس وهكذا اى مثل
هذا من جميع مكارم الاخلاق فطرة ثبت لساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام اى لباقيهم او لجميعهم انهم
مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة وبعضها مكتسب واما الخلاف في الاخلاق
هل هي جبلة او كسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب والجبلي لا يقبل
التغير والزوال كما سبق تفصيله وفي قوله فيما ذكره المحققون اشعار بان خلافهم ذهب الى انها كسبية في الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فيعلم حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا في ذلك وخلط
بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة في كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكماء في ان النبوة تحصل بالرياضة
والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى الخلاف في مطلق الاخلاق والفضايل النفسية

ومنه اجتماعها جملة وكاملة في شخص واحد وهو النبي عليه الصلاة والسلام فلذا افرد الخلق ووصف بالعظيم في الاية السابقة انتهى البلخي ... في روح البيان لمحرره

كما ذكره في كتب الاخلاق وهو اشهر من ان يذكر ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك اى كونها خلقية
جبلية وانما قيده بقوله الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله تعالى له ذلك باخبار ملائكته
عليهم الصلاة والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه جبلي واما قبله فامره ظاهر لا يشتبه كما عرف من حال عيسى وموسى
ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام قيل انما خص هؤلاء بالتمثيل لما اشتمل عليه موسى وسليمان من الشهامة
ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم عيسى على موسى وهو قبله ويحيى على سليمان او لذكره اخبار
هؤلاء في الطفولية وهذا الثاني هو الحق فان هؤلاء وقع منهم امور في طفوليتهم وامور الطفولية جبلية من غير شبهة
كما اشار اليه بقوله بل غرزت فيهم الاخلاق بالجبلة واودعوا العلم بكتاب الله غرزت بالبناء المجهول واصل معنى الغرز
ادخال شيء في شيء فكان الطبيعة ادخلت فيهم ومنه الغريزة وهي الطبيعة وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة
الخلقة وفاطر السموات بمعنى خالقها واودعوا مجهول ايضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره
من الترتيب في النسخ عند ما يخالفه ويأتي من المصنف ما يبين ما قلناه قال تعالى واتيناه الحكم صبيا الحكم والحكمة
من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به من الفساد وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا وقال المفسرون
اعطي يحيى العلم بكتاب الله يعني التوراة في حال صباه اشارة الى ان قوله صبيا في الاية حال وهذا احد التفاسير
فيها وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من قرأ القران قبل ان يحتلم فقد اوتي
الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه لظهور اثارها كانه اوتيها فهو مجاز بناء على انه لم ينبأ صبيا فقط
وكذا اول قول عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقيل الحكم العمل
مع العلم وقال معمر بن راشد كان اي يحيى عليه الصلاة والسلام ابن سنتين او ثلاث وفي بعض النسخ ابن معمر
والصواب معمر بدون ابن وتقدم ان معمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو
معمر بن راشد ابو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره وروى عنه كثير واخرج له الائمة
الستة وهو ثقة الا ان له اوهاما ما يحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن وله ترجمة
في الميزان وقوله ابن سنتين او ثلاث قيل هذا غريب في الرواية والاصح انه كان ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه
منقول عن قتادة ومقاتل من طرق والغريب ما انفرد به راويه فكيف يكون غريبا فقال له الصبيان لم لا
تلعب فقال اللعب خلقت قال السيوطي رواه الديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ولم يسنده والحاكم
في التاريخ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بسند واه واخرجه احمد في الزهد وابن ابي حاتم في تفسيره عن معمر
قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري في معنى النفي ولذا روي لم اخلق للعب والمشهور انه لم يبعث الله تعالى نبيا طفلا
بل روي انه لم يبعث نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد وهذا نادر لا يرد نقضا ومن الغريب ما قيل ان الله
تعالى خلق عيسى عليه السلام بالغا عاقلا وانه كان في صورة طفل كما خلق عليه السلام وقيل انه الهم التوراة
في بطن امه وروي عن الحسن فلا حاجة لتاويله وردفيه بالتاويل المشهور وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله
صدق يحيى بعيسى عليه السلام هذا بناء على ان المراد بالكلمة عيسى عليه السلام لانه اوجد بدون اب فشابه
ما ابدع من عالم الامر كما قاله البيضاوي او لكونه اوجد بكلمة كن او لاهتداء الناس به كما يهتدون بكلام الله
كما سمي النبي صلى الله عليه وسلم ذكرا رسولا كما قاله الراغب وقال الصدر القونوي في نفحاته الصورة كل شيء في عرصة
العلم الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنور الوجودي الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها

شان

شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكناية تسمى صورة ومعلومية الشيء المراد بكينونيته ولهذا الاعتبار سمى الله
الموجودات كلمات وسمى عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق
شهودي فافهم ولا حاجة لجعل من زائدة على هذا كما قيل وهو اي يحيى عليه الصلاة والسلام ابن ثلاث سنين
فليشهد له انه كلمة الله وروحه قد بينا معنى كونه كلمة الله وكان يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ابنا خالة
كما مر ويحيى اكبر سنا منه واطلاق روح الله تعالى عليه اما لان جبريل عليه الصلاة والسلام المسمى بالروح نفخ في درع
امه فيكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة تملك وتشريف او لانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا وقع النصارى
فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق ارواح بني ادم قبل اجسادهم لما اخذ عليها الميثاق فامسك روح عيسى
عليه الصلاة والسلام فلما اراد خلقه ارسلها لمريم فلذا كان روحانيا وقيل الاضافة للتشريف كبيت الله
كما علم وقيل معنى روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري مسندا عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة وقيل صدقه يحيى عليه الصلاة والسلام وهو
في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له منصوب مفعول له اي سجوده
له سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه احمد
وابن جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه للنبي صلى الله عليه وسلم ومثله لا يقال
من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضي ان حمل مريم
بعيسى عليه الصلاة والسلام طالت مدته وفي تلك المدة اختلاف وقيل انها ولدته في ساعة نفخ الروح
وقد نص الله على كلام عيسى عليه الصلاة والسلام لامه عند ولادتها اياه تقول لها لا تحزني وهذا احد من تكلم
من المهد وفي عدتهم خلاف وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم
عليه السلام وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر امه ومر عليه راكب فقالت امه اللهم اجعل ابني مثله فقال
اللهم لا تجعلني مثله وظاهره الحصر لم يذكر معهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي قال لامه اصبري فانك
على الحق وهو في صحيح مسلم واجيب بانه لم يكن في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة
حكى انه ابن سبعة اشهر فلعله صلى الله عليه وسلم انما اطلع اولا على ثلاثة ثم اطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لثبوته
في صحيح مسلم كما يعلم وقالوا تكلم في المهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكره البغوي والقاضي في التفسير وروى
ان نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد وهو عند حليمة السعدية واول كلمة تكلم بها الله اكبر وحكي عن الواقدي
وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة فرعون كما في مسند احمد وفيه زيادة لقوله ابن
ماشطة ابنة فرعون وروى الضحاك تكلم يحيى عليه الصلاة والسلام في المهد ايضا ومبارك اليمامة الذي كلمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الدلائل فهم احد عشر كما فصله البرهان الحلبي رحمه الله ونظم عليهم القائل
في قوله اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم • فمنهم رسول الله احمد ذو المجد • خليل ويحيى ثم عيسى وطفل من •
دعت لابنها فوزا الذي شارة فرد • فقال الا لا تجعلني مثله • ورد عليها قولها افصح الرد • كذاك الذي
قد قال ان جريجنا بريء فلا ترموه بعد بما يردي • ومنهم نجيب كان يدعى مباركا • وقال رسول الله قد جاء
بالرشد • وماشطة كانت لفرعون تنتمي • وكان لها طفل تكلم في المهد • كذا شاهد في شان يوسف منهم فدونك جمعا

زايد الحسن في العد وقوله بقوله الخ يعني انها لما حملت بلا زوج وكانت فرت وهي حامل لمكان بعيد تخوفا من اهلها
فلما وضعته قال لها لا تحزني على قراءة من قرا من تحتها بفتح الميم على ان من موصولة بنصب التاظرف صلة وقد
اورد على المحشي هذا امران الاول ان تخصيص دلالة الاية على ان المتكلم عيسى عليه الصلاة والسلام في المهد بهذه
القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سواء في احتمال ان يكون المنادي عيسى او جبريل او بعض الملائكة وكيف
ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها مناد من تحتها قائلا لا تحزني فان قيل لو كان المنادي جبريل
عليه الصلاة والسلام كان فوقها لا تحتها لاتيانه من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت
على اكمة هو تحتها واذا كان المنادي عيسى عليه الصلاة والسلام قال الجعبري معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها
الثاني انه قيل ان كلام المصحح الاخلاق فانها جبلية وكلام من في المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق
العادة كنطق الجوارح يوم القيمة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو كم يدم فانه ينقطع ويعود في زمنه
ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد
ذكرهنا بقوله انما انا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما في القراءة بمن الجارة فلما عرف بالعلم الظاهر
وعدل اليه في محل الاضمار علم انه غيره وليس ثم احد فعلم انه عيسى ومعنى كونه من تحتها ان المراة في حال الوضع
ترتفع عن الارض على عال فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله الجعبري واما السؤال الثاني فساقط لانه وان كان
خارقا للعادة يدل على ان ما ياتي بعده من جنسه امر جبلي وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما
متواترة من السبعة وعلى قول ان المنادي بكسر الدال عيسى عليه الصلاة والسلام لا الملك ونص على كلامه في مهده
المهد كالمهاد بمعنى الفراش المهد للنوم ثم كما مرخص بما يربط فيه الطفل لنومه وقرانه فيه فقال اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا فلما تكلم عليه الصلاة والسلام بذلك علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم لامثاله
وجعل اول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه
والكتاب بالانجيل ويجوز ان يريد التوراة لعلمه صلى الله عليه وسلم بها او الاعم وتعبيره بالماضي باعتبار ما قدره الله تعالى
له او جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبي في صغره حقيقة كما روي عن الحسن وقال الله تعالى ففهمناها
اي القصة الاتية سليمان عليه الصلاة والسلام وكلا اي من سليمن وابيه داود اتينا حكما وعلما اشارة الى قصة
سليمان عليه الصلاة والسلام اذ اوتي الحكم صبيا وعمره اذ ذاك احدى عشرة سنة في الغنم التي نفشت في الحرث اي رعته
ليلا وافسدته والنفش الرعي بالليل بلا راع فانه كان بالنهار دفهو هملا وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم
الداخلين عليه من باب اخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللاخر غنم
دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث وبدفع الحرث لصاحب الغنم فداود عليه السلام راى
على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثاني راى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان
عليه السلام اخبراه بما حكم لهما به فرجع لابيه وقال اني رايت ما هو اوفق بالجميع وهو ان ياخذ صاحب الغنم الحرث
فيقوم عليه حتى يعود كما كان عليه وياخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها ودرها فاذا عاد الحرث لحاله
صرف ملك صاحبه له فقال اصبت وحكم بما قاله العلامة ابن القيم في كتابه معالم التقويم حكم داود عليه السلام
له بقيمة التلف فاعتبر الغنم فوجدها بقدر القيمة فدفعها لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر
بيعها ورضوا بدفعها واخذها بدلا عن القيمة وسليمان عليه السلام فقضى بالضمان على اصحاب الغنم وان يضمنوا

على ان يبقى الحرث بيده وقيل بدفع الغنم لصاحب الحرث ح

قال

ذلك

ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضع عليهم شيئا من حين الاتلاف الى حين العود فاعطى
اصحاب البستان الماشية لياخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدر ما فاتهم من نماء
حرثهم وقد اعتبر النمائين فوجدهما سواء فهذا علم خصه الله به واثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء في ضمان
النفش وفي المثل وهو الحق وهو احد القولين في مذهب احمد والشافعي ومالك والمشهور خلافه والقول
الثاني موافقته في ضمان النفش دون التضمين بالمثل وهو المشهور من احمد ومالك والشافعي والثالث
موافقته في التضمين بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته ولم يشعر
وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعي
بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب ابي حنيفة وما حكم به سليمان عليه الصلاة والسلام اقرب
الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحوائط حفظها بالنهار وما افسدت
المواشي بالليل ضمانه على اهلها يصح بحكم ضمان النفش ويصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب
الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثناء على سليمان عليه الصلاة والسلام بتفهيمه هذا الحكم فصح انه الصواب
انتهى وقال البجاني اختلف في حكمهما في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني ناسخ للاول او باجتهاد بناء
على ان كل مجتهد مصيب وكونه فيتا يرده ان فتيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام حكم مع انه يا باه قوله اذ
يحكمان وكنا لحكمهم قيل ويؤيد انه اجتهاد قول سليمان عليه الصلاة والسلام اني رايت ما هو اوفق بالجميع
وهو مبني على جواز خطا الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اجتهادهم وان لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام
يلوح عليه اثر الضعف وعلى ان شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعت
انفا وقول ابي السعود ان راي سليمان استحسان وراي داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل
ينقدح في نفس المجتهد والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يكون الا صوابا او هو العدول عن قياس
اقوى منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد او هو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام جائز ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود عليه الصلاة والسلام لان الضرر
وقع بسبب الغنم فسلمت بجنايتها الى المجني كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على نفس فيدفعه او يفديه
وعند الشافعي يبيعه بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدر النقصان في الحرث وسليمان عليه
الصلاة والسلام جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث ما يزيل
ضرره كما لو غصب عبدا فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر ترد له وفي هذا المقام كلام طويل
لا حاجة لنا به فان اردته فارجع اليه وقد ذكر من حكم سليمان عليه الصلاة والسلام وهو صبي يلعب في قضية
المرجومة وفي قصة الصبي ما افتى به ابوه كما افتى به في قصة الحرث وذلك كان في صباه واول امره فهذا
واشباهه مما يدل على انها امور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه التلمساني ان امراة كانت بارعة
الجمال وهي من اهل الدين ولها حق فرفعت امرها لاحد قضاة بني اسرائيل فلما راها افتتن بها وراودها عن نفسها
فامتنعت ثم ذهبت للثاني والثالث والرابع فكل راودها عن نفسها فاتت لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام فحجبت
عنه فاجمع الاربعة ان يقولوا لداود عليه الصلاة والسلام ان لها كلبا تمكنه من نفسها وتزني به ففعلوا فامر
برجمها فرجمت فبينما داود عليه الصلاة والسلام يوما في عليته اذ مر فاطلع على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي

داود

جميل فجعلوا سليمان قاضيا والصبي كمراة ذات حق وا ربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القصة بعينها من المراودة
والتهمة وذلك برأى من داود عليه الصلاة والسلام كما في قصة المرحومة فعرفهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه
فذكر لونا ودعى كلا بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للآخر فامر الصبيان فضربوهم فقال داود عليه السلام لعل القضية
هكذا فبعث للقضاة وسالهم عن لون الكلب على الانفراد فامر بهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من ابن عباس
مسندا وكذا نقله السيوطي رحمه الله في تخريج احاديث هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان المراد بالمرحومة
التي اريد رجمها لان داود هم برجمها ثم لما راى صنيع سليمان درأ عنها الحد فسماها المص رحمه الله مرحومة باعتبار
يؤول او لانه اريد رجمها يتبع فيه غيره فلا يخفى انه مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضي
انه كان في شريعتهم ان المراة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شهادة الزور يقتل وفي الشريعة المحمدية ان حكمها التعزير
وقصة الصبي هي ما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما امراتان معهما ابنان لهما فاخذ ذيب احدهما
فتحاكما الى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان عليه السلام فقال لهما ائتوني بسكين اشقه بينهما
فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها بالشفقة عليه ورضى الاخرى بشقه ليتشاركا في المصيبة
قال التجاني وهذا مما لا شبهة في صحته واما الحديث الاول فالله اعلم بصحته وقد وردت الاسرائيليات على غير رواية
ابن عساكر وان داود لم يرجمها وانما امرهم برجمها فمروا بها على سليمان فاوقفها واحضر الشهود وفرق بينهم كما مر
ورجع سليمان عن حكمه وعلى هذا يبنى ما مر من ان المرحومة هنا مجاز عن من اريد رجمها وفيه فوائد منها انه اذا
تجوز بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان ابا هريرة رضي الله عنه قال والله ان سمعت بالسكين الا ذلك اليوم
ومنها ان داود عليه الصلاة والسلام يحتمل انه قضى للكبرى لشبهه بينهما وانه كان في شريعته يجوز الالحاق بالشبه
او لكونه في يدها والترجيح باليد شريعة له صلى الله عليه وسلم واما سليمان عليه الصلاة والسلام فتوصل بلطفه
لمعرفة باطن القضية فاوهمها ارادة شقه ليسوي بينهما ومثله يفعل حذاق الحكام فيقصدون بامور لو جرت
لم يفض الى شرع ولعل الكبرى اقرت بانه ليس ولدها فرده باقرارها لا بمجرد الشفقة فلذا نقض داود عليه السلام
حكمه او انه نقض حكمه انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما في مزيل الخفا ومنها انه وقع في مسلم ان الصغرى
قالت لسليمان عليه السلام لا يرحمك الله فقيل يرحمك الله جملة مستانفة دعائية لكنها موهمة للدعاء عليه وفي الاثار
ان السلف كرهوا مثله لما فيه من الايهام يريد ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لمن قال له مثله لا تقل
هذا وقل يرحمك الله لا وروى بعضهم لا يرحمك الله اقول يعني ان الواو تزاد لرفع الايهام كما تحذف له في نحو قوله
فتظن سلمى انني ابغي بها بدلا اراها في الضلال تهيم فانه لو قال واراها ربما ظن انه معطوف
على ابغي وليس مراده ذلك وسال الرشيد رجلا عن شيء فقال له لا وايد الله الخليفة فاستحسنه منه فلما
سمعه قال هذه الواو احسن من واوات الاصداغ في خدود الملاح وهذه الواو اما زائدة او اعتراضية
او لعطف الانشاء على الخبر وحكى الطبري ان عمره كان خمسين او ولي الملك اثني عشر عاما وكذلك
قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل فرعون لقب لكل من ملك
القبط كما مر وهذا هو مصعب بن الوليد ابن ريان كان من القبط العمالقة عمر اكثر من اربعمائة سنة
وسن موسى عليه الصلاة والسلام حين اذ اخذ بلحيته ابن عامين وكان فرعون لعنه الله استعبد بني اسرائيل
واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فرأى في منامه او اخبره الكهنة ان زوال ملكه على يد غلام من بني اسرائيل

فامر

فامر بقتل كل مولود يولد منهم فرأى اهل مملكته ان في ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة
فعزموا على قتلهم عاما بعد عام قيل وهو بعيد لاحتمال ان يولد عام استحيائهم واتفاق العقلاء على مثله
غير ظاهر فلعلهم رأوا عاما ولادته زوجا او فردا او غيره وولد هارون في عام الاستحياء وولد موسى
في العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت امه فاوحى الله اليها ما يأتي على لسان ملك او رأت في ذلك
في منامها والقول الاول اما لان من لا يكون نبيا قد يرى الملك وقد جوزه جماعة من السلف ولعله كان في الزمن
السالف او ان امه كانت نبية والمشهور ان النبي لا يكون الا ذكرا قال التجاني وقد ذهب علماء قرطبة الى صحة نبوة
المراة وصححه ابن السيد ونسبه ابن الهمام الى بعض اهل الظاهر فاوحى الله الى امه ان تتخذ تابوتا تضعه فيه
وتقذفه في النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل فرعون فبينما هو جالس اذ دخل التابوت به عنده فاخذه
ال فرعون ففتحته اسية امراة فرعون رضي الله عنها فلما رأت فيه موسى رحمته وسالت من فرعون ان تتخذه
ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل به عليه فاحبه وجعله يوما في حجره فمد يده للحيته وجذبها جذبا شديدا
فغضب فرعون وقال هذا عدو لي وامر بذبحه فناشدته الله وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت
جربه فجعل بين يديه تمرة وجمرة وقيل درة وجمرة وقال ان اخذ التمرة او الدرة فهو يعقل والا عذر فلما
مد يده للتمرة ضربه جبريل عليه الصلوة والسلام فاخذ الجمرة فاحرقت لسانه ومنها كان في لسانه
عليه الصلاة والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف وهي التي ازالها الله بدعائه فعذره فلم يزل
في حجره الى ان كان ما كان وموسى وقصصه ونسبه مذكور في محله والطفل يكون للواحد وغيره وقد
يختص بالواحد فيجمع على اطفال فاشده قيل كل مولود ذكر وانثى يزيد كل سنة اربع اصابع باصابع نفسه
وكل احد طوله اربعة اذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة تزيد الى الاربعين وتقف
الى الستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون يوسف وقيل هو والله اعلم ثم ارتد وقيل ان
موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب امهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافاته
على ذلك في الدنيا وقال تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره
هذا احد التفاسير في العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون والرشد الاهتداء لوجوه الصلاح
ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال في الكشاف معنى اضافة الرشد له عليه الصلاة والسلام انه رشد
ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصل بدون الاضافة لو قيل اتيناه رشدا له افاد ذكره مع التعظيم ولم يفهم
مراده لا انا اتيناه رشدا معلوما من حاله لائقا به وبامثاله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لا كرشد غيره
وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء خلقه اي اختاره رسولا خليلا في علمه فانه لا يختص به بل المراد
انه حين اراد خلقه في بطن امه يأمر الملائكة ان يكتب اصطفاه وخلته لا لاجل ثوابها به وتعظيما لقدره
بخلاف غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المراد انه اصطفى روحه في عالم الذر
قبل خلق جسده كما في حديث كنت نبيا وادم الخ وفي نسخة قبل ابراز خلقه قيل لما كان من قبل على هذا
بمعنى قبل خلقه ولا معنى لهداية قبل خلقه اوله باصطفاه اللازم له لصحة اصطفا المعدوم وقال
بعضهم لما ولد نبي الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الله اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه
بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده يعني عبر بالماضي الدال على وقوعه

ابن الحنبلي

قبل امره فيكون المعنى اتيناه رشده قبل امره فيدل ذلك على الايمان واشتغاله بذكر ربه او مجبلي مجبول
عليه او امر عرفه به في عالم الذر او الارواح فيكون بمعنى ما قال ابن عطا او المراد انه عبر بالماضي لسرعة
امتثاله حتى كانه وقع منه فمعنى من قبل على هذا من قبل امره لا من قبل بلوغه كما قيل وقيل ان القا ابراهيم في النار
ومحنته التي وقعت له مع النمرود فانه كما رواه ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ولد في زمنه وكان له
كهنة فقالوا له يولد لك في هذه السنة مولود يفسد الهة الارض ويدعوهم الى غير دينهم وهلاك اهل بيتك
على يديه فعزل النسا على الرجال ودخل ازر الى بيته فوقع على زوجته فحملت فقال الكهان ان الغلام
قد حمل به الليلة فقال اقتلوا كل غلام ولد فلما اخذ ام ابراهيم عليه الصلاة والسلام المخاض خرجت
هاربة فوضعته في نهر يابس ولفته في خرقة ووضعته في حلفا واخبرت به اباه فاتاه فحفر له سردابا وسد
عليه بصخرة فكانت امه تختلف اليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربي فقالت انا فقال من ربك قالت
ابوك قال فمن رب ابي فقالت له اسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت له الغلام الذي يتحدث به انه
يغير دين اهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك وقوله كانت وهو ابن ست عشرة سنة كذا في الكشاف
قال التجاني المعروف انه كان ابن ست وعشرين سنة والذي اشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهم الكرد ولما
هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب لصلاب شهرا حتى كان من مرض ينذر جمع الحطب له ثم اشعلوا
نارا عظيمة اذا مرت بها الطير احترقت لشدة وهجها ثم وضعوه في منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداها
جبريل عليه الصلاة والسلام يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم تحرق غير وثاقه فقال له حين القي
الك حاجة فقال اما اليك فلا حسبي من سوالي علمه بحالي وقيل نجا منها بقوله حسبي الله ونعم الوكيل
واشرف نمرود عليه من صرح فاذا هو في روضة مع جليس من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فقرب
اربعة الاف بقرة وكف عنه وقصته مذكورة في القران مجملة مفصلة في التفسير واعلم ان نمرود كما قال
السهيلي بضم النون وذال معجمة وقد تهمل انتهى قيل لما ارادوا رميه في النار لم يقدروا على القرب منه
فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما ارادوا رميه لم يمنع الملائكة عليهم الصلاة والسلام فامرهم
فامرهم ابليس ان يحضروا نسا مكشوفة الفروج فصعد الملائكة للسماء وان ابتلا اسحق بالذبح
وهو ابن سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وهذا بنا على ان الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام
كما عليه اهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف الجلال السيوطي في تصحيحه رسالة مستقلة
والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهو قول اكثر الصحابة كابن
عباس وابن عمر ومعاوية رضي الله عنهم وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كانت لا ولد لها وهاجر جارية فولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامها معها فنقلها اسمعيل
عليه السلام [illegible] وكان بنتا بها فلما كبرت سارة وشاخ ابراهيم عليه الصلاة والسلام بشرتها
الملائكة باسحق فقالت االد وانا عجوز الاية فلو كان الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام ناقض
ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه امر بذبحه بعدما ولد له يعقوب للاجماع على انه
في صغره كما مر وبقوله فلما بلغ معه السعي ولانه في الصافات ذكر تبشيره باسحق بعد قصة الذبح وبهذا
احتج مالك وغيره وورد في الحديث انا ابن الذبيحين يريد عبد الله واسمعيل وفي تفسير الطبري

عن ابن عباس رضي الله عنهما تزعم اليهود ان اسحق هو الذبيح وكذبوا وقال بعض من اسلم من احبارهم
انهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الفضيلة فيكم وقال الاصمعي سالت ابا عمرو عن الذبيح
فقال اغرب عنك عقلك الم تر ان الموضع الذي اضجع فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحق مكة وقال
ابن الجوزي هو الصواب والقول بانه اسحق باطل باكثر من عشرين وجها واطال فيها ابن القيم في الهدي
وقال المحب الطبري الاكثر انه اسحق ورجحه هو وغيره والصحيح ما مر ويدل له حديث انا ابن الذبيحين وقصة
ذبح ابيه عبد الله مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا الى الله تعالى
فلما كملوا اتى بهم البيت وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول بان المراد
بالذبيحين عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحق كما نقله مغلطاي مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم يتعين
انه من ولد هابيل الا ان يجعل العم بمنزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف وان استدلال ابراهيم بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا ووجه الاستدلال ان الاجرام السماوية افلة وكل افل فهو
متغير وكل متغير حادث ولابد من الحادث بصانع فلا شي من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام
كهذه الاجرام في التغير فلا شي منها بصانع بل هي دونها فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغير لها
موجود اذ لابد للعالم من صانع فثبت المطلوب بدليل مولف من قضايا مستلزم لذاته قولا اخر هو
النتيجة او الدليل ما يدل بالقوة وان كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم
بمطلوب خبري كالعلم المستدل به على وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لما اخفته امه في غار خوفا عليه كما مر مكث في الغار عشرة اعوام او اربعة اعوام
كما في عيون المعاني او خمسة عشر شهرا كما حكاه المص فلما عقل سال امه من ربي كما مر وفي رواية فقالت
ابوك فقال من ربها اي فقالت الملك فحمر فجهلها ونظر ما يستدل به عليها فراى النجم فقال هذا ربي
الى اخرها قصه الله والاقوال بناء على ان هذا قبل بلوغه في الغار وقيل انه بعد بلوغه في الغار وبعد
بلوغه وخروجه منه وقد بعثه الله نبيا وجزم اكثر بما ذكر وهو الذي يقتضيه ظاهر القران لانه حكى فيه
انه قال لابيه اتتخذ اصناما الهة ثم عقبه بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض الخ ثم
ربط به قوله فلما جن عليه الليل الخ فدلت الفا على كونه بعد هذا كله وقوله وتلك حجتنا الخ يدل على انه مناظرة
مع قومه ليرشدهم للايمان بالصانع لا لنفسه وبينه قوله يا قوم اني بري مما تشركون ولو كان في الغار
نظر لنفسه قال اني بري من الاشراك فاذا ثبت هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكوكب فقوله
هذا ربي اما انه في المناظرة على ما قالوه ليكر عليها بالابطال لانه مسلم عنده او قوله هذا ربي على تقدير
الاستفهام والاستفهام انكاري او هو على تقدير يقولون هذا ربي والتقدير في الكلام قالوا هو كثير
حذف عنه ولا حرج وهو في القران كثير او انه عرف طباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتدا فاتى بما يستدرجهم
الى استماع حجته بان اسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا صاحوا له اورد الدليل المبطل لما يعتقدونه
بما هو اقرب واتقى وهذا قريب من الاول وان فرق بينهما بلغى هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار
وسياتي في القسم الثالث ما يتعلق بهذا وقول المص استدلالا وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصده
دفع ما قيل ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام موحدون لا يصدر منهم شك في الله ووحدانيته

كملوا

فكيف صدر هذا من الخليل عليه الصلاة والسلام بانه صدر منه قبل سن التمييز وهو غير مكلف فليس
بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد انهم اعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة
موحدون فالاولى ما قدمناه من التاويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد بلوغه بل
وبعثه وان سياق الاية ناطق به كما قررناه اولا وهو ظاهر ارتضاه القرطبي في تفسيره وقيل انه قاله في طفوليته
من غير اعتقاد ولا قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض قصة اخرى لانه قصد النظر لنفسه والقايست لتعقيب كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل
المعاريض تعريضا بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول بانه على تقدير مضاف اي هذا مخلوق ربي
لا يخفى بعده وقيل اوحى الله الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو صبي هذا الوحي يحتمل ان يكون
برسول من الملائكة ارسله الله اليه وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث نبيا الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر
فقد روى المحدثون والمفسرون ما يخالفه ويحتمل انه بالهام او رؤيا منام وقد ذهب الى كل من هذه الاقوال
طايفة وفي الكشاف ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان اذ ذاك مدركا وعمره سبع عشرة سنة وهو مخالف
لما قاله المص رحمه الله تعالى من انه كان صبيا عندما همّ اخوته بكسر الهمزة وضمها جمع اخ بالقائه في الجب
بضم الجيم وتشديد البا وهو البئر غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب ببيت المقدس
وقيل بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام وقصة القائه بالجب مشهورة غنية
عن البيان ويأتي ذكر اخوته وقصتهم بقوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه
لتنبئنهم اي لتخبرنهم يا يوسف اخوتك بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية اما متعلقة بقوله
اوحينا او بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المص رحمه الله تعالى وقيل بل كان ابن اثنتي عشرة سنة او ثمانية
عشر فعلى الاول هو ممن نبئ او اوحى الله في صباه كيحيى وعيسى فالوحي في الاية على ظاهره كما ذهب اليه المص
رحمه الله تعالى وقوله هم هو معنى قوله تعالى واجمعوا الخ اي اجمعوا امرهم لان معنى اجمع عزم وهم كان جعل
داية جميعا بعد ما تفرقوا وهو يقتضي ان الوحي وقع له حين هموا بالقائه وفي الاية ما يقتضي انه وقع بعد
القائه قال القاضي انهم اتوا بيوسف عليه الصلاة والسلام الى البئر ودلوه فتعلق بشفيرها فربطوا
يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر
كوكبا يلبسوك ويونسوك فلما بلغ نصفها القوه وفيها ما فاوى الى صخرة بها وقام عليها يبكي فجاءه
جبريل عليه الصلاة والسلام بالوحي كما قال الله تعالى انتهى وهذا يقتضي ان الوحي بعد الالقاء
تطييبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون ان الله اراحه بما بشره به من نصره فالحال من ضمير
اوحينا والاولى جعله حالا من قوله لتنبئنهم اي لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد
وتغير حالك فهو اشارة لما وقع لهم لما اتوا ممتارين ليعلم ان المحنة تنقلب منحة الاية اي اذكر الاية التي ذكر
فيها ما مالها الى غير ذلك من اخبارهم اي اخبار الانبيا عليهم الصلاة والسلام الدالة على انهم مجبولون
على الكمال من ابتدا امرهم في صغرهم وقد حكى اهل السير مما يدل على ذلك ان امنة بنت وهب ام النبي صلى الله
عليه وسلم اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد اي خرج من بطنها حين اراد الله اخراجه منها
فلا لغوية فيه وقال حين ظرف متعلق بباسطا الاتي وهو حال من الضمير المستكن في ولد الاول والظرف موكد

لدفع

لدفع ان الحال مقدرة باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابي الحسن
بن اسيد مرسلا قال قالت امنة ولدته صلى الله عليه وسلم جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ثم قبض قبضة من الارض
واهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه انا فوجدته قد تعلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه
يشخب لبنا انتهى وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم لما وقع الى الارض مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة
كالمسبح بها وله نظاير ذكرها ابن حجر في كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض اصابعه في هذا الحديث وبين
ما في سيرة ابن اسحق من انه ولد واضعا يديه في الارض رافعا بصره وانه كان مسبحا اقول اما التسبيح فلا
دلالة عليه في الحديث واما عدم منافاته لما في سيرة ابن اسحق فمسلم لكنه مناف لما ذكره المص رحمه الله الا بتاويل
بعيد ويؤيده قول الابي صيري في قوله رافعا طرفه وفي ذلك الرفع الى كل سودد ايماء وقال في حديثه صلى الله
عليه وسلم لما نشات اي صرت شابا وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلائل عن شداد بن اوس بغضت الي الاوثان
بالبنا المجهول اي بغضها الله لي وهي جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد من اوثنه اذا اجزلت عطيته واوثنت
كذا اكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ما له جثة مما يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما
وقد يطلق على الصليب وكل ما يشغل عن الله وبغض الي الشعر اي انشاؤه والتلفظ به ولم اهم بشيء مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد وكونه صلى الله عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافي قوله ان من الشعر
لحكمة لان فيما يحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وهجا الكفار كما قال تعالى وانهم يقولون ما لا
يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله عليه وسلم واجاز قايله وقال مرة لقائله لا يفضض الله
فاك لان المراد الامر المذموم وقد يحمد لعارض ويقال تعريف الشعر للعهد وقوله اهم بفتح الهمزة وضم الهاء كما قاله البرهان
الحلبي وفسر بمعنى لم ارد واقصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن علي كرم الله وجهه ولفظه
ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه ما اريد ثم ما هممت
بعدها بشيء حتى اكرمني الله تعالى برسالته ورواه في المستدرك بلفظ اخر قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة
ترعى غنما ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الصبيان فجئت ادنى دار من دور مكة فسمعت غنا
وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغنا وذلك الصوت
غلبتني عيني فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى
كذلك والله ما هممت بغيرهما مما تفعله الجاهلية وروي ان الله تعالى القى عليه النوم في المرتين صيانة له
وليس في هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف في العرس غير ممنوع واما النهي عن سمر
الليل فليس نهي تحريم مطلقا وكان مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون افضل من النوم كذاكرة العلم وانما
يحرم او يكره لعارض كذا ذكره الفقها وقوله فعصمني الله اي حفظني من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى
لم يسمع وما وقع في بعض الشروح ان كلامه اشارة الى انه كان لقريش صنم يسمى بوانة يجتمع عنده في كل عام
فقالوا انك لا تجتمع مع قومك ولا يكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا لرؤية رجل طويل حال بينه وبينها
فغير مناسب هنا مع انه روايته كلاما للسهيلي ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن
الفترة كما تقدم ثم تمكن الامر لهم ويتزايد في نفحات الله عليهم الضمير للانبيا عليهم الصلاة والسلام
والظاهر انه معطوف على غرزت من قوله سابقا بل غرزت فيهم الاخلاق الى اخره وعطفه بثم لبعد رتبته

النوم سان

او زمانه باعتبار الابتدا او الانتها و يتمكن بمعنى يقرو يثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر
ما اودع فيهم من الكمال والعلوم وتترادف تتفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد انها تتوالى فياتي
بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهي في الاصل رايحة تاتي مع هبة من النسيم طيبة وهي هنا
بمعنى الهبة والعطية قال لما اتيتك ارجو فضل نايلكم نفحتني نفحة طابت لها العرب والمراد هنا امداد الله لهم
بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجاز اتهكم كقوله ولين مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث
ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها وتشرق انوار المعارف في قلوبهم تشرق بمعنى تضي يقال اشرقت الارض والشمس
اذا اضات وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية حتى تصلوا الغاية اي غاية الكمال في التخلق باخلاق
الله ويبلغوا بما اصطفاهم الله تعالى له اي يجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم بالنبوة متعلق بيبلغوا
او باصطفا في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية التي لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد لكنه
تفنن في العبارة دون ممارسة اي من غير تكرار عمل ومزاولة ولا رياضة اي تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة
اروضها اذا عودتها السير والجري قال الله تعالى ولما بلغ اشده اي موسى عليه الصلاة والسلام بلغ نهاية قوته وتمام
عقله وهو من ثلاثين الى اربعين او ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد او جمع لا واحد له او واحده او شد بالفتح
او الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال ينتهي لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا لا ينافي
ما مر لما ذكره الفقها من ان رشد البالغ ببلوغه هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضي الله عنه واستوى ذكر
الاستوى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكره في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام قال التلمساني لان
الاستواء كمال العقل ووقت الرسالة وموسى عليه الصلاة والسلام ارسل في ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ
ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوفى خمسين سنة فقد بلغ انتها الكهولة وهو مجتمع الاشد
ومن بلغ اربعين فقد بلغ حد الاستوا ومنتهى الكمال انتهى اتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين وسياسة الامة وكذلك
نجزي المحسنين على وقوع الجزاء بالاحسان للتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين اي مخلصين مراقبين
لله في افعالهم وهل جزا الاحسان الا الاحسان واستشهد المص رحمه الله تعالى بهذه الاية لانه تعالى اخبر فيها بكمالهم و
وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتفعوا الى اقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة وقد يجبل غيرهم اي غير
الانبيا عليهم الصلاة والسلام يطبعوا اي يخلق مجبولا على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها وفي نسخة
دون بعض ويولد عليها موجودة فيه اما اصلا وهذا كالتفسير لما قبله فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله
عز وجل منصوب بنزع الخافض اي بعناية الله ولطفه اذ جبله على اصولها كما يشاهد من خلقه بكسر الخا المعجمة
وسكون اللام وقافوها تانيث او بفتحها مضافا للمضمر والاول اولى وعليه اقتصر ابن رسلان بعض الصبيان
على حسن السمت السمت الطريق وهيئة الخير اهل يقال ما احسن سمته اي هديه وسيرته وقد ورد في الحديث
بهذا المعنى او الشهامة او خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والها والميم اي حدة الفوايد والذكا والجلادة
والنفاذ في الامور يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيا نشيطا في اكتساب المعالي وعدم الالتفات للملاحات
والخصومة وفي الحديث من لاحى الرجال سقطت مروته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال
كما ينهاني عن عبادة الاوثان او صدق اللسان او السماحة كان الظاهر عطفها بالواو لكنه لما اتى بيانا لبعضها راعاه
او لفاصلة انسب وكما نجد بعضهم على ضدها اي ضد المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن

ابن الحنبلي

اهل ع

الراكب من مركوبه كما في قوله تعالى على هدى من ربهم فبالاكتساب يكمل ناقصها فان قلت لم عبر هنا بالكمال
وقبله بالتمام وهل هو تفنن في التعبير او بينهما فرق قلت قال العيني بينهما فرق الا انه لم يفصح عنه وقال
ابن ابي الاصبع في كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام
فاذا قلت رجل تام الخلق يفهم منه السامع عربيا كان او غيره الا انه تام الخلق ليس في اعضائه نقص
فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية او العرضية وهذا هو
المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو اخص منه وقد يطلق كل منهما على الاخر تجوزا [illegible] وعليه قوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي انتهى وما ذكره المص يتمشى على الاخر حيث جعل ما في حق الانبيا
عليهم الصلاة والسلام تماما وما في حق غيرهم كمالا ولو عكس كان احسن وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها بالجيم والبنا للمجهول اي يكتسب ويحصل لمن لم يطبع على شي منها او طبع على ضدها وان لم يكن الطبع
كالتطبع وهذا قسم اخر غير ما تقدم فان الاول وهو [illegible] مرتبة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ان يطبع على جميعها
والثاني ان يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان يطبع على عدمها ولكونه ناقصا لم يتعرض له اولا فسقط
ما قيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه وبالاكتساب يكون
كمالا اي كمال البعض الخلقي الا انه بعينه انجلاب المعدوم بالنسبة لذلك البعض ويعتدل منحرفها المراد
بمنحرفها المايل عن الاعتدال المحمود لانه هو الطريق فمن فرط او افرط فقد مال عنه وهذا بنا على القول
الاصح لان الطباع يمكن تغييرها والا لضاعت المواعظ والنصايح وكان الانسان دون البهايم التي
برياضتها قد تتعلم ما ليس في طباعها وقد قال تعالى وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وقال الشاعر
تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى اخا كرم الا بان يتكرما كما فصل في علم الاخلاق وباختلاف هذين الحالين
الجبلي والكسبي يتفاوت الناس فيها اي في الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا وكل ميسر لما خلق له
هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح واوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن
خلق سعيدا يعمل عمل اهل السعادة ومن شقيا يعمل عمل اهل الشقاوة ولذا كان التوفيق خلق قدرة
الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية والخذلان وقال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ولهذا التفاوت فيها ما قد اختلف السلف فيها
ما في اكثر النسخ وهي موصول اسمي او حرفي او زايدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف
من تقدم من العلما هل هذا الخلق الحسن الذي يحمد به الناس جبلة او مكتسبة الجبلة والغريزة والطبيعة
والسليقة بمعنى وهي بكسر الجيم والبا وتشديد اللام وتخفيفها فحكى الامام المفسر محمد بن جرير الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن الذي يجمع اكثر الطبايع المحمودة جبلة وغريزة تخلقها الله في العبد ونعيمه
بالعبد على ان المطلوب منه تخلقه باخلاق الله سيده وحكاه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والحسن
البصري وبه قال هو اي ابن جرير صرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له والصواب ما اصلناه اي قدمناه
وجعلناه اصلا وقاعدة فيما مر من انه منها ما هو جبلة غير مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعليم والرياضة
وقد تقدم الكلام عليه وقد روى سعد اي ابن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كل الخلال
بكسر الخا المعجمة بوزن رجال جمع خلة بفتح الخا المعجمة وتشديد اللام وهي الخصلة والصفة يطبع عليها المومن

الكمال والتمام

ابن ابي الاصبع

الا الخيانة والكذب وهو حديث صحيح رواه احمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وابن ابي شيبة في المص
عن ابي امامة رضي الله عنه ورواه ابن ابي الدنيا في الصمت عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطني في العلل
الموقوف اشبه وعنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الذهبي يطبع المومن على كل شي الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة
وهي تشمل امورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف ويعني
ان هذين لا يكون طبيعة مخلوقة في المومن مطلقا لان المومن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين
في غاية القبح فلا يختار اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفره او المراد المومن الكامل وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور في سننه وابن جرير وابن ابي حاتم في حديثه
والجراة بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للراء وتحذف وهي الشجاعة او اعم منها ومقابله ما اشار اليه بقوله
والجبن بضم الجيم والباء وتخفف النون وتسكن باء كثيرا وهو عدم الاقدام للخوف وضد الشجاعة واما الجبن
الماكول بتثقيل الباء والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تلمح القائل يقولون لي هلا اجترات لدى الوغى
وكنت شديد الباس في الضرب والطعن فقلت دعوني قانعا باسلامتي فاني ما ياكل الخبز بالجبن عاجز
يضعهما الله حيث يشاء وفي هذا وما قبله دليل لما صوبه فانه فيما قبله جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث
عمر رضي الله عنه جعل الخيانة والجراة عزيزتين مطبوعتين فدلا على ما ادعاه من ان منها ما هو طبيعي ومنها
ما هو غير طبيعي وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة لا يمكن استيفاء اقسامها تفصيلا ولكنا
نذكر اصولها التي تتضمن باقيها اجمالا ونشير الى جميعها اشارة لا تصريحا وتحقيق وصفه صلى الله عليه وسلم
بها ان شاء الله تعالى فانه المقصود من ذكرها **فصل** اما اصل فروعها هذا الفصل معقود لبيان اصول
الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا لتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق المذكورة قبله
وعنصر هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثاني افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها
التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع في قوله ينابيعها جمع ينبوع وهو ما ينبع الماء منه
كالعين وكل ما ينفجر منه الماء ونقطة دايرتها والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح
مستديرا يكون في حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذي يحيط بالسطح متساوية
فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دايرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه العقل الذي
مبنى الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمرها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه
بعينه تلك الاخلاق كلها الفايضة منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل يتساوى جميع جوانبها والاخلاق كسطح او خط
محيط بها فقال فالعقل وهو مشتق ماخوذ من عقله اذا شده فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه عما لا يليق ومن العقل
وهو الملجا لالتجاء صاحبه اليه وهو كما قاله الراغب يقال للقوة المتهية لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد
منه ولذا قال علي كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء
الشمس وضوء العين ممتنع وفي الحديث ما اكتسب احد شيا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى
وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال اخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح انه قوة نفسية هي منشا
الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله
الذي ينبعث عنه اي ينشا ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله العلم والمعرفة العلم يكون بمعنى مطلق

الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوي انها تكون
بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما في قوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي الله يعرفهم والعلم
بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل
وتبع فيه السيد في شرح المواقف في قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطاه فيه الحافظ العراقي
رحمة الله عليه كما في نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد في الحديث
وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاي اجماع مخالف لهذا ومثله عجيب من الشريف ويتفرع اي ينشا
ويظهر ناظر لكونه اصلا عن هذا عداه بعن لتضمين يتفرع معنى ينشا والمعروف تعديته بعلى وهذا ناظر للاصل
الذي هو العقل ثقوب الراي اي نفاذ رايه فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اي مضي فقوله
وجودة الفطنة وهي الحذق وسرعة الانتقال والاصابة اي موافقة الصواب فيه تفسير لثقوب الراي وصدق الظن
اي موافقته للواقع كاليقين كما قال الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وان سمعا والنظر للعواقب اي كانه
ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال واني لارجو الله حتى كانما ارى بجميل الظن ما الله صانع ومصالح النفس
مجرور معطوف على العواقب او مرفوع معطوف على ثقوب الراي اي ما فيه صلوحها وخيرها ومجاهدة الشهوة اي
مدافعتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وحسن السياسة
لغيره بامره من سلمه اذا حكم عليه وهو لفظ عربي لقوله وكنا نسوس الناس والامر امرنا وليس معربا كما توهم
ابن كمال في رسالة التعريب والتدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله ايضا واقتناء
الفضايل اي اكتسابها والتحلي بها وتجنب الرذايل اي ترك كل ما يذم وينقص به الانسان كالكذب والخيانة
وقد اشرنا اي ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه في صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد
يراد بها العبارة ايضا لنكتة الى مكانه منه عليه الصلاة والسلام الضمير الاول له صلى الله عليه وسلم والثاني
للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضايل يقولون فلان بمكان من الفضايل يريدون علو رتبته فيه
وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حايز له ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة في تمكنه منه ولا يخفى ما فيه
من التكلف من غير داع له وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لا يبلغها بشر سواه كما سنبينه واذ جلالة محله من ذلك
قيل الظرف متعلق بقوله حارت العقول التي في اخر الفصل اي حارت العقول وقت حلوله الى اخره واذ تعليلية
اي حارت العقول لاجل الى اخره وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اي من اجل ان جلالة محله الخ
واذ تعليلية كما في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من اجل ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاده
لك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقيق ولا يخفى ما في هذا كله من التكلف والذي ظهر لي انه معطوف على ما قبله
لانه يعلم من الاشارة الى مكانه منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة
محله امر متحقق بالدليل القاطع واستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو في القران وكلام العرب
متداول قال ناظر الجيش في شرح التسهيل في قوله اجدك لن ترى بثعيلبات ولا بيدان ناجية ذمولا ولا متدارك
والليل طفل ببعض نواشغ الوادي حمول لا متدارك بالجر لان المعنى لست برا ولا متدارك وجعله ابو حيان من العطف
على التوهم كقوله مشاييم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها والاولى انه من العطف على المعنى وفرق
بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام بيناه في نكت المغني وقوله من ذلك اشارة للاصل وللمناصحة تعلقه بقوله

ابن الحنبلي

حارت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له ومما يتفرع منه من الاخلاق الشريفة وثمراتها محقق للاريب فيه لتواتره
بحسب المعنى عند من تتبع اى علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوا في تتبع خواص التراكيب مجارى احواله جمع مجرى
بالضم واصله مسيل الما والمراد ما جرت به عادته في احواله ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا ينابيعها فانه جار
على مجراها ومنحدر اليها واطرادسيره الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد او غيره ومنه مطاردة
الفرسان في الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالغزوات وقيل المراد مجار
اطرادها ليوافق قوله مجارى احواله اى محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ تبع بعضه بعضا وجرى والانهار
نطرد اى تجرى ومنه الاطراد البديعى لسرد اسما الممدوح واباءه مرتبة والمعنى جرى سيره في جداول الكتب منسجمة فهو
استعارة وجه الشبه فيها الكثرة ولا يخفى ما فيه من البعد وطالع جوامع كلامه اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة
للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التي تتحير فيها عقول البلغا والحكما وحسن شمائله بالجر معطوف على كلامه
وهي جمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال في المومن اخر من شماليا اى من خلقى وعادتى وبدايع سيره اى سيرته
البديعة وينبغى ان يراد بها كتب السيرة حتى لا يكون مكررا مع ما مر وحكم حديثه بكسر الحاء وفتح الكاف وهى القول
المصيب غرض الحق والحديث معروف وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة بالتشديد والتخفيف على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام كالزبر والصحف اى على علمه بذلك والتورية اجل الكتب المنزلة قبل القران واصلها
وورية ابدلت الواو تا ووزنها تفعلة بفتح العين او كسرها وقيل وزنها فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل
وهذا امر تقديرى لتجرى عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجرى في غير كلام العرب وحكم الحكما جمع
حكمة اى ما لهم من الحكم في كلامهم فانهم كان لهم اعتنا بذلك وقد مر انه جمعها ابن مسكويه في كتاب كبير سماه
جاودان خرد وقد طالعته فرايت اكثره ورد في الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان درر الالفاظ
النبوية لا يمكن مضاهاته وسير الامم الخالية اى ما وقع في زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث
عن بنى اسرائيل وما كان من عجايبهم وايامها اى وقايعها في حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت بهذا المعنى كما
يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شايع صار حقيقة فيه ومما قلته مثيرا لهذا تمنيت من دهرى
زمانى مساعد زمانا به طيف السرور كاحلام فجا بايام على انه مضى ولكن حروب قد تسمت بايام
وضرب الامثال الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذى وقع فيه اولا مستعار من ضرب الخاتم او اللبن
كما حققه اهل المعانى والتفسير وهو ما يعتنى به البلغا لكشف المعنى المتخيل وابرازه في صورة المشاهد
الى غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتاليف وسياسات الانام السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان
وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما يعتريه النوم
او الانس والجن او ما على وجه الارض من الخلق فيختلف بحسب ما يضاف اليه وتقرير الشرايع اى بيان
ما يتعلق باحكام الشرع في المعاملات وغيرها وتاصيل الاداب النفيسة اى بيان اصول الاداب التى
تتادب بها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله عليه وسلم اكرموا عزيز كل قوم ونهيه عن الملاحاة
والمجادلة كما مر وقوله تهادوا تحابوا وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون والشيم الحميدة
جمع شيمة وهى العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اى عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مضموما ما ذكر
الى فنون العلم التى كانت في الامم السالفة كالطب وغيره لما لم ينه الشرع عنه التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة

والسلام

ابن الحنبلي

والسلام فيها قدوة اقتدوا بها فيها واستدلوا به عليها واشاراته في اثناء كلامه بها حجة دليلا عليها كالعبارة
بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبى وذكره الازهرى والجوهرى الا انه
لم يضبطه والذى في النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرويا وهو على قسمين في الرويا الصحيحة لانها على ثلاثة
اقسام رويا خلقه من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فراى نارا توقد عنده او
البرودة فراى ماء وبحرا او اكل ما كل غليظ سوداوية كالباذنجان فراى سواد وسمى اضغاث احلام ولا تاويل
لها وكذا من غلب فكره في شئ فراه كما قال المعرى الى الله اشكو اننى كل ليلة اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامى
فان كان شرا فهو لا بد واقع وان كان خيرا فهو اضغاث احلام ورويا من الله يريها له ملك الرويا عند
اهل الشرع او تدركها الروح اذا انقطعت عنها علايق البدن واتصلت بالملا الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة
فترتسم في الحافظة وتبقى شاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع ما راه بعينه
ولم يحتج للتاويل وهو الاكثر في رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومن كان على سننهم ولذا اراد الخليل
عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه ولم يأول روياه بالفداحة امره الله تعالى به والا فتاول بما يناسب
معنى او لفظا او محاكيه صورة وفعلها عبر بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وظلامة او
عبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رايتهم ينكرون عبرت
بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو
رايت رويا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا انتهى هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهرى
وصاحب القاموس وغيره وقال في عدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبوره الهوا من لسان
المتكلم لسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرويا انتهى يعنى انها فيه مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها
بكسر العين لا غير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واساء فسام اجابه ثم جا من بعده فضار به مضاربة
العميان فقال انه كلام ضعيف مردود ولم يقف على المراد ولم يات بما يدفع الايراد فاخطا في المعنى والعبارة
واما تحقيق معنى الرويا فليس هذا محله ولعل النوبة تفضى اليه في بحث النبوة وقد افردناه بتعليقه
والطب وهو مثلث الطا الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان
من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوايل وللعرب فيه اعتنا وقد افرد الطب النبوى بالتاليف
والحساب بكسر الحا مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما للعلم يعرف به احوال المقادير وهو من العلوم
الرياضية القديمة والفرايض ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث
وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق هذا اللفظ عليه بعد
نزول القران ومعناه ظاهر والنسب اى معرفة انساب الناس من ادم عليه الصلاة والسلام الى كل عصر
وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتنى به وهم اعلم الناس به بعد النبى عليه الصلاة والسلام الصديق
رضى الله عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرايض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية
وفرض كفاية لا سيما الفرايض والانساب فان النبى صلى الله عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب
لغير نسبه فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كما نقله التلمسانى
وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته صلى الله عليه وسلم في ابوابه ان شاء الله تعالى وقد حصل صلى الله عليه وسلم

ذلك دون تعليم من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق ولا مدارسة من درس الكتاب اذا قراه
وحفظه اى لم يعرف باخذه من الافواه وحفظه الشيء فى العلوم عن غيره ولا مطالعة كتب يقال طالعت الشى اذا
اطلعت عليه اى لم يطلع على شيء من الكتب بقراتها او سماعها لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين لم يره
احد قرا ولا تعلم ممن قرا واستعمال المطالعة بمعنى القراة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوى من تقدم ككتب
الانبيا عليهم الصلاة والسلام او الحكما ولا الجلوس الى علمائهم اى لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب
من تقدم لياخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى فهذا ذلك الذى حصل له صلى الله عليه وسلم انما هو علم
لدنى غير مكتسب من احد من البشر واما قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه الرد على قولهم المذكور
بانه كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم فى ذلك كما هو مبسوط فى التفسير بل هو عليه
الصلاة والسلام نبى امى لم يعرف بشيء من ذلك التعلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة اى مبنى عن الله
او منبيا لا عن مخلوق والامى منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراءة
والكتابة كانت عزيزة فيهم والامى الذى لا يكتب ولا يقرا الكتب وقيل هو الذى لا يكتب وعما شرحناه علمت
مناسبة ذكر النبى هنا وفى الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اى على جبلتنا لا نتعلم حسابا ولا كتابة
فلا ينافى ما مر من علمه صلى الله عليه وسلم بالحساب حتى شرح الله صدره اى وسعه ونوره بالعلم والحكمة
وهداه لكل خفى من العلوم وابان امره اى اظهر امره فى العلم للناس باياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامة
الحجج المتواترة وعلمه من لدنه العلوم المعهودة وغيرها واقراه اى قدره على القراءة بما القاه اى عما اوحاه
اليه بواسطة الملك والاسناد مجازى او التجوز فى الظرف كقوله سنقريك فلا تنسى يعلم بالنبا المجهول
ذلك اى ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم بالمطالعة اى بالاطلاع على سيره عليه
الصلاة والسلام وشمايله من كتب الحديث والبحث عن حاله وفى نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديته
بعن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسوال وغيره ضرورة منصوب بنزع خافض متعلق بيعلم اى من وقف على احواله
صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل وبالبرهان القاطع
على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا اى ويعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها
فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله
تقليب البصر للادراك ثم استعمل فى التامل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا
اى من نظر فى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم علم قوة عقله او انه احاط بعلوم لا نهاية لها فلا نطول بسرد
الاقاصيص السرد تعداد امور منها القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد خلق الدروع
وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس
كما قاله التلمسانى يقال قص واقتص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص
جمع قصص كانعام واناعيم فى جمع جمع نعم الا انهم لم يكونوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى واحاد
القضايا احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفردها وفى العباب سيل ابو العباس عن الاحاد اهو جمع للاحد
فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو يحتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية
ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا جمع قضية وهى الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهى

ابن الحنبلى

قريبة

قريبة من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهى اخص من الكلام والجملة ووزنها
فعالى عند الكوفيين وفعايل عند البصريين اذ مجموعها اى جميع قصصه وقضاياه مالا ياخذه حصر اى ضبط
اصل معنى الاخذ حوز الشيء وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم كما مر وهذا هو المراد
هنا وجعل مجازا او كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله ولا يحيط به حفظ جامع اى لا يجمعه والاحاطة الاخذ
بجوانب الشيء واريد به ما ذكر وبحسب عقله قال البرهان هو فى الاصل بسكون السين وينبغى ان يفتح اى
بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذى فى القاموس هذا بحسب ذا اى بعدده وقد يسكن
ولم يخصه بالضرورة كانت معارفه صلى الله عليه وسلم جمع معرفة اى علومه الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما
يكون وما كان اى مضمومة الى جميع او باقى ما اطلعه الله عليه مما تقدم فى الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرائعهم
وما اطلعه الله عليه من المغيبات التى ستاتى ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون اقوى منها بواسطة علمه بما
كان قدم ما يكون فى المستقبل على ما كان فى الماضى مع سبقه اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس وعجايب قدرته
وعظيم ملكوته مجرور معطوف على علم والمراد ما اطلعه الله عليه فى الاسرا من خلق الملائكة والسموات واقدارهم
على ذلك فى برهة من الزمن وقدرهم والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والجبروت ويطلق ويراد به عالم الامر
ويقابله الملك قال الله تعالى وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما اى علمك ما لم يكن من شانك وفى قدرتك علمه والاطلاع على احوال الملكوت
ولذا امتن عليه صلى الله عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم ما يكون لك ان تفعل
كذا اى لا ينبغى ولا يليق او لا يصح ولا يمكن ولذا ختم الاية بهذه المنة دون قوله فى الاية الاخرى علم الانسان
ما لم يعلم الا انه يبقى السوال حينئذ على الاية الثانية بانه اى فائدة فى ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم
انه لا يكون الا لغير المعلوم وقال فى عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفى وانفصاله
وانهما اجتمعا فى قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وفائدة ذكر المفعول فى قوله وعلمك ما لم تكن تعلم
كان الانسان لا يعلم الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التى انتقلوا عليها فانه اوضح فى الامتنان انتهى
وفى حاشية السيرامى على المطول ان الشارح قال فى بعض درسه الاولى ان يقول ما لم يكن يعلم كما فى قوله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فائدة فى ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم يكن فيه اشعار بانه لو لم
يعلمه لم يحصل العلم لخفائه على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه تعالى
ورد بانه كقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم الاية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم اختصاصه
ببعض الافراد كقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طاير يطير بجناحيه للتاكيد فتذكر لكن قوله من البيان
ياباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى اقول هذا كله كلام سطحى والذى ظهر لى فى الاية ان جملة علم الانسان
مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله عليه وسلم اقرا فقال ما انا بقارى
سوا اريد النفى او الاستفهام قال له كيف لا تقرا وللك رب اكرم تفضل على عباده بنعم اجلها ان كل انسان كان
اميا مثلك فى ابتدا امره فعلمه الكتابة وقراتها بالهامه فكيف لا يعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فان
فانه اعم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول التزاما ولذا لم يفد ضرب ضارب وضرب المضروب
فان اريد عموم او خصوص افاد وهنا علم انه لو قال ما لم تكن تعلم او عقبه بما عقب به تلك الاية لم

ابن الحنبلي

يصادف نجح وما قيل من انه لم يذكر الكون في هذه الاية وذكره ثمه لانه ورد في مقام خال عن اعتبار
القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون الموذون بهما بخلاف تلك ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى
وما كان الله ليضيع ايمانكم ان كان ذكرت للتاكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح ويعني به نفي امكان الاضاعة
وهو ابلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه اردف قوله وعلمك ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله
عليك عظيما ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة والتاكيد انتهى قد علمت ما فيه مما تقدم وقوله حارت
العقول في تقدير فضله عليه المذكور في هذه الاية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ويكرم
وما يكون عنده شي عظيما كيف يعلمه سواه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك الفضل وما لا يدرك
كيف يوصف وفي قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال
او ينتهي اليه اي كيف يحيط بما لم يصل اليه **فصل** واما الحلم اي حلمه صلى الله عليه وسلم وهو ضبط النفس
والطبع من هيجان الغضب وعدم اظهاره والاحتمال هو انفعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفي البطن
ففرق بينهما لفظا ثم استعمل في التكليف كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به وللصبر على المكاره وعدم التاثر منها كما
في المال لا يحمل الخبث وهو المراد هنا والعفو عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق
تقدم مع القدرة وفي نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى القدرة ومن كلامهم
تذهب الحفيظة اي الغضب والحمية والصبر على ما يكره وكان صلى الله عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك
وبين هذه الالقاب اي بين مسميات هذه الالقاب فرق يتميز بها عن غيره واحتاج الى الفرق لتقارب
معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى
به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام فان الحلم حالة توقر بفتح المثناة الفوقية وضم القاف
المشددة اي اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر اي ساكن غير مضطرب وثبات
عند الاسباب المحركات كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد
يصير كذلك والاحتمال حبس النفس عند ورود ما يعتريها من الالام بمد الهمزة جمع الم وهو ما يولم في اي عضو كان
والموذيات بالهمزة والواو والذال المعجمة جمع موذية والاذى كل ما يتاذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى
تخضع لسلطان العقل وتطمين لما يامرها به وفي نسخة الغرر في رواية كما قاله التلمساني المرديات بالراء والدال
المهملتين من الردى بمعنى الهلاك ومثلها قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وضميره باعتبار انه
حال ولو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف الصبر فان معناه لغة الحبس ومنه قتل صبرا اذا امسك ليقتل
في غير قتال وهذا يويد ارجاع الضمير للاحتمالات ومعانيها متقاربة قال الراغب الصبر الامساك في ضيق وحبس
النفس عما يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب اختلاف
مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن
وان كان في نائبة تضجر سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده المذل انتهى ومنه
تعلم ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المص على الخاص كان اخصر وهو الاولى واما العفو فهو ترك المؤاخذة
بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهي الجزاء على ما فعل غيره قيل وفي تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة
لان من لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به اولا للتاكيد كنظر بعينه كقوله وان في الحلم ذلا انت عارفه والحلم عن قدرة

دجي ابن الحنبلي

فضل

فضل من الكرم لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون ارى الدهر ان يبطش فانت يمينه
وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر عطا ولا من وحكم ولا هوى وحلم ولا عجز وعز ولا كبر وهذا كله مما ادب
الله به نبيه صلى الله عليه وسلم اي اداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده بعد ما خلق فيه استعدادا
تاما لها كما قال ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو احد الحكم في كونه صلى الله عليه وسلم تربى يتيما حتى يعلم ان ربه
مربيه من غير حاجة لامه وابيه فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه
الاية جامعة لمكارم الاخلاق اي تعاط العفو عن الناس وترك مواخذتهم وفي عدوله عن اعف الاظهر
الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان في قوله وامر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز
في جبلته ومن تامل مثله استخرج منها فوايد لا تحصى ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذة والبحث
عن مذام الاخلاق فامره باخذ ما سهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض
عليه بانه غير مناسب لقوله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية وهذا الحديث
كما قاله السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق
ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضي الله عنه وعن الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله بن
الزبير في قوله خذ العفو الخ انه قال ما انزل الله هذه الاية الا في اخلاق الناس وله في رواية اخرى
تعليقا عن عبد الله قال امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اقوال الناس او من اخلاق
الناس واما قوله واعرض عن الجاهلين اي عن معايبهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ
باية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة قيل ويعين هذا
ما رواه البخاري من ان عيينة بن حصن استاذن له الحر بن قيس بن عمر رضي الله عنه في الدخول
فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله عنه فقال له
الحر يا امير المومنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو الاية وان هذا من الجاهلين
فما جاوزها عمر رضي الله عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال
فانه يجوز ان يكون استشهد بها لشمولها غير الكفار لان هذا هو معناها فقط سال النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه الصلاة والسلام عن تاويلها اي تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنيي التاويل فقال
له حتى اسال العالم يعني الله عز وجل والعالم كالعليم من اسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى اما
الاول فظاهر واما الثاني في حق الله فظاهر في غيره فكقوله فان تسالوني بالنسا فانني عليم بادوا
النسا طبيب والثاني في حق الله اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله ذلك الكتاب فيختص
به فانه مساو بهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردي
وهو من المتاخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفي شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف في ثبوته اقول
هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى واما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردي فافترا عليه لانه
شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور في الشواهد واما الاستدلال على العالم بالحديث وهو مذكور في القران
كقوله عالم الغيب والشهادة فمما يقضي منه العجب واما قول جبريل عليه الصلاة والسلام حتى اسال العالم
دون اسال الله فكانه تادب منه لايهام انه لا يسال الله بالذات فكان بينه وبينه واسطة اي من هو عالم بالتفسير

ابن الحنبلي

عرض

وفيه ارشاد لمن سيل عن شئ لاسيما القران فينبغي ان يتثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم
وجبريل بالفتح وجبرئل مفتوحا بهمزة بلا الف ويا وجبرئيل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه
لغات اخر وقال الجوهري والازهري وكثير من المفسرين في جبريل وميكائيل ان جبر وميك معناهما عبد وايل
وال اسم الله وقال ابو علي الفارسي هذا خطا لان ايل لم يذكر احد انه من اسما الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان
عبد الله يلزم اخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووي وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان ال
اذا كان اسما لله فهو سرياني فلا يا باه وعدم معرفة العرب لها ما اعرابه فلانه لما عرب غير ما كان عليه وجعل اسما
واحدا ولذا رجعوا لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم فاتاه الفا فصيحة اي
انفصل عنه وفارقه ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك الظاهر ان المراد بصلة الرحم
والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام
ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهي عنه كما في قوله وتعطي
من حرمك يقال حرمه واحرمه بمعنى اي احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله عليه وسلم ولامته
وان كان لا يرجو غير الله واحسانه وتعفو عمن ظلمك هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله يعني وامر بالعرف
ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة الى انه في معرض النسخ او لان المراد بالجاهلين
من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحبها الى الله تعالى فتدبر وقال له واصبر على ما
اصابك الاية وهذه الاية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر
كما قصه الله في كتابه الكريم وكل ما قصه الله من قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولامته فكانه امر به ابتدا فلا يتوهم انها ليست في حقه اي اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك
بسبب ذلك مكروه فاصبر له وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل قال العز بن عبد السلام اولو العزم
اولو الجد والجهد والصبر وهم الماذون بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلاء
بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد
وقيل هم المذكورون في الانعام في قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس لقصة الحوت
انتهى ولا ينبغي عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا القول كما صبروهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم
فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرايع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولو عزم وقيل كل الانبياء
عليهم الصلاة والسلام اولو العزم الا يونس لتخلية والفا في قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين
كفروا على النار اي اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن في
من الرسل بيانية او تبعيضية والخلاف دابر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الاية او الجد والاجتهاد او الجهاد
وقال وليعفوا وليصفحوا الاية الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المواخذة
بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شئ ولاه صفحة عنقه وهذه الاية وان نزلت
في الافك وفي حق ابي بكر رضي الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض في الافك الى ان لا ينفق عليه
فقال الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربى والمساكين الاية فقال ابو بكر رضي الله
عنه بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي وعاد الى انفاقه عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم داخل في عمومها كما في ساير الخطاب

ابن فارس

واصبر على ... الخ

فلا

فلا يرد على المص ان هذه الاية ليست في حقه صلى الله عليه وسلم وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
اي من اهم الامور التي ينبغي التصميم والعزم عليها واللام موطية للقسم ان قلنا ان من شرطية او لام ابتدا ان قلنا انها
موصولة كما قاله المعربون وهذه الاية مع ما قبلها نزلت كما علمت في ابي بكر رضي الله عنه وقد شتمه بعض الانصار وقد استشهد
بها المص على انه صلى الله عليه وسلم كان اخذا بذلك معتمدا عليه ولا اخفا بما يوثر من حلمه واحتماله الايا بمعنى في ويوثر
بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمله للاذى فانه شايع غير خفي على احد وان كل حليم اي ولا اخفا ان كل حليم غيره
صلى الله عليه وسلم قد عرفت منه ذلة بفتح الزاي المعجمة وهي الخطية والسقطة قال الشاعر قفي لا تزلي زلة ليس بعدها
نحو زلات النساكين وحفظت عنه هفوة بفتح الها وسكون الفا وهي قريبة من الزلة معنى وقال التلمساني هي بالفاء
وهو الاكثر وبالقاف وهي السقطة وهو قريب منه وهي من خفا بمعنى زل وسقط او تحرك كالريح وهو صلى الله عليه
وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما جملة حالية اي مع انه لا بد من الزلة والهفوة في الغضب
والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان الاشهر معنيه
بل هو السيئ الخلق المجازف في اموره قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا فالجهل بهذا
المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد تترك تعديته كقول الحماسي وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان وقال بعض الحكما
لا يحملنك سب الجهول لك وجراة السفيه عليك على الاجابة له وقربه عليه فالحليم يغني صبره خير من سعة يتشفى صدره
وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب في الجهل والاسراف بمعنى الزيادة
ومجاوزة الحد حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره هو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين
بن ثابت غسلين التغلبي بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب علم قبيلة سميت باسم ابيهم كتميم
ولامه مكسورة تفتح في النسب استحسانا من توالي كسرتين ويا ولد سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات يوم الخميس
لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء
في ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار بها سيرة حسنة وبقي فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس واخذ
عنه المص في رحلته لقرطبة قالوا حدثنا محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء موحدة
وهو ابن محسن الجذامي المحدث الفاضل توفي ليلة الثلاثا لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال حدثنا
ابو بكر بن وافد وغيره هو يحيى بن عبد الرحمن بن وافد بالفا والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم قال
ابن سهل في احكامه كان ابن وافد مقدما في اصحاب ابن زرب ثم سقط بعد موته ولزم داره ثم عاد المنصور بن سليمان
الى مرتبته وجعله اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمس واربعمائة
وافتص الله من قاتله بعد ايام وفي بعض الحواشي انه وقع هنا في اصل السماع وافد بالفا وفيما ياتي في كيفية الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذي صححه البرهان الحلبي والتلمساني قال
حدثنا ابو عيسى هو الليثي واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابي عيسى يروي عن ابيه عبيد بن يحيى توفي لعشر بقين من رمضان
سنة ثلاث وثلاثين وما يسقا حدثنا عبيد الله قال البرهان الحلبي هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن كثير قال
حدثنا يحيى بن يحيى قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم البربري المصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم
الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة شئ والموطا مشهور وموطا اصح نسخ الموطا وقد سمعته بحلب وقراته بالاسكندرية
اما الذي له ذكر في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي ابو

ذكريا النيسابوري احد الاعلام انتهى قال حدثنا مالك ابن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحي امام دار الهجرة ومن
اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعي او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفي
في ربيع الاول سنة ست وسبعين ومائة ومات وهو بن ست وثمانين ومائة واختلف في جده ابي عامر هل له صحبة ام لا
عن ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري توفي سنة اربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك عن عروة
بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة روى عن ابويه الزبير واسماء بنت ابي بكر
وخالته عائشة رضي الله عنهم وغيرهم وتوفي سنة اربع او خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث
صحيح في الصحيحين والموطا واختار المص رحمه الله طريق الموطا فقال عن عائشة ام المؤمنين فريدة الصدف
ويتيمة الدهر رضي الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما قال البرهان
هذا ما اخرجه المص عن موطا مالك عن يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن ولم يرو المصنف
من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتناء به وترجيحه على غيره من كتب السنة ولان سنده فيه من هذه
الطريق اعلى من سنده في غيره لان بينه وبين مالك في هذه الطريقة بالسماع وبينه وبينه في رواية الصحيحين
سبعة وفي ابي داود كذلك الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من الشان عنده وفي هذا
الحديث الاخذ بالاسهل والارفق ما لم يكن حراما او مكروها ونقل النووي عن المص انه يحتمل ان يكون تخييره
هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية او في حق امته في المجاهدة
في العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله ما لم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار والمنافقون اما اذا
كان التخيير من الله او المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله ما لم يكن اثما اي
موجب اثم من حرام او مكروه ما يفهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعل منقطعا لاستحالة ان يخيره الله او خلص
المؤمنين بين امرين احدهما اثم وهو مبني على ان ما في معنى الاستثناء حكم الاستثناء الا ترى الى قول النحاة ان قولك
لالزمنك او تقضي حقي معنى الا ان تقضيني حقي فكانه قال هنا الا ان يكون اثما فان قلت هذا مناف لما
ورد ان افضل العبادة احمزها اي اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل قلت انما كان صلى الله عليه
وسلم يوثر الايسر للامة تخفيفا عليهم لا في حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم
يقوم حتى تورمت قدماه ويويده ما في نفس الامر قوله في بعض الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه
يعني ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضي
اليه في حق غيره صح او المراد بالاثم ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز
الارض وعيش الكفاف ويدل على انه في حقه قوله فان كان اثما كان ابعد الناس منه اقول قال العز
بن عبد السلام وتبعه الزركشي في قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد في حديث عائشة
رضي الله عنها اجرك على قدر نصبك كما في مسلم ليس على اطلاقه وانما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرائط
والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل في الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا
فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والمختارات افضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق
البخيل افضل من قيام الليل وانقاذ الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيام الليل وصيام النافلة انتهى وهذا
هو الحق الذي لا محيد عنه فلا حاجة لما اطالوا به من غير طائل وما انتقم رسول الله عليه الصلاة والسلام

ابن الحنبلي

عرض

لنفسه اى لا يعاقب احدا بتقصير وقع منه في حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله لانه بري
من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها اى بسبب حرمة الله تعالى
وانتهاكها لها وحرمة الله ما حرمه او جعله محترما ممنوعا وانتهاكها التعدي والتجاوز فيه من نهكت الثوب
اذا لبسته حتى اخلقته ويقال نهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانتهاكها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله
اى فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه وليس للانتهاك المبالغة في اتيان ما حرمه الله
تعالى كما توهم حتى يرد انه لا يغضب بمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك فقد
بالغ في الجراة على الرب العظيم او يقال انه كان يغضي عند فعل الصغاير ويغضب اذا فعلت الكباير فان هذا مما لا
ينبغي فانه كيف يخطر بالبال انه صلى الله عليه وسلم يغضي عن الصغاير من غير عذر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل
هذا على ما يتعلق بالمال فانه صلى الله عليه وسلم اقتص من نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابي معيط والاخطل واي حرمة
الله اعظم من حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن اذاه فقد اذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة
الاعراب كالاعرابي الذي امسك برداءه وجذبه حتى اثر في جيده الشريف وقول بعضهم له اعدل في القسمة
فانك لن تعطي من مال ابيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضي الى ارتكاب محرم فمن ارتكب
شيا من محارم الله بحضرته عليه الصلاة والسلام الخ من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه وان
تعلق بها انتقاما لدين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته
رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين واخرى من اليسار ويقابلها مثلها من فوق فالرباعيات
اربع وشج وجهه يوم احد الشج جراحة في الوجه او الراس شق ذلك الكسر والشج على اصحابه شديدا
اى حصل من ذلك في نفوسهم مشقة وامر شديدا عظيما وقالوا له صلى الله عليه وسلم لو دعوت عليهم اي على الكفار
بان يهلكهم الله ويستاصلهم باشد العذاب فقال اني لم ابعث بالبنا للمجهول اي لم يبعثني الله تعالى لعانا اي
داعيا على الناس بالطرد والبعد من رحمة الله ولكني بعثت داعيا للناس الى الله ورحمة للناس اجمعين باخراجهم
من الكفر الى الايمان وبتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون دعا لهم ان يهديهم الله للحق والاسلام فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر
نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفي سيرة بن هشام عن عبد الله
وغيره ان عتبة بن ابي وقاص رماه صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله
بن شهاب الزهري شجه في وجهه الشريف وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته
وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم اصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته برمية عبد الله بن قمية وضربه
بالسيف على عاتقه الايمن فجرحت وجنته ودخلت فيه حلقتان من المغفر وشقت شفته السفلى وصرخ ابن
قمية ان محمدا قد قتل وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص اخي سعد بن ابي وقاص والصحيح انه لم يسلم وان
شهابا اسلم واما ابن قمية فنطحه كبش فتردى من شاهق فهلك ولكل شيء افة من جنسه ويقال ان حاطبا
تبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا ابخر اهتم فيرى خزيه لعقبه فيحور اولاده لا يفي بنسا جدهم
وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم لم تنكسر من اصلها وانما شظيت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة
رضي الله عنها تغسل دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رات فاطمة ان الماء يزيد الدم

كثيرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة التي على راسه الشريف وقال الامام الخيضري في خصايصه ان هذا قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس او المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما مر بيان ذلك وما احسن قول ابن الفارض في الاشارة لذلك عيني جرحت وجنته بالنظر من رقتها فانظر لحسن الاثر لم اجن وقد جنيت ورد الخفر الا ترى كيف انشقاق القمر وما شق وجنته عابثا ولكنه ساطعة للبشر حلاها لنا الله كما نرى بها كيف كان انشقاق القمر وبقية قصة احد وما فيها مفصل في السير مشهور فلا يكثر السواد به كما في الشرح الجديد تنبيه قال الامام السمرقندي في تفسير قوله عز وجل ويقتلون النبيين بغير حق طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى انا لننصر رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وما في معناه من الايات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فاذا لهم قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا في خبر متواتر قتل رسول من الرسل الذي اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين اوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل معا بانهم الحجة الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثاني ان المراد النصرة بالحجة لا بالعصمة انتهى وعن عمر رضي الله عنه قال السيوطي رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له على اصل ايضا وتقدم ما فيه انه قال في بعض كلامه اي كلام قاله لما راى ما اصابه صلى الله عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه في غزوة احد بابي انت وامي يا رسول الله هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه اني اجعل ابوي فداء دونك وابذلهما في حمايتك لقولك الرجل لمن هو اعز عليه من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس في صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل في ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداءه وفداه بالتشديد اذا قال جعلت فداك وهي كلمة تقال في التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد يعكس كما في قوله فديت بنفسه نفسي ومالي وما املك الا ما اطيق وجعل في المغني من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضي الله عنه في هذا على ما تداوله العرب والا فهو صلى الله عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الاباء والامهات ولقد قال الاخر نفسي الفداء لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم فانظر قصة علي رضي الله عنه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بالقتل صلى الله عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون عمر رضي الله عنه كما هو معلوم لقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وانما قال عمر رضي الله عنه هذا لان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلاة والسلام كما ان مشرب الصديق رضي الله عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديارا بمعنى احدا وهو يختص بالنفي يقال ما في الدار ديار ودوري اي احد واصله ديوار فاعلا اعلال سيد وميت وادغم والفاء عاطفة للمفصل على المجمل ولو دعوت علينا اي على الناس كلهم مثلها اي مثل دعوة نوح عليه السلام لهلكنا من عند اخرنا هذا التركيب وقع في كلام العرب فالمراد به من اولنا الى اخرنا اي جميعا

وشراح

ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى اخرنا وكما ذكره عند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند اخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف في اول سورة البقرة فلقد وطئ ظهرك الوطء الدوس بالقدم وفي الشرح الجديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روي في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وثمة قريش ذبيحة فيها قاذورات فقال ابو جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثم الا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث اشقاها وهو عقبة بن ابي معيط فالقاه عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وكانوا ابا جهل وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف وعمارة بن الوليد وهم المستهزءون فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمي الغزو وطيا او وقع هذا في قصة لم نقف عليها وادمي وجهك اي جرح في وقعة احد يقال ادميته اذا جرحته فسال دمه والذي فعل به صلى الله عليه وسلم ذلك عتبة بن ابي وقاص اخو سعد كما مر وفيه يقول حسان رضي الله عنه اذا الله جازى معشرا بفعالهم ونصرهم الرحمن رب المشارق واخزاك ربي يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت احدى الصواعق بسطت يمينا للنبي تعمدا وادميت فاه قطعت بالبوارق وهلا ذكرت الله والمنزل الذي يصير اليه عند احدى البوايق وشج وجهك وقع في نسخة التلمساني زيادة هذا هنا وقد شجت وجنته وجبهته باحد فدخل في وجنته صلى الله عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حتى سقطت ثنيته والذي جرحه عبد الله بن قمئة فقيل نطحه بنفسه وتردى من شاهق فمات كما مر وقيل انما هو عتبة بن ابي وقاص فاذركه حاطب فقتله كما مر بفرسه وكسرت رباعيتك تقدم بيانه وما فيه وعليه فابيت ان تقول الا خيرا اي لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون الحق ولا يهتدون الى الصواب وفي النسخ الروية هنا اللهم اهد قومي وهي مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية او التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ما قيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلثين شهرا من الهجرة فكيف يسال لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جايزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فما وجه وقوعه في كلام الشارع صلى الله عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الاية من سورة النساء وهي مدنية بجملتها او هذه الاية بخصوصها فيجوز ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل نزولها وقبل علمه بمنع الدعاء لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدني ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله كما رواه مسلم في صحيحه قال عبد الله بن عباس كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي عن نبي من الانبياء ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومثله في البخاري والمراد بهذا النبي نوح عليه الصلاة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يخرج ويدعوهم الى الله فلما ايس منهم دعا عليهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لما وقع بها وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومي ذكر نسبتهم

له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله بهدايتهم واضافتهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان
قيل انه ليس من اهلك كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقي او بما هو في حكمه لعدم
جريهم على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلاة الصلاة واجبة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة الايات
الباهرة عذرا شرعا فليس ينجي من العذاب وقد اختلف فيما قبل البعثة ايضا كما هو معلوم في كتب الاصول
لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنين او من ذريتهم
وقد حقق الله رجاءه لانه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شئ كما توهمه بعضهم قال القاضي
ابو الفضل اي المص عياض رحمه الله انظر ما في هذا القول المذكور في كلام عمر رضي الله عنه في الحديث الذي قبله
من جماع الفضل الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر كالخمر جماع الاثم ومظنته ودرجات الاحسان بالجر معطوف
على الفضل اي ما يجمع مراتب الاحسان وكذا قوله وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم ففيه ما يدل
على نهاية هذه الصفات اذ لم يقتصر على السكوت عنهم مع ما فعلوه معه صلى الله عليه وسلم مما لا يحتمل بعضه احد
فضلوا عن اعز الناس نفسا واشرفهم واعلاهم حسبا ونسبا وجرحه ذوي القربى اشد مضاضة على النفس
من وقع الحسام المهند حتى عفى عنهم مع عظيم جرمهم في حقه اذ قال اني لم ابعث لعانا ثم اشفق عليهم اي
ابدى الشفقة ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد كما مر بيانه مفصلا ثم اظهر سبب
الشفقة بقوله لقومي فان الطبع البشري يقتضي العطف والحنو على الاعلاء والاقارب بما تم حالا كانوا ثم
اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم قوم لا يعلمون وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح
صدورهم لاجلها فيختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا للعبارة ليجذبهم
بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم لا يعتد به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام
الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه اعتذار ظاهري اعتبره سعيا في تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون
مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره ولما قال له الرجل هو ذو الخويصرة التميمي ويقال له حرقوص
بن زهير راس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان كما في تجريد الذهبي وفي صحيح البخاري هو عبد الله
بن ذي الخويصرة التميمي قاله في المقتفى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القايل والنهروان بفتح النون
والهاء موضع فارسي معرب قال الطرماح قل في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراضي
وحكى الجواليقي انه سمع من العرب ضمهما وكان حرقوص مع علي كرم الله وجهه في حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم
بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول القول اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله اي كن عادلا
فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم كان من غنايم خيبر او تبرا
ارسله علي بن ابي طالب رضي الله عنه من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه ونحوه في صحيح البخاري
واخرجه البيهقي وهو حديث صحيح وفي الفاظه اختلاف والمال واحد لم يزد النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه
اي بين له ما جهله اي لم يزده على ان بين له ما جهله من عدالته في قسمته حيث قال من يعدل ان لم اعدل
ووعظ نفسه وذكرها التذكر والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القايل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم
منه صلى الله عليه وسلم لما قال ويحك ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب
وهي منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها الترحم به لما خالف رضي الله عنه او تعجبا من صدور مثله

من مسلم ووقع في رواية ويلك فمن يعدل ان لم اعدل وفي مسلم اي لست احق اهل الارض ان يطيع
الله عز وجل وغضب صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه خبت وخسرت ان لم اعدل روي بفتح التا
فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اي خبت وخسرت ايها القايل ان لم اعدل انا لا
تباعك واقتدايك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني رحمه الله تعالى لانه معلق بعدم العدل الذي عصمه الله تعالى
عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووي في شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح
اشهر وقيل المعنى على الفتح انه لم اعدل خبت لاني اقتلك لنفاقك ونفعك بما ينافي الاسلام لكني عدلت نظرا لظاهر
اسلامك وان ما وقع من سوء ادبك جهلا منك غير مخل بمقامي ونهى من اراد من اصحابه قتله وهو عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كما في البخاري قال عمر يا رسول الله ايذن لي اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ
الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وفي مسلم ان القايل خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا
منهما اراد ذلك وقد صرح في مسلم وان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر فقام اليه خالد بن
الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المص رحمه الله في شرح مسلم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر
وقتل وهذا الرجل لم يقتل قال الماوردي يحتمل انه لم يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه لترك العدل بناء على تجويز
صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام عند هذا القايل وان لم يصب او انه لم يسمعه وانما نقل له
ولم يثبت عنده لان المخبر له واحد ومثله لا تراق به الدما وهذا تاويل باطل فان المروي يا محمد اتق الله بخطاب
المواجهة بحضرة الصحابة رضي الله عنهم حتى استاذنوه صلى الله عليه وسلم في قتله وانما الوجه انه صلى الله عليه وسلم
سلك به مسلك غيره من المنافقين استيفاء لانقيادهم وتاليفا للقلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله
عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا ويرتدوا فاختار اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا ولما تصداه
له صلى الله عليه وسلم غورث بن الحارث تصدى بالتاء المفتوحة والصاد المهملة كذا والدال المشددة والف
اي اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم ايضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال
بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني عريك لغوك وذيرك فانه تصغير
بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث قال التلمساني انه غويرث ايضا وفي بعض الروايات تسميته دعثور
والله اعلم لكن قيل انهما روايتان ليفتك به الفتك مثلث الفا ساكن التا هو ان ياتي رجل اخر وهو غافل فيهجم عليه
فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة اي جالس
في ناحية منفرد وحينئذ يقرب من الكلام تحت شجرة وحده ليستريح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاة وهي التي
تسمى ام غيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دابه صلى الله عليه وسلم في سفره قايلا حال اي مستريحا في وقت القيلولة
وهي وسط النهار اذا اشتد الحر وانه لم ينم والناس قايلون اي كل منهم في قيلولة منفرد اي عن اصحابه في غزاة هي غزوة ذات
الرقاع كما علم والاختلاف في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو فلم ينتبه اي لم ينتبه
صلى الله عليه وسلم لمجيئه ولم ينتبه من نومه الا وهو استنا من اعم الاحوال وضمير هو لغورث قايم والسيف صلتا
بفتح الصاد المهملة او ضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية اي مسلولا مجردا من غمده ويجوز في السيف رفعه على انه مبتداء
ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال في يده فقال غورث له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني لانه وجده

خاليا ليس معه احد ولا سلاح وهو جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد وفي رواية انه كرر مراجعته ثلاث
مرات فقال الله اى يمنعني منك الله الذى عصمني من الناس كافة فسقط السيف من يده لما ارعبه قول الله
وفي رواية ان جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر له فسقط سيفه وفي رواية فشام سيفه اى اغمده فهو من الاضداد
وكان غورث من اشجع الناس بتوعدان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاخذ
سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على راسه صلى الله عليه وسلم فاخذه اى السيف الذى سقط منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال من يمنعك مني اى من اقبلك والسيف بيدى فقال كن خير اخذ بالمد اسم فاعل اى خير رجل
اخذ خصمه ويمكن منه فتكرم عليه فتركه وعفا عنه مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير
كما في النهاية وهو غير بعيد ايضا وفي البخارى مسندا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع
ونحن معه فادركتنا القايلة في وادكثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحت شجرة علق بها سيفه فنمنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجينا فاذا عنده اعرابى جالس فقال
ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله فها هو ذا جالس
ثم لم يعاقبه قالوا ولما راى كرمه رحمه صلى الله عليه وسلم اسلم وهو من غطفان فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وجاء غورث قومه وفي نسخة فجا قومه
وقال جئتكم من عند خير الناس حلما وكرما ومن عظيم خيره صلى الله عليه وسلم في العفو عفوه عن المراة اليهودية
وهي زينب بنت الحارث بن سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودى كما ورد في الحديث الصحيح الذى اخرجه
الشيخان عن انس رضي الله عنه التي سمته اى جعلت له صلى الله عليه وسلم السم في الشاة المشوية من الغنم
بعد اعترافها بموضع السم له صلى الله عليه وسلم في الشاة على الصحيح من الرواية متعلق بقوله عفوه لا باعترافها
لعدم اختلاف الرواية فيه ولذا قيل انه كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت له
صلى الله عليه وسلم شاة مصلية اى مشوية ثم تخبر فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله
عليه وسلم لا ياكل منها فاكل هو واصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت هذه
الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم لساق بيده قالت نعم قال ولم قالت اردت ان كنت كاذبا ان
نستريح منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد
اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب
شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله عليه وسلم صفح عنها لحق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر
فلما مات بشر بن البراء من اكله منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال
وروى معمر في جامعه عن الزهرى انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام
بشر بن البراء قالت له صلى الله عليه وسلم في مرض موته الى لا اتهم بشر يعني ابنها الا الاكلة بخيبر فقال وانا لا اتهم لنفسي
الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذى مات منه صلى الله عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن
ذكر صاحب المواهب في الطب النبوى انه صلى الله عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا
كليا بل بقي اثرها مع ضعفه فان فيه لما يريد الله له صلى الله عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا
وشرفا وفي الرواية اختلاف فيما مر ان الذى اكله صلى الله عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى انه كتف او ذراع لانها سالت

عن

عن احب اللحم اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر
لقمة وهذا يوهم عدم القطع بتاثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ما ورد في الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال
في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعادني حتى قطعت ابهرى فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه واعلم
ان في هذه المسئلة اختلاف للفقها فمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو
مبني على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما يقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها اسلمت فتركها على بعض
الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم وفيه نظر وانه
صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له عصم بدون الف ولام وهو رجل
من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام بقي بعضهم واختلف
في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودى وهو المشهور وقيل انه منافق كان مخالفا لليهود وسياتي عن المصنف ما فيه
انه حكم بالاسلام وقال البرهان لا اعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد
في الحديث اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر
ايضا اذ سحره صلى الله عليه وسلم وقد علم به واوحى الله اليه بشرح امره اى بيانه مفصلا في سحره وما فعله ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته تقدم الكلام على فضله وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلائل عن زيد بن ارقم
رضي الله عنه قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام
فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بير كذا فبعث فاستخرجها فجاء بها فحلها فقام صلى الله عليه وسلم
كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى حتى مات وكانت له امراة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك قاله
التلمساني وهو من افعال النساء الاكثر ولذا قال تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا وقال الواقدى
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذى الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له
انت اسحرنا وقد سحرنا محمد فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما ياتي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين
يوما وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعايشة رضي الله عنها ان الله
افتاني فيما استفتيته اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما ما وجع الرجل قال
مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اى شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر
في بير ذروان او ذى اروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض اصحابه وماؤها كنقاعة الحناء ونخلها
كانه رؤس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا والزبير وعمارا رضي الله عنهم اجمعين فنزحوا
ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها مشاطة من راسه واسنان مشطه ووتر عقد فيه احدى عشرة
عقدة قيل وتمثالا من شمع مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجت
ابرة حتى زال المه والرجلان اللذان راهما في منامه جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وما كان
يخيل له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحي
فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا في السحر كما ياتي هل هو امر حقيقي ام محض تخييل لا اصل له والصحيح انه
حقيقي بفعل الله بواسطة فانه كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان
ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان بامتزاج القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان

اعتقد تاثيرها بالذات فكفر والا فحرام وفاعله لا ضرارا لناس تقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقها ليس هذا محله
وكذلك لم يواخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى هو عبد الله بن ابى بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبيد
بن مالك بن سالم بن عتم بن عوف ابن الخزرج كان قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم للمدينة رأس الانصار مرشحا لان يكون
حاكما عليهم فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم اسلم ظاهرا وكان كاحادهم وفيه عجهية الجاهلية وغلبة حب الرياسة فكان
سبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فيعفو
عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان يدارى المولفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه
من كبار الصحابة وخلص المومنين فكان النبى عليه الصلاة والسلام يكرمه لاجله وسلول علم لام ابى ممنوع من الصرف
فابى منون وابن بعده يوسم بالف لانه لم يقع بين علم ابن وعلم اب على الاصح وهو رئيس المنافقين هلك فى السنة
التاسعة بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك مرض فى شوال عشرين ليلة وهلك فى ذى القعدة فصلى عليه
النبى صلى الله عليه وسلم وكفنه فى قميصه قبل نزول النهى عن الصلاة على المنافقين كرامة لابنه رضى الله عنه واشباهه
جمع شبه بمعنى شبيه اى لم يواخذه صلى الله عليه وسلم ولم يواخذ من يشبهه من المنافقين بعظم ما نقل بالبنا للمجهول
فى جهته اى فى حقه صلى الله عليه وسلم وفى حق ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها قولا وفعلا كقوله ليخرجن الاعز
منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقين
من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبى فى شرح سيرة ابن سيد الناس وشرح البخارى
فى تفسير سورة المنافقين بل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن اشار بقتل بعضهم وهو عمر رضى الله عنه لما رجع بنو
المصطلق فبلغه قول ابن ابى وقد لطم حليفا له يقال له جهال من فقراء المهاجرين مساعدة لاخيه لعمر رضى الله عنه
ما صحبنا محمدا الا للنطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاية ثم قال لقومه والله لئن امسكتم عن جهال وذويه طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا
من حول محمد فقال زيد بن ارقم رضى الله عنه انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم
فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبر بذلك ابه فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله دعنى اضرب عنقه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اذن للشو ذلك لئلا يتحدث الناس من قبايل العرب ان محمدا يقتل
اصحابه فهو علة لترك رعاية للظاهر من الاسلام وصحبته وفى نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبنى للمفعول ولا هنا
ليست لنفى التحدث اذ هو مستانف معلل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر
رضى الله عنه وروى الطبرانى ان ابنه رضى الله عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
دعنى اقتله وائتيك براسه فقال لا تقتل اباك وفى الكشاف فان قلت كيف جاز له صلى الله عليه وسلم تكرمة
المنافق وتكفينه فى قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا
له قميصا يستره به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه وكان جاريا على عادة العرب فى المكافاة وروى
ان ابنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ابوه اسالك تكفينه ببعض قمصانك وان تقوم على قبره
ولا تشمت به الاعدا ففعل ذلك فقيل له لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيا وانى
لارجو ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك وعن انس رضى الله عنه
كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم قال السيوطى رحمه الله هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الاتى

من مال الله الذى عندك قال فضحك وامر له بعطا واخرجه بلفظ المص البيهقى فى الادب من حديث ابى هريرة رضى الله
عنه ولفظ مسلم كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة
شديدة الى اخره وعليه برد غليظ الحاشية البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب
وفى رواية الاوزاعى غليظ الصنفة بفتح الصاد وكسر النون وبالفاء وهى طرف الثوب ايضا فجبذه اعرابى جبذة
فى جذبا ومقلوب منه وهما بمعنى بردايه جبذة شديدة وهذا يقتضى انه كان عليه برد او رداء فوقه
وان الجذب وقع بهما حتى اثرت بتشديد المثلثة مبنى للفاعل اى اظهرت اثرا وعلامة حاشية البرد فى صفحة
عاتقه الصفحة الجانب او العرض والعاتق ما بين العنق والكتف او موضع الرداء من المنكب وهو يونث
ويذكر وفى رواية ان البرد انشق ثم قال الاعرابى يا محمد قيل مشافهته صلى الله عليه وسلم بهذا تقتضى
انه لم يكن مسلما والسياق يقتضى خلافه وليس فيه ما ينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى
عنه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول الخ او ان الاعرابى كان قريب عهد بالاسلام فى طبعه غلظة وجفا فهو
معذور وطلب عطا الرسول صلى الله عليه وسلم واخذه منه اذ كان يدل على انه من المسلمين المولفة قلوبهم
وفى كتاب الامتاع من خواصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن يقول
يا نبى الله يا رسول الله قال تعالى لا تجعلوا الخ وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اى لا تدعوه باسمه
فان قيل ثبت عن انس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ اجيب بانه يحتمل ان
ذلك صدر منه قبل الاسلام او فى حال الاسلام قبل النهى او قبل بلوغه فلو ناداه بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى
اقول الظاهر ان هذا فى حياته مواجهة اما فى غير ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر بتعظيم فلا يرد انه
وقع كثيرا فى المدائح النبوية وغيرها كقول حسان هجوت محمدا فاجبت عنه ۞ وعند الله فى ذاك الجزاء
فان ابى ووالده وعرضى ۞ لعرض محمد منكم وقاء ۞ فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد
يقتضيه الوزن ومما قيل هنا ايضا ان الرسول ويا رسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول
ابن مالك فى الفيته مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه له مر احمل لى قال التلمسانى همزته همزة قطع رباعى
اى اعنى على الحمل ويجوز ان يكون معنى احمل لى اى اعطنى ما احمل والاول اولى لوجود الحمل انتهى وتبعه
بعض المحشين فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما ذهب به الاول نظرا على بعيرى بالتثنية نصا فالياء للمتكلم
هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى بضم التاء وفتحها على ما مر وروى لا تحملنى اى لا تعطنى من مالك
ولا من مال ابيك وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب امر به فهو مجاز عقلى فعلى هذا همزته همزة وصل ايضا ثم رد على من
ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا اى جعل البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس
بشئ لان ما ذكره معنى اخر حقيقى صرح به الجوهرى وكان الرواية عليه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
المال مال الله وانا عبده اى اتصرف فيما له باذنه واعطى من يامرنى باعطائه فرد عليه صلى الله عليه وسلم بالطفه
ثم قال ويقاد منك بالبنا للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اى ويقاد منك من القود وهو القصاص وهو هنا
مجاز من مطلق المجازاة اى تجازى على ترك ادبك ولم يقل اقيد نفى منك كراهة ان يذكر ما يشعر بانتقاصه
صلى الله عليه وسلم لنفسه ولو مشتهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفى القود اهو الله ام من عنده من المسلمين
وقوله يا اعرابى اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم اهل البادية ما فعلت بى من جذب بردى

عوض

بان يفعل له مثله او يعذر بما يليق به وسياتي تحقيقه في القصاص باللطمة قال لا قال لم لا يقاد منك قال
لانك لا تكافي بهمزة من المكافاة وهي المجازاة او بالياء اصلية او مبدلة منها بالتسهيل وفيه مشاكلة لان
الجزاء ليس بتشبيه او استعارة لانها مثلها بحسب الصورة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم سرورا بما راه من حسن
فهمه به وانه لم يفعل ذلك بقصد التنقيص عنه وتطمينا للقلب اذا ابدى السرعة بمقالته ثم امر ان يحمل له على بعير
شعير وعلى اخر تمر وفيه من حلمه صلى الله عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم التضجر ما لا يخفى وهو ارشاد للامة
لا سيما من يتولى منهم امور المسلمين ثم اتى بما يدل على ما في الحديث من خلقه العظيم فقال قالت عايشة
رضي الله عنها في حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذي في الشمايل مع مخالفة يسيرة في لفظه ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم راي بصرية او علمية منتصرا اي منتقما وناصرا لنفسه على غيره من مظلمة اي
من ظلم وهي بفتح الميم وكسر اللام وفتحها واقتصر في التقريب على الاول ظلمها مبني للمفعول وهو مؤكد او دفع
لتوهم كون الظالم لغيره فقط لاستغراق ما مضى كما مر ما لم يكن حرمة من محارم الله اي ما لم تكن الظلامة بارتكاب
امر حرمه الله وليس بصرف حق له ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل والقينتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه حق لله فان ابن خطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابي
فانه مسلم حمله على ما فعل غلظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية
كاستعطاف قلوب اهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وما ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده شيا قط من دابة وانسان وغيره الا ان يجاهد في سبيل الله كما ضرب ابي بن خلف بالحربة
تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما ياتي والزبير بن العوام فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير
فاحتبس الدم اي لم يجر بسبب ذلك الخدش فقال قتلني والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه
التي كان اعدها ليقتل عليها النبي صلى الله عليه وسلم كما ياتي وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفي رواية انه
انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء
المهملتين وهو مناسب لوصفه وانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة قط احدا الا ابي
بن خلف هذا لا قبل ولا بعد وجا اشد الناس عذابا من قتله نبي وفي رواية لفظ اشتد غضب الله على رجل قتله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسحقا لاصحاب السعير وفي لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبيل الله اي لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مامورون باللطف والشفقة على عباد الله
فلا يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم اكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد
الله قالوا واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله عليه وسلم حدا او قصاصا لان من يقتله في سبيل الله كان
قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله كما ياتي بيانه وما ضرب خادما له ولا امراة من نسائه
وفيه دليل على جواز تاديب الرجل امراته وضربها ولولا ذلك لم يمدحه به صلى الله عليه وسلم وجيء اليه صلى الله
عليه وسلم برجل هذا الحديث اخرجه احمد والطبراني بسند صحيح ولم يسم الرجل فقيل له هذا اراد ان
يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع اي لا تخف مني وكرره ليطمئن قلبه والروع الخوف
والفزع ولن هنا بمعنى لا اي لا خوف عليك مني ولا من غيري ولو اردت ذلك لم تسلط علي لان الله عصمني
فلن ينالني ما اردته انت ولا غيرك فان قلت قوله لو اردت يقتضي انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم

ارداد

ارداد فقلت قلت المراد بالارادة مسببها وهي مباشرة ما هم به اي لو مددت يدك الي لم تصل الي وجاءه صلى الله
عليه وسلم زيد بن سعنة بفتح السين والعين المهملتين وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو غريب وهو حبر
من احبار اليهود كما في الاكمال وفي التهذيب هو صحابي من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما
حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية بالياء التحتية حكاه ابن
عبد البر وقال النون اشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبي انه اصح واما اسيد بن سعية فبالتحتية فيه اصح
واسيد بفتح الهمزة او هو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني
وابو نعيم عن عبد الله ابن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه اي يطلب
منه صلى الله عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي • لحى الله دهرا شره
قبل خيره • تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا • قال الشراح اي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام اهل اللغة
فقول شيخنا المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت ديني
واقتضيته بمعنى اخذته وفي العرف الطلب انتهى لا وجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي
بل معنى عرفي وهو غريب منه وفي رواية عن زيد المذكور كنت اريد ان اعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم ليطابق
ما في التوراة من حمله فخرج يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يا رسول الله ان قرية بني فلان اسلموا
واعلمتهم انهم ان اسلموا اتاهم ارزاقهم رغدا وقد اصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام
فان رايت ان ترسل اليهم شيئا يغيثهم فقال زيد بن سعية يا رسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته
ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل وقال له عجل عليهم بها واغثهم فلما كان قبل المحل بيوم او يومين او ثلاث
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة في نفر من اصحابه فلقيه وتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه ضمنه معنى اخذ لم فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو
الطرف وحواشيه وقيل هو التلبيب اي اخذ بطوقه وما تحت لبته ونحوه وهذا هو الصحيح المعروف فما قيل
انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالبرد او القميص تجتمع هناك واغلظ له اي قال له كلاما غليظا خشنا
مع تعبس وتجهم وجه ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مفتعل من الطلب وسمي شيبة على الاصح لانه ولد وفي راسه
شيبة ظاهرة في ذوابتيه مطل بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل في تاخير الحق او خلف الوعد
فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا امده وفي القاموس المطل التسويف بالعدة والدين فانتهره عمر
رضي الله عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار
الاغلاظ في القول مع صياح وقيل النهر عن الشيء بفظاظة وشدد له في القول فقال له عمر اي عدو الله
اتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع فوالذي بعثه بالحق
لولا ما اخاف فوته لسبقني راسك والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا مراد
بن سعنة وان عمر رضي الله تعالى عنه لو كشف له الغطا لم يصعب عليه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو اي ابن سعنة صاحب الحق كنا الى غير هذا المقال الذي قلته عنك احوج يا عمر اي اكثر حاجة وهو
افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوايد وشذوذ كما توهم فان ثلاثيه مسموع
والمفضل عليه محذوف وهو غير انا وما عطف عليه ثم بين الغير الذي هما احوج اليه من هذا التشديد

بقوله تأمرني بحسن القضاء اي وفاء ما له علي وتأمره بحسن التقاضي والطلب بلفظ ثم قال صلى الله عليه وسلم
دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطلا وتاخيرا منه لقد بقي من اجله اي من تاجيل دينه ثلاث اي ثلاثة ايام
فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة
كما اشار اليه بقوله وامر عمر يقضيه ماله ويزيده على حقه عشرين صاعا من تمر لما روعه ما مصدرية اي لاجل
ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما قال فكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم سبب اسلامه لانه كان عالما بالتوراة
ورأى فيها ذكره صلى الله عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما راهما
تيقن امره وزالت شبهته فحسن اسلامه واراد الله سعادته وذلك انه كان يقول لمن عنده من اليهود ما بقي
من علامات النبوة اي علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة التي قرأها وعرفها شيء
الا وقد عرفته اي شاهدته فيه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشيء بمعنى العلامة الا
علامتين اثنتين لم اخبرهما اي اعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر
الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله يسبق حلمه جهله تقدم ان الجهل في كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه
بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله الا لا يجهلن احد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٭٭
كما مر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغضب احيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق
بصفاته صلى الله عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله عليه وسلم يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي غضبي والسبق
على ظاهره فمن قال المعنى يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله فتبارك الله احسن الخالقين وليس المراد ان له
صلى الله عليه وسلم جهلا ويسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت
رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لانه انتهى لم يصب مع ما في كلامه من التناقض ولا تزيده شدة
الجهل الا حلما هذه هي العلامة الثانية اي جهل غيره بمعنى سفاهته واذيته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله
عليه وسلم وصبره ما لم تتجاوز حدود الله وتنتهك حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته
صلى الله عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد بن سعية ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما قضاه
وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملني على ما رايتني صنعت يا عمر الا اني كنت رايت صفاته
التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر
وشطر مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا اشار المص بقوله فاختبره
لهذا فوجده كما وصف والحديث اي الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن
فقال عن حلمه وصبره وعفوه عند القدرة قيده به لانه هو المحمود كما مر اكثر من ان تأتي عليه يقال اتى على الكتاب
قراءة او المال انفاقا اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى
انه لا يمكن استيعابه واستقصاؤه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة اي يكفيك ما تقدم
مما ثبت بنقل الثقات فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا منضما الى ما بلغك وعندك متواترا
معنويا من مجموعها مبلغ اليقين اي وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي لا يشك فيه احد ولو قال المبلغ الضروري
كان اولى والعقول بانه اراده لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله من صبره صلى الله عليه وسلم على مقاسات قريش
المقاساة معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا تحمل مثلها وهذا في اول بعثته صلى الله عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير

وأذى الجاهلية اي تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم اذى الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار ومصابرة الشدائد
الصعبة معهم في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه صب عليهم العذاب فالمصابرة مفاعلة
من الصبر عن شدائد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله عليه وسلم غلبهم وصابرهم
وزاد عليهم حتى ظفر وانتصر الى ان اظهره الله عليهم وحكمه فيهم اي جعله الله قاهرا غالبا لهم وهم في قبضة
تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء وهم لا يشكون في استيصال شافتهم الاستيصال قطع الشيء
من اصله وازالته بالكلية وشأفة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة وفاء يليها هاء تانيث وتبدل الهمزة الفا وهي
قرحة تخرج في اصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به والمراد
ازاله الله من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا فرع وفيه اشارة الى خبثهم وانهم كقرحة في البدن
خبيثة مهلكة لصاحبه فشبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى وابادة خضرائهم
الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقدم
فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية ابيدت خضراء قريش اي دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة
وذهب بعض اهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهي عصارتهم وخيرهم وخصبهم او طينتهم التي
خلقوا منها والمراد على كل حال استيصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ظفر
بهم في حال تيقنوا هلاكهم بكلهم بحيث لا يبقى منهم باقية فما زاد صلى الله عليه وسلم على ان عفا وصفح اي مع
شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا في قبضة تصرفه وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب ما زاد ما كان
عليه من حاله الا العفو والصفح لشفاء النفس بالانتقام وفعل ما يستحقون بحيث لو فعله لم يلم والعفو
والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب وقال صلى الله عليه وسلم تلويحا للطف بهم ستند امنهم ما في ضمائرهم
مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله عليه وسلم ما تقولون ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما
صرح به النحاة فقوله اني فاعل بكم بفتح همزة ان وهي وما معها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وجعل
القول على اصله بناء على انه سالهم عما قالوا في انفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف لاستعمال الفصيح قالوا خيرا
منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اي تفعل خيرا او انت فاعل خيرا اخ كريم اي انت اخ كريم وهي جملة
مستانفة لبيان انه يفعل الخير وابن اخ كريم هذا على عادة العرب في تسمية القريب اخا قال تعالى والى عاد
اخاهم هودا والكريم الجامع للخير والفضائل كما في الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف الى اخره
فقال اقول كما قال اخي يوسف فيه بلاغة وطي بديع ابلغ من قوله ٭ نهيت من الاعمار ما لو حويته ٭
لهنيت الدنيا بانك خالد ٭ لما فيه من الايماء الى شقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع
رحمه مع ما له صلى الله عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم ابن الكريم وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه
وتملكه لنواصيهم وذاتهم له معترفين بقصورهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
التثريب التعيير والتوبيخ اي لا اوبخكم واعيركم بما فعلتم ويحتمل ان المراد لا عتب عليكم لعدم مبالاتي لكم
من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية
الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن ولو مع تغيير ما
في المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه الدعاء بالمغفرة في وقت يرجى فيه خلافه

واليوم يطلق بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اى لا تعيير لكم اليوم لان القدرة تذهب
الحفيظة اذا بدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة
فلا تثريب في زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرا القرا ويعني جملة دعائية او خبرية مبشرة لهم
بذلك اذهبوا فانتم الطلقا بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى سبيله قيد وهو مخصوص بما كان
من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقا تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله عليه وسلم
لما نزل بمكة واطمان الناس جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان
بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش انى فاعل الى اخره فخرجوا كانما نشروا
من القبور وقال انس رضى الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح منصوب على الظرفية
اى وقت صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الهبوط النزول من علو لسفل وهو يتعدى
ولا يتعدى قال العباس رضى الله عنه ثم هبطت البلاد لا بشر وباؤه مفتوحة في الماضى مكسورة في المضارع
وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم كثر في غير المتعدى وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدى وغيره
يعنى بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التا اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره
جبل يقال له ناعم والوادى هو نعمان فقيل فيه التنعيم كذلك وقالت امرأة تذكره ۰ ايا جبلى نعمان بالله
خليا ۰ نسيم الصبا يخلص الى نسيمها ۰ وهو على اربع اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة
فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله في هذه القصة وهو الذى كف ايديهم
عنكم الاية وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم اى اظهركم ونصركم عليهم فهزمهم حتى ادخلهم بطنها
وحديث انس رضى الله عنه المذكور رواه مسلم والترمذى وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير
الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه وكان ذلك وهو في اصل الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون
رجلا وقال ابن هشام رحمه الله سبعون او ثمانون واخذوا واسروا واسقوا يمشون في الصلح فاطلقهم
وهم العتقا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر ان عكرمة بن ابى جهل خرج اليه خمسمائة فارس
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج في خمسمائة فارس فقال انا سيف الله وبذلك
سمى يومئذ فقام اليه في خيل فهزمه الى حوايط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية
على انها فتحت عنوة ورد بان الاية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضى والاية
نزلت بالحديبية قيد ومن العجيب قول ابى السعود ان الاية نزلت لما خرج عكرمة بن ابى جهل
في خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم
حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست في ذى
القعدة وفتح مكة كان في رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح اقول من قال
المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضى اعنى كف للتحقيق بمعنى المضارع
وعدا بعيد جدا وايضا ما ذكر ان عكرمة بن ابى جهل خرج في عسكر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد
بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان

طليعة

طليعة للمشركين كما في البخارى ولا حاجة لتاويل كلامه بانه اراد بالفتح قصة الحديبية لانها سميت في القرآن
فتحا مع انه تابع في هذا الغلط لغيره وعهدته على من قاله اولا وليس ما نقل ايضا مطابقا لما قاله في تفسيره وفي فتح
مكة خلاف في كتب الفقه وفي الكشاف كف ايديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهى نزعة اعتزالية ولذا
تركه القاضى رحمه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لابى سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
وقد سيق اليه جملة حالية اى قال له القول الاتى وسيق مبنى للمجهول لما ساقه اليه وقاده والسايق له هو العباس
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشار النبى صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ونزل من الظهران عشا ولو عشرة الاف
نار وجعل على الحرس عمر رضى الله عنه واراد دخولها قهرا لقتال الكفار فرقت نفس العباس رضى الله عنه
لاهل مكة فخرج على بغلة النبى صلى الله عليه وسلم حتى اتى الاراك فقال لعلى اجد ذا حاجة ياتى مكة فيخبرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا ويستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت ابى سفيان يقول
لبديل ما رايت كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت ابا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال مالك فداك
ابى وامى قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش قال فما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك
ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فركب خلفى
فكنت كلما مررت باحد قال بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضى الله عنه قال
ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذى امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر معه فقال ابو سفيان دعنى اضرب عنقه فقلت انى قد اجرته وجلست فلما
اكثر عمر رضى الله عنه في شانه قال صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فاتنى به فغدوت
به صباحا فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا بعد ان جلب اليه الاحزاب جلب بالجيم
والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهى اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهى الناس المجتمعون
من قبايل شتى للحرب ويقال تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق التى كانت في سنة خمس واسناد جلب الاحزاب
اليه لانه كان قايد جيشهم وصاحب رايهم والا فسبب التحزيب انما كانت جماعة من اليهود دعوا القبايل
وحركوا قريشا لذلك كما فصل في السير وقتل عمه حمزة سيد الشهدا رضى الله عنه واصحابه اى اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد ومثل بهم بالتشديد اى شوهت خلقهم بقطع الاطراف وشق البطن
واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهى العقوبة الشديدة ومنه قد خلت من قبلهم المثلات
ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضى الله عنه وقتل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى ابى سفيان
مع ان قاتل حمزة وحشى بن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشر ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك
القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضى الله عنه مشهورا انه باحد لا يقال ان عبارة المص رحمه الله توهم انه
بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل
زوجته هند لان فعل اهل الرجل كفعله لا سيما النسا وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المص رحمه الله
بقوله بهم فممن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل في السير فعفى عنه ما سبق منه في كفره لان الاسلام
يجب ما قبله ولاطفه في القول اذ خاطبه بقوله ويحك يا ابا سفيان اى اتعجب لك ما عقلك وذهابك وظهور
حقية الاسلام وعبر بفاعل ليلطف كل منهما في مقاله والتلطف الرفق وابر ويكون بمعنى الرقة والصغر

الم يان لك اى الم يدن وقت علمك يقال الى يانى اذا حان وقته وجاز بيانه ان تعلم ان لا اله الا الله اى
توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا فقال ابو سفيان بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك
لرحمك اذ خاطبتنى بلطف وهديتنى الى الحق مع ما قاسيته منى ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله
اله غيره لقد اغنى شيا بعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم انى رسول الله
فقال بابى وامى اما هذه ففى النفس منها شئ فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه فى السير واسلام ابى سفيان رضى الله
عنه مشهور وفى بعض النسخ بدل ما احلمك من الجمال ويحتمل انه من التجمل وهى صيغ تعجب وكل هذا جائز وفى تاريخ
قزوين للامام القزوينى روى عن على بن احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدى القزوينى حدثنا الحسن
بن الفضل حدثنا محمد بن غزوان البغدادى حدثنا الاصمعى حدثنا مالك بن منول عن الشعبى عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فشكت
ذلك الى ابيها فقال لها ايتى ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على ابى جهل لعنه الله وقال لها
الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابى سفيان
قال ابن عباس رضى الله عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم انتهى نقله السيوطى
فى كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى
اى غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه فانه يرضى باقل شئ لمزيد الكرم وحلمه صلى الله عليه وسلم
وياتى فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفى الحديث المؤمن
بطئ الغضب سريع الرضى وهذا فى غير حقوق الله وفى غير ما يؤدى الى عدم الحمية والمروة فلا ينافى هذا قول
الشافعى من استغضب رسول الله فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان **فصل**
واما الجود والكرم والسخا والسماحة جواب اما قوله الاتى فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى الخ وما بينهما
جمل معترضة ومعانيها متقاربة بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم لذلك انها مترادفة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق واهل اللغة يعرفون الفرق فى امثالها بمقابلها واضدادها كما قيل • وبضدها تتميز الاشيا • ولابن
هلال كتاب فى الفروق مفيد جدا وتقدم ان فرق بتخفيف الرا وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم قال الاكثر
فى التفريق استعماله فى الاجسام والفرق فى المعانى وهذا لا ينكر استعمال احدهما مكان الاخر فهو كلام قليل الجدوى
وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو فى الحقيقة فرق وبدا المص بالجود اولا وفى التفريق
اخره لانه عنده بمعنى السخا ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على السخا وتاخيره فجعلوا الكرم الانفاق
بطيب النفس فيما يعظم خطره نفعه عظم بضم العين فيهما اجل مقداره وخطره بفتحتين وقد تسكن الطا قدره
ووقعه ونفعه لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطى والاخذ وكان هذا معنى
الكرم فى عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال وسموه ايضا حرية
بضم الحا وكسر الرا المهملتين المشددة يليها ياء المصدرية وهى اذا لحقت ما لاسما الجامدة والصفات تقيدها مصدرا
ولا بد فى اخرها من ها تانيث ولم تفصل النحاة حال هذه الاسما الا انها شايعة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ
هنا من انه جراة بجيم مضمومة ورا ساكنة تليها همزة وها كما فى حواشى ابن رسلان فهو تحريف الكتاب فانه لا مناسبة

له هنا وان كانت الجراة والكرم اخوان لا يفترقان لا سيما فى زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسميته الكرم
حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من فتن الناس فاذا طوقهم منته خلصت له الحرية لان الانسان عبيد
الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخا لانه بذل ماله اليه
حاجة وهو نهاية السخا واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من
اعراض الدنيا والاخرة ويكون فردا لم تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ متمناه وقال القرطبى فى كتاب
المنتقى من كلام اهل التقا فى التصوف الحرية المحضة هى الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر
بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا بنو العادة وايثار اللذة وكل
من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه فى زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة
لذته ومن خدم فى الراى والادب شق عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى وهذا
ضد النذالة بفتح النون والذال المعجمة واللام هى الخسة والحقارة وهى من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل
وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة والسماحة واسماح التجافى تفاعل من الجفا وهو غلظة الطبع
وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا نبا عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم
عن المضاجع اى لا يكثرون النوم اى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهو كما قال التلمسانى سوء الخلق وفى القاموس انها البخل والاول
انسب هنا والثانى انسب بتفسير السماحة بالجود كما قال ابن القوطية والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب
ما لا يحمد من الصنايع المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل وهو الجود وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور
فى الممتع السخا ماخوذ من الارض السخاوية وهى الرخوة ولذا وصف الله بجواد دون سخى لانه اوسع
فى معنى العطا وادخل فى صفة العلا انتهى وتقدم ذلك فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك رحمه الله
فى الكفاية السخى هو الجود فهو موافق لما قاله المص وقال سقراط الجواد هو الذى يعطى بلا مسيلة صيانة
للاخذ من ذل السؤال وقال ارسطو ما الجود من يعطى اذا ما سالته • ولكن من يعطى بغير سؤال •
وهو ضد التقتير المعروف فى اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق فى الانفاق وهو ضد الاسراف
والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف فى سورة الاسرا يقال قترت الشئ واقترته اى ضيقت الانفاق
فيه وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والبخل والتقتير متلازمان
لا مترادفان حتى يكون منهما ضد للسخا واعلم ان كلام المص هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادرى
من اين اخذه ولكن الامر فى مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسننكر عليه مرة اخرى فكان صلى الله عليه وسلم
لا يوازى بالهمز مبنى للمفعول اى لا يساوى ولا يقابل يقال فلان يازى فلانا اى يحاذيه ويساويه
وقال الكرمانى موافقا للجوهرى يقال ازيته اى حاذيته ولا يقال وازيته والذى عندنا فى النسخ
موازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا فتحت وانضم ما قبلها نحو جون
وجزم البرهان الحلبى بانه فى كلام المص بالواو ويحتمل انه فى كلام بالهمز ورسمت واوا على قاعدة الرسم
فى مثله اى هو صلى الله عليه وسلم لا يساويه احد فى هذه الاخلاق الكريمة والاوصاف الحسنة من الجود
والسخا والكرم والسماحة فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم ولا يبارى

بالبنا للمجهول وهو بالموحدة والرا المهملة ومعناه يعارض والعارضة ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان
بهذا وصفه كل من عرفه بالمشاهدة او علم الشهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمة وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهي
قرية بقرب القيروان قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي تقدمت ترجمة قال حدثنا ابو ذر الهروي تقدم
ايضا قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهني قال البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم
وسكون المثناة التحتية وفتح الها بعدها نون كما في لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي
في طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ الشفا والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج منها
جماعة وقد خربت انتهى وفي اخره يا نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق فما في بعض الشروح من انه لا يا في اخره
وان النسبة فيه على خلاف القياس مما يقضى منه العجب وابو محمد السرخسي نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد
تقدمت ترجمته وابو اسحاق البلخي ابراهيم ابن احمد بن ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام المشهور كما
تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة في ما وراء النهر قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري تقدمت ترجمته وفربر
بوزن سنجل بلدة ببخارى قال حدثنا البخاري تقدم وشهرته تغني عن ذكره قال حدثنا محمد ابن كثير
بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وعشرين
ومائتين وله ترجمة في الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبي انما هو في ابن كثير الفهري وفيه تعقب لكلام
المزي لانه قال العبدي قال حدثنا سفيان هو ابن سعيد الثوري كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا
سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كما هنا واخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمايل وهو
حديث صحيح عن ابن المنكدر وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله اليتمي المدني الحافظ عن ابيه وعن عائشة
وابي هريرة رضي الله عنهما واخرجه له اصحاب الكتب الستة قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول
ما سيل النبي صلى الله عليه وسلم شيا فقال لا وهذا كما علمت ان الحديث اخرجه الترمذي في الشمايل وغيره
وفي معناه قول حسان ٭ ما قال لا قط الا في تشهده ٭ لولا التشهد لم تسمع له لا لا ٭ ومعنى الحديث انه صلى الله
عليه وسلم اذا اتاه مستحق يطلب عطاه لا يخيبه ويقول له لا قط بدليل قوله حتى اذا لم يجد شيا اقترض وقال
ايتني غدا ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة
معروفة مالوفة ولم يرد انه صلى الله عليه وسلم لم يتلفظ بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بلا نحو
لا يلدغ المومن من جحر مرتين كما مر لا تحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة له ثم قال واما قوله
في البردة نبينا الامر الناهي فلا احد ٭ ابر في قول لا منه ولا نعم ٭ فهو انما يقتضي صدورها عنه مطلقا وذا الايناف
انها لم تكن لتصدر عنه اذا سيل عن شي من متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحال اقول
قد عرفت ما فيه ولا يبقى هنا في البيت اشكال كان يحول في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي انشا لا يجاب
بلا ونعم فالتفريع بلا لا يصلح في محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لي ولله الحمد
وجهه فمعنى نبينا الامر الخ انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال في امر لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا
موافقا لرضا الله فحينئذ لا يخالفه الا بقسر قاسر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو اصدق
القايلين فيما يقوله وعن انس بن مالك رضي الله عنه وسهل بن سعد مثله اي مثل الحديث السابق المروي

ابن الحنبلي

في الصحيحين وحديث انس رضي الله عنه هذا في مسلم وذكره في الوفا ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جيبا لا يسال شيا الا اعطاه والاحاديث في معناه كثيرة وسهل هو الساعدي الانصاري الصحابي وقال
ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير اي بما فيه نفع الناس واجود ما كان
في شهر رمضان رمضان اسم للشهر ويقال رمضان وشهر رمضان وكونه العلم المضاف دون المضاف اليه اوهما
كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان وما روي من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان من اسماء الله
عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخاري وهذا الحديث رواه الشيخان
وروي فيه اجود ما يكون ووقع في بعض النسخ هنا ايضا واجود الثاني يجوز رفعه مبتدا ونصبه عطفا على خبر كان
وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة في نحو اخطب ما يكون قايما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله
وما مصدرية وكان تامة ولنقتصر من القلادة على ما احاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم في رمضان
لحاجة الصايمين ولانه موسم الخيرات الذي تفضل فيه الله على خلقه بما لم يتفضل في غيره فاتبع سنة الله في عباده
وتخلق باخلاقه وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة لانه عليه الصلاة والسلام
يسر بملاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة فيحسن كما احسن الله اليه فكان بكثرة مجيئه له في رمضان ليدارسه
القران ويعارض به بقراة كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القران اجود بالخير من الريح المرسلة قال
الكرماني الجود اعطا ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواع ما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها
باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وقال والمرسلات
عرفا اي الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقي فجعله اجود الناس
ثم ذكر ان جوده في رمضان وعند ملاقاة جبريل ازيد منه في غيره والمراد بالمرسلة خلاف العظيمة قيل
وفي قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعاني في تحقيق وجه الشبه
في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقديره فيما بعده او لاشتراكهما
فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفا وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد
علم ان المراد بالريح المرسلة التي لم ترسل بالغيث لا مطلقها لانها في القران مخصوصة بهما فان قلت ذكر
الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون في العذاب والشر واذا جمعت فهي للنفع والخير قلت هذا قيل
انه مخصوص بما وقع في القران بالاستقرا لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع في هذا الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه
ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب انه قال كل شي في القران من الرياح فهو رحمة وكل شي فيه من الريح فهو عذاب
وما ورد في الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ما هبت ريح الا جثى النبي صلى الله عليه
وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل
على اختصاصه بما وقع اتفاقيا في القران لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح
القران ولا تجعلها من ريحه اي مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل الا ترى الى قوله ارسلنا
عليهم الريح العقيم وريحا صرصرا ونحوه وقوله وارسلنا الرياح لواقح وارسلنا الرياح مبشرات وقد قرى
في بعض ايات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده في ذلك فكانه اغلبي واما تاويله بما في الحديث
بما جاز فيه الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك لان ما هب ان كان ريحا واحدة

عطف على ما قبله وما مصدرية
بالنصب عطفا على اجود او اكثر اشباعا عتبار
ابروكمات احمد شهر رمضان
اختلاف ان غاية حالة صلاة او
وبعد ذلك سعد الخير
مطلب
لا يكره ان يقال رمضان

لم تلقح السحاب وينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا تهب
بعدها ريح اخرى وطول اعمار ناحتى تهب علينا رياح كثيرة وعن انس رضى الله عنه كما رواه مسندا مسلم فى صحيحه ان رجلا
هو صفوان ابن امية الاتى بيانه كما فى سيرة ابن سيد الناس وغيرها سأله صلى الله عليه وسلم فاعطاه غنما كثيرة كانت
بين جبلين اى مالية واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليلة
او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل هوازن فهو ظاهر وقوله فرجع الى قومه وهم قريش لانه من اهل مكة وفى نسخة الى بلده وقال
اسلموا الاية فيه وان كان قبل الاسلام فاما انه كان فى صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة
او من بيت المال ثم نسخ وقول الحصرى واتاه اعرابى لتمس لنداء اعطاه شاء ضمها جبلان • لعله قصة اخرى
فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش ويونسه قوله فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة فان قريشا كانوا يعلمون
كرم خيمه وجزيل عطائه صلى الله عليه وسلم فانه لا يخشى فاقة وما بارى احدا فى الجود الا فاقه والفاقة الفقر او شدته
وهكذا اوليا امته ففى الحديث دعايم امتى عصايب اليمن واربعون رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه
اخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاء الانفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين واعطى غير
واحد مائة من الابل الابل اسم جنس جمع لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم صلى الله عليه وسلم
مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبى وقال انهم يبلغون
ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر الشيخ قاسم فى تخريج احاديث هذا الكتاب واعطى صفوان ابن امية مائة
ثم مائة ثم مائة وصفوان ابن امية هو ابن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح قرشى له صحبة وكنيته ابو وهب
اسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطايف وهو مشرك فلما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم ما ذكر قال
اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبى فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفى فى خلافة معاوية سنة ثنتين
واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا غنما وابلا فلا منافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له انسابه كان
من غنايم حنين وهذا الحديث رواه مسلم وهذه الخصلة والسجية فى الكرم والعطا كانت حاله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يبعث اى نبيا او يرسل وقد قال له ورقة بن نوفل وورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين
وقاف وهو ورقة بن نوفل بن اسد ابن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر بليغ متالهٌ وكان
يقرا ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتاله ويتعبد ولذا سمى القس وتهود فى اول امره ثم تنصر وهو ابن
عم خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها وله اشعار كثيرة فى التوحيد ولشهرته لم يكن له عقب وورد فى الحديث
لا تسبوا ورقة فانى رايت له جنة او جنتين يعنى بذلك ما ورد من طريق اخرانه صلى الله عليه وسلم راه فى منام
فى الجنة وعليه حلة خضراء او بيضاء ونحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا اذا ابتدا الوحى
الى ان تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وامن به كما فى اول البخارى وقال له ان
ادركت زمانك لا نصرنك نصرا مؤزرا وكان صلى الله عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات
ورقة بعد نبوته صلى الله عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من امن بالنبى صلى الله عليه وسلم من الرجال
وهو ثان بالنسبة لخديجة رضى الله عنها وصحابى فى لذا عرفوا الصحابى بانه من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم
مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغى التنبه له وفى نظم السيرة للعراقى فى ذكر ورقة فهو الذى امن
بعد ثانيا • وكان برا صادقا مواتيا • وانصادق المصدوق قال انه • راى له تخطط فى الجنة • وهذا هو الصحيح

المذكور

المذكور من انه صحابى عند بعضهم وقيل انه ليس بصحابى لانه لم ير النبى صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به
بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المص رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كان الجملة معطوفة على ما قبلها
فهو صادق على القولين وان كانت حالا من الضمير فى قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثانى وهو موافق على كل حال
ولذا راه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة والاكثرون من علمائنا انه صحابى انك تحمل الكل هذا بعض من حديث
صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطى فى تخريجه القايل له صلى الله عليه وسلم وهذا انما هو خديجة رضى الله
عنها مكالمتها لورقة فى شان النبى صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عليه الصلاة والسلام فى اول امره وخاف
على نفسه منه وكذا اعترض عليه الشيخ قاسم فى تخريجه ايضا فقال لا اعلم هذا من قول ورقة رضى الله عنه والذى
فى صحيح البخارى وغيره انه من قول خديجة رضى الله عنها وما قيل من ان القاضى جليل القدر لا يخفى عليه مثله
ولا يبعد صدوره من ورقة لا يجدى نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث والكل صادم بنوه
والحاجود كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعيا وفسر بالثقل فقيل
انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعيا والذى فى البخارى قبل هذا من قولها ايضا حين
قال لها صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عليه الصلاة والسلام لقد خشيت على نفسى وهو فقالت كلا والله
لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوايب الحق
وتصدق الحديث وتودى الامانة والحديث فى اول البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وحمل الكل هو
كقول العرب فى المدح هو حمال اثقال اى يحمل ثقل غيره من الضعفا والعيال واعانة الخلق بالانفاق
عليهم واطعامهم واعطايهم كل ما يحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع
فى هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة فى اكثر الروايات واصحها اى تكسب لنفسك
بتحصيل ما يهم وقيل تكسب غيرك اى تعطيه لان كسب جا لازما ومتعديا وانكر الفرا وغيره اكسبه فى المتعدى
وصوبه ابن الاعرابى وانشد فاكسبنى مالا واكسبته حمدا فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول
وقيل يتعدى لمفعولين ككسب والمعدوم الذى لا وجود له واما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال
الشاعر قالت بنات العم يا سلمى وان • كان فقيرا معدما قالت وان • قيل ويطلق عليه معدوم ايضا
لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بنى للمعلوم ومذكور ان بنى للمجهول والمراد على الوجهين
انك تعطى الناس الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابى رحمه الله تعالى
صوابه المعدم بلا واو يريد انك تعطى العادم الفقير الذى لا يجد شيا خطا لان هذه الرواية صحيحة
مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها انه خشى الهلاك
من شدة الرعب او تعييرهم اياه فارادت خديجة رضى الله عنها دفع ذلك الذى خشيه بقولها المذكور
لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهى صحيحة رواه البخارى
وغيره فقال ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف نفس من النسا والذرية غير الاموال التى من غنايمهم
لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة الاف اوقية من الفضة
والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه قوم ما وهبه لهوازن فكان خمسمائة الف الف وقيل ثمانية
الف الف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما ياتى موضع سمى بحنين

بن نابة بن مهلا بيل وغزوة صلى الله عليه وسلم لهم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت في شوال
او في رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وحاز غنايمهم جاء وفدهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الرضاع فسالوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم ابناؤكم ونساؤكم
احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب
فهو لكم وما للناس يسال منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة
من المولفة قلوبهم اما ما لنا فلا فاخذه صلى الله عليه وسلم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجي فسلموهم جميعا
وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به
والسبايا جمع سبية بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النسا واعطى ايضا العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري عن انس تعليقا من الذهب ما لم يطق حمله وقد اتى بمال
من البحرين وكان اكثر مال اتى فنثر في المسجد فاتاه العباس رضي الله عنه وقال اعطني فاني فاديت
نفسي وعقيلا فقال له صلى الله عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب لنقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال
لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله
وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر
مكرها وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فعلوه وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها رواه ابن الضحاك في شمايله موصولا الا انه
قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفا وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفا
والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مديحه سبعون
الفا فضها في مجلس لم يبق منها عنده فلسان وقوله حتى الى غاية لقوله قسمها وقيل لقوله فما رد سايلا وليس المراد
انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وجاءه رجل فساله عطا شي يحسن
به له فقال ما عندي شي ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافي ما مر من انه صلى الله عليه وسلم ما قال لسايل
لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما طلب من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره في عدم التعجيل له بدليل قوله
ولكن ابتع علي وهو بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشرا
فانه يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه اشتراه اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علي وفي ذمتي كذا ثبت
في الحديث وفي شرح الدلجي انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة اي اشتر واستلف ما يختار انتهى وليس
هذا ضمان بل وعد منه الا ان وعده صلى الله عليه وسلم كان ملتزما لوفا لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما
توفي نادى ابو بكر رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة او دين فلياتنا فجاء جابر رضي الله
عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني كذا فاعطاه له فاذا جانا شي مما من الله به من الغنايم
او غيرها وفي قوله جانا يعني معاشر المسلمين اشارة الى انه قال الله لعباده لا لي وحدي قضيناه اي اديناه ويحتمل
ان الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم اي قضيته قضاء نال به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم يقل جاني
وقضيته مع قوله علي فتامل والقضا يشعر بانه لزم ذمته كالدين فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا

ابراتبع مقتدرما يختا ؟
اليه حوالة علي

تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك اي بدا في وجهه الشريف اثر عدم رضاه لان فيه كسر خاطر السايل
ولان مثله لا يعد تكليفا لما قدر له لما عوده الله من فيض نعمه عليه فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق
ولا تخف من ذي العرش اقلالا كان حاضرا لما راى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك البرهان هذا
الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القايل بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال
والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة اخرى المامور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار
مسندا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندي الا صبرة جنيتها لك ولضيفانك فقال اما
تخشى ان تقذف بها في نار جهنم انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ومن العجب ايراد هذا هنا
ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلالا ووجه بتوجيهات منها ان اصله بلالي
بالاضافة ليا المتكلم وحذف حرف النداء وابدال اليا الفا كيا غلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل
اي انفاقا طيبا تبتل به قلوب اكليه ولو قيل انه رد لا صلة من النصب والطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد
اخرجه العسكري في الامثال مرفوعا ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان الكمل منفق خلفا وقوله
لا تخش نصف بيت وقع انفاقا وقيل بلالا كلتان اي بغيرها ويا باه رواية يا بلال بحرف النداء والذي رواها
المص ولا تخف دون لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب لا تخش ليصير موزونا غير صواب من وجهين
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه بانبساطه وتهلل اساريره وقال بهذا امرت اي بالانفاق
من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي الضحك وقد استشكل هذا بان الله امره بقوله
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا قال في الكشاف لان الاسراف
غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه واجاب القاضي ابو يعلى
بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله عليه وسلم وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم
عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله اما من كان ليس كذلك يتحسر على ما ذهب منه فهم المحمود منهم
التوسط وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لا صبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه الصلاة والسلام
كلام عمر رضي الله عنه لما رعى ظاهر الحال وامر بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم لعله بكثرة السايلين
له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا امرت
اشارة الى انه امر خاص به وبمن يمشي على قدمه وقوله فكره الترمذي اشارة الى من روى هذا الحديث وذكر
عن معوذ بن عفرا ذكر بالبنا للمجهول قال السيوطي ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمايل والطبراني عن الربيع
بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الرا المهملة والتصغير فموحدة ثم دال والياء
التحتية اسم امراة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف
على القاضي رواية عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم
وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا ضبطناه عن الصدفي
ثم ذال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال المهملة مع الفتح والكسر والاول اولى وعفرا بعين مهملة وفاء وراء
مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم امه وهي عفرا بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعة

بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذى قتل ابا جهل وفيه كلام فى التيسير
قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع بقاف مكسورة ومضمومة فنون والف فعين مهملة ويقال انه قنع
بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله من رطب تريد طبقا انه مفرد وكذا قوله فى حديث اخر اهدى لنا القناع
فيه كعب حيث افرده واجر زغب بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الرا واصله اجرى فسقطت ياوه كادل فى جمع دلو
وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثا وزعم ابن فرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال وهو جمع جرو
وزغب بضم الزا وسكون الغين المعجمتين وموحدة جمع ازغب وهو ما عليه زغب والزغب صغار الريش
والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من الصغير وقوله تريد قثا بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة
والمد وهى معروفة وهى ضرب من الخيار والف للتانيث او للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره ولذا
فسر به الجمع ولا حاجة لتقديره من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالدليل الصغر كما توهم وهو
تفسير لقوله اجر وروى الهروى اجن بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغصن الرطب والمشهور الاول
وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثا فاعطانى ملء كفه حليا او ذهبا بالواو العاطفة وفى الترمذى او قال ذهبا
مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل على الوهم وفى رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين
انما اتاه صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلى بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلى
بضم الحاء وكسرها ووزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمسانى بالمفرد هنا فان كانت
الرواية به فواضح والا فتجوز قراءته بالوجهين وعن انس وفى نسخة قال انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه
وسلم لا يدخر شيا لغد اخرجه الترمذى وشيا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله صلى الله عليه وسلم
وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لا ينافى التوكل كما لا يخفى والخبر بجوده اى فى بيان جوده وكرمه
كثير لا يحصى فهو البحر حدث ولا حرج وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم هذا
الرجل لم يسم والحديث لم يخرجه السيوطى ولا غيره يساله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اقرض
واسلفه والقرض بمعنى نصف وسق بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز ثلاثمائة وعشرين
رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبى
رحمه الله تعالى والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشى فجاء الرجل الذى اقترض منه يتقاضاه اى يطلب منه كما امر
فاعطاه وسقا ما اخذ منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له نصف قضاء لما اخذ منك ونصف نائلا اى عطا
وهبة لك ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة سقطت من اكثر النسخ وهى وقد قال ابو على الدقاق من شيوخ المتصوفة
المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رايهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان
هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل احد فى القيمة يقول نفسى نفسى ويقول
هو صلى الله عليه وسلم امتى امتى انتهى ما زيد هنا واثبتها محمد بن مرزوق فى شرحه وتبعه التلمسانى فى شرحها
فالنتمم الفائدة ببعض فوائدها وبيان ما فيها فاعلم ان الدقاق هو ابو على الحسن بن على شيخ القشيرى تفقه فى اول امره
على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية واحده صوفى ويقال التصوف اذا انقطع
الى الله تعالى كما يقال قيسى اذا انتسب لقيس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال
بعضهم الصوفى هو المنقطع لهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضى الله عنهم وهى سقيفة اتخذها

ابن الحنبلى

كرد زاد زغب الرضى الريش اول ما يطلع

ضعفا

ضعفا الصحابة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وكان قبل الاسلام حى يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة
فقيل الصوفى نسبة لهم وقيل لانهم يجتمعوا كما تجتمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض
او هم منسوبة للصوف للينهم وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى
وقيل منسوب للصفة والاصل صفى فابدل احد حرفى التضعيف لينا وقيل انه من الصفا ففيه قلب وصحح
هذا بعضهم لقول البستى • تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا • جهلا فظنوه مشتقا من الصوف • ولست
انحل هذا الاسم غير فتى • صافى فصوفى حتى سمى الصوفى • ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المص
رحمه الله تعالى معنى الفتوة **فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل هذا معنى ما قاله الحكما فى علم الاخلاق ان الله تعالى ركب فى الانسان قوة هى مبدا الاقدام على الاهوال
والمهالك لتصوره ان من خاطر بالنفس رما يهلك النفس وانه لا يغنى حذر من قدر وهى القوة الغضبية الشنيعة
والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب
حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لا ينبغى وتفريطها الجبن وبهذا عرفت
معنى الشجاعة والجراة اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظى بالاعم
والنجدة بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما فى النهاية وهى شدة الباس ويقال هم انجاد امجاد اى اشد
اشجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها اهل اللغة
بالشجاعة على عادتهم فى التسامح فلا ينافى تغايرهما كما توهم ويؤيده ما فى الحديث لابن عمر ما رايت انجع ولا انجد
ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة فى معنى المساعدة ثقة النفس فى بعض الشروح وثق
الشى بالضم وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق ووثقت به بالكسر ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما فى التقريب
والمص رحمه الله تعالى استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس
على ربها واعتماده على نفسه عند استرسالها اى انطلاقها واخذها فيما يودى الى الموت اى استيناسها و
وطمانيتها بلا خوف كما ورد فى الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه وحديث غبن المسترسل ربا حيث
يحمد فعلها دون خوف قيل ومنشوه قوة النفس وشدتها وليست عين الشجاعة ففسر الشدة بما ينشو عنها
انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان الشجاعة جراة واقدام
يخوض به المهالك كما ينبغى والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت
عليه حتى يقضى الله تعالى له باحدى الحسنيين الظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة
وهذه نتيجتها ولذا اخرها المص فى الذكر وكان صلى الله عليه وسلم منهما اى من الشجاعة والنجدة بالمكان
الذى لا يجهل اى كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على احد وعدم جهل المكان
لعلوه وشرف بنائه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره صلى الله عليه وسلم وشهرته على حد قوله ان الشجاعة
والسماحة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج قد حضر المواقف الصعبة اى مواضع القتال الشديدة ومصافها
فجعلها نفسها صعبة لصعوبة ما فيها وفر الكماة والابطال عنه غير مرة الفرار الرجوع بسرعة والكماة بزنة
قضاة جمع كمى على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل وهو جمع كام بمعنى كمى وان لم يسمع وهو من تكمى اذا استتر
فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل فى مطلق الشجاع كالمشتغر فان قيل انه سمى به لانه يستتر

ابن الحنبلى

دلجى

شجاعة ووقايعه كان الثانى حقيقة ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل بحسن وهو الشجاع المعروف
بالشجاعة سمى به لانه يبطل عنده دما الاقران وغير مرة بمعنى مرات والكرب بجعل غير مرة بمعنى مرات مع صدق علم مرتين
للابهام ونحوه من الفوايد وهو صلى الله عليه وسلم ثابت لا يبرح اى لا يفارق مكانه قال تعالى كقوله فلن ابرح الارض
اى لا افارقها ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح اى لا يزول عن مقامه قال تعالى فمن زحزح عن النار وهذه الحالات
تدل على ثباته صلى الله عليه وسلم اى تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسى فلا يعطى يتحرك فان اريد
باقباله مجرد توجهه بوجهه وبعدم ادباره التفاته لغيرها فهما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد والتنحى
عن المكان قال الزبيدى زحزحه اذا دفعه وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه يزيحه او من الزوح وهو
السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وانزاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول وعطفه على الادبار
من عطف الخاص على العام وكان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثر وزاد
على ضعف عسكره ويأتى ما فيه واما الان فان زاد العدو على ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال
والا فلا يجوز الا بالتحيز او التحرف الى فية فاذا الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقها والمعروف
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة احصيت بالبنا للمجهول من الاحصا وهو العد والحفظ والفرة المرة
من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم الجولة بفتح الجيم يكون ابواو
واللام المرة من الجولان فى المكان وقيل هى الانكشاف والزوال عن الوقف من غير تقييد بالمرة فى النهاية
جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه الجولان فى الحرب والجايل الزايل عن المكان وقول الصديق رضى الله
عنه للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبه من جال على قرنه يجول انتهى والجولة هنا صفة ذم بمعنى فر لا غلبة
وفى الحديث للباطل جولة ثم يضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب لتعود والتردد
فى المكان ويصح ارادة كل منها هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكره فقال حدثنا القاضى
ابو على الجيانى فيما كتب لى هو الامام الحافظ ابو على الغسانى الجيانى بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم
الف ونون ويا النسبة للبلدة منها ابن مالك مع ملاقاته بدليل وابو حيان وغيرهما من الايمة وقوله كتب
لى دون الى يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغايب والحاضر وتتضمن
الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى لم يفرق بين كتب لى واليه اذ قال كثيرا ما يوجد فى مسانيدهم ومصنفاتهم
كتب الى فلان وهو معمول به عندهم معدود فى المسند الموصول وفيه اشعار قوى من الاجازة وانه لم
تقترن بها وعند السمعانى وامام الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة قال حدثنا القاضى سراج بكسر السين
كالسراج المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموى توفى لست بقين من جمادى
الاولى سنة ثمان وخمسمائة والذى روى عنه الجيانى وهو جعفر سراج بن عبد الله كما قاله التلمسانى قال
حدثنا ابو محمد الاصيلى هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلى ويقال
الازيلى بالزاى والسين ايضا نسبة لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغانى فى الذيل
والصلة اصيل بلد من اعمال الاندلس قال حدثنا ابو زيد الفقيه هو ابو زيد المروزى وقد تقدمت
ترجمته قال حدثنا محمد بن يوسف الفربرى وقد تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا محمد بن اسمعيل
هو الامام البخارى وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن بشار الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح

الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب الستة عاش
ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة فى الميزان قال
حدثنا غندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلى
مولاهم البصرى الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان ايضا
عن ابى اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى الكوفى احد اعلام الحديث اخذ عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين
وروى عنه خلق كثير وله نحو من ثمانمائة شيخ وهو شبيه الزهرى فى الكثرة وكان صواما قواما غازيا مات سنة سبع
وعشرين ومائة وله خمس وتسعين سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان سمع البراء بن عازب
الصحابى المشهور وقد سأل رجل وهذا الحديث اخرجه القاضى كما ترى عن البخارى فى الجهاد فى موضعين
باختلاف فى بعض الفاظه ورواه مسلم فى المغازى والنسائى فى السير افررتم معاشر الصحابة يوم حنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وحنين بن مانة ابن مهلايل وبه سمى الموضع المعروف وسميت
غزوة حنين واوطاس باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة فى شوال ووقع فى البخارى انه صلى الله
عليه وسلم خرج الى حنين فى رمضان والمعروف انه فى شوال وما ذكره المصنف ورد فى بعض طرق الحديث وفى بعضها
افررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووى جواب البراء
رضى الله عنه من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضى انه صلى الله عليه وسلم وافقهم على ذلك
فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى
وهذا الجواب لا يتأتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغى للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه
السايل بقوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجئ انه صلى الله عليه وسلم انهزم قط ولم ينقل احد وقد نقل
الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان
رضى الله عنهما اخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو كما يأتى وقد صرح به البراء فى حديثه
كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتى الجواب على ما رواه المصنف ايضا لان قول السايل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان دفع وهم انه ما فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان نافيا فيما طواه البراء فى الجواب الذى
تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى دفعه بقوله لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر لانه اشد ذلك لدفع ما توهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد
البراء ان يبين ان فرارهم لم يكن بالكلية وانما معناه تحولنا عن وجه العدو فى لنا جولة ثم عدنا وكيف ندع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو اعز من انفسنا وهو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سئل عن فرارهم قال له هذا لا يهمك
شانه وانما الذى ينبغى ان تعتقده انه صلى الله عليه وسلم لم يفر تم كلف ليس فى الكلام ما يدل عليه ثم قال
لقد رايته على بغلته البيضاء الشهباء يقال لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة كما فى مسلم وفروة بفتح الفاء والكاف
الراء ونفاثة بضم النون وبالفاء المخففة وبالمثلثة الجذامى بضم الجيم وبالذال المعجمة وفى رواية ابن اسحاق بن نعامة
بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله عليه وسلم فى حنين بغلة تسمى دلدل وكذا قاله
النووى فى شرح مسلم والمعروف الاول وهو الذى اهداها المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية
رضى الله عنه ويقال انه وجهها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه وكان له صلى الله عليه وسلم ست بغلات

لا يبرح

عرض

مطلب دلدل

او خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهنا هالم وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي صلى الله عليه وسلم
واسمه المغيرة او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع والف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله عليه وسلم
ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبي صلى الله عليه وسلم واجابه حسان رضي الله عنه
عما هو مذكور في السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفي سنة عشرين وصلى الله عليه وسلم وهو
احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اصحاب السير اخذ بلجامها اى يمسك عنان بغلته عليه
الصلاة والسلام والعباس رضي الله عنه من الجانب الاخر فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي سفيان وقال
وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابي وامي فقال نعم اخي ناولني حصا من الارض
فناوله ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما راياه
من اقدامه صلى الله عليه وسلم ومسارعته فاشفقا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله عليه وسلم
وحماية الله له والنبي صلى الله عليه وسلم عليه يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب هذه الرواية المشهورة
بسكون الباء للوقف ويروى بتحريك الباء فيهما وروي بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة
اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من مجزو بحر الرجز والنبي صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما
علمناه الشعر وما ينبغي له فكيف يصدر عنه صلى الله عليه وسلم هذا ونحوه كقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت ووقع مثله في كتاب الله واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا
بهذا وبان العرب تسمي قايله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر الممنوع عنه صلى الله عليه وسلم ان يكون بنظم انواع
فيكون سجية وما وقع نادرا لا يعد قايله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القران يقع فيه
ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام ومثله لا يكون القران شعرا كالبيت والمصراع اذا وقع في اثنا رسالة او
خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث وفي القران كقوله يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره • لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث صحيح واما في القران فلا لانا اذا سلمنا
وقوعه فيه لا بد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شيء في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض
مشايخي فاستحسنه ثم رايته في بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة في كتاب
الكملة لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القران موزون لانا لا نجوز ان يقرا على هذه الطريقة بل نصل الكلام
ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك
يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر ممن هو افصح الناس وفيه نظر ونفي الكذب عنه لانه صلى الله
عليه وسلم مصون عنه مطلقا او معناه لا كذب في الظفر والنصر وما وعد به الله او لا اكذب في دعوى النبوة
لظهور اياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم ان كان الضمير راجعا للبخاري
وقوله زاد غيره اقتضى صيغة ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها فيه في محلين من كتاب الجهاد فكان
ينبغي له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول
المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب صلى الله عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك
لان اباه مات شابا في حياة جده وهو طفل فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه
سيد اهل مكة او خصه بالذكر وقد انهزموا عنه تثبيتا بالنبوة عليه الصلاة والسلام وازالة الشك فيما عرف

وقوله زاد غيره صح

لما عرف من رؤياه المشتهرة بذلك كما انبا بذلك الاحبار والكهان فكانه يقول انا ذلك الموعود به فلا بد مما
وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول او مغلوب وكان عبد المطلب راى في منامه ان سلسلة من فضة
خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة
منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق
والمغرب ويحمده اهل السما والارض فلذلك سماه محمدا كما قال حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد في ابائك
ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد
هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا فقد علمت انه وقوله انا النبي الى اخره ليس من الافتخار المنهي عنه لانه جائز
في الجهاد لارهاب العدو وكان صلى الله عليه وسلم ينصر بالرعب كما مر وهذا جار على عادتهم كقوله اقول
له والرمح باطر بتنه • تامل خفافا انني انا ذلكا • قيل فما راى يومئذ احد كان اشد منه صلى الله عليه وسلم
اى لم ير في حرب هوازن اقوى ولا اشجع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا
ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال
في كتايب لم ير المسلمون مثلها عدة وعددا وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالقتال
فانهزم الناس والنبي صلى الله عليه وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله
وانصار رسول الله انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله واعما
قال المص رحمه الله تعالى قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنه بطريق صحيح واما كونه صلى الله عليه
وسلم اشجع من حضر تلك الوقعة واشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احدا انكاره وقال غيره اى غير البخاري
الذي الحديث للسابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته فانه في رواية مسلم
رحمه عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض
قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم قال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم حتى امتلات
عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى
وتسمية العرب نزالا فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين هذه حال مؤكدة وهي قد تكون
موافقة لعاملها معنى كهذه الاية ولى مدبرا وقد تكون موافقة له لفظا كقوله اصبح مصبحا لمن ابدى نصيحته
والاول اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفي قوله ولى المسلمون اذا اريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر
بمنزلة الجميع والا فلا يجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف في عددهم كما مر وفصل
في السير وكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه رواية عن العباس رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعل وشرع
في فعل ذلك يركض بغلته نحو الكفار اى يسوقها ويسرع بها والركض الضرب بالرجل فيه نسب الى الراكب فهو اعداد
مركوبه نحو ركضت الفرس ومنه نسب الى الماشي فوطئ الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية
اى في جهتهم وانا اخذ بلجامها اى ممسكه اكفها اى امنعها من السرعة ارادة ان لا تسرع اى لاجل ارادة ان لا تسرع
نحو العدو وتقحم به وابو سفيان بن الحارث بن عمه اخذ بركابه هذه رواية وفي اخرى ان ابا سفيان كان يقود
بغلته صلى الله عليه وسلم اخذا بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض

مطلب رؤيا عبد المطلب

وذكره مسلم عن العباس

بين الروايات ثم نادى اى العباس رضى الله عنه وكان جهورى الصوت يا للمسلمين بفتح اللام الاولى
لدخولها على المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله يا للمسلمين وكان نداؤه رضى الله
عنه بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى
هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الان حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المص رحمه الله
عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس رضى الله عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية
اميال واصحاب السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالندا لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لا يفروا
فذكرهم بذلك وفى خصايص الخيضرى كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة
انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردى ان من
خصايصه صلى الله عليه وسلم اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وخوفه من القتل غير جائز
لان الله عصمه انتهى وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم
لغضبه شىء اى لهابة كل احد له صلى الله عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك احد عنه وما كان شىء دون احد مبالغة فان
العاقل وغيره سواء فى ذلك ففى هذا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة احيانا ولكن
ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب مقتضى للبطش
والاقدام وهو من نمطها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمايل الترمذى وقال ابن عمر رضى الله عنهما من حديث
صحيح رواه الدارمى مسندا ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس
عطفه عليه عطف تفسيرى كما توهم ونفى الافضل هنا يفيد نفى المساوى بطريق الكناية كما تقول ما فى البلد
اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اكثر رضى منه لانه صلى الله
عليه وسلم كان يرضى بكل شىء من ملبوس وماكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب لان الرضى يكون
مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى
اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله للكفر فى قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر ان هذا مراد المص
لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنساى والطبرانى والبيهقى قيل عطف اجود على انجد
لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله ان الذى جمع السماحة
والنجدة والبر والتقى جمعا ولان الاول بذل النفس والثانى بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وقال على رضى الله عنه انا كنا اذا حمى البأس بالموحدة وبهمزة او الف وهو الشدة والمراد به الخوف او الحرب وحمى بزنة
علم اوقد ففيه استعارة مصرحة او مكنية اى اشتد القتال وهذا معنى ما وقع فى الرواية الاخرى حمى الوطيس
فان الوطيس التنور كما مر وذلك ابلغ مع نكتة لانه صلى الله عليه وسلم قاله فى غزوة اوطاس على ما تقدم
مع الكلام عليه بما لا مزيد عليه ويروى اذا اشتد البأس وهذه الرواية مفسرة للاولى واحمرت الحدق جمع حدقة
وهى ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان ادم يهيج فيه وفى الحديث الغضب جمرة تتوقد فى قلب
ابن ادم اما ترى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو
غضبان على عدوه ولازمه بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اشتعلت واوقد
ومن قرب من النار ولا زمها تحمر عينه فالمعنى اذا اشتد القتال ودام مدة اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم

اى جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله فما يكون احد اقرب
الى العدو منه ولذا امسكوا بغلته صلى الله عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة فى الملوك
وقت القتال حتى ان ال عثمان يقيدون فرسه ولقد رايتنى بضم التا وهذا من خصايص افعال القلوب وما
الحق بها من راى البصرية والحلمية اذ يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشىء واحد وراى هذه بصرية
كما فى قوله ولقد رانى للرماح دريئة من عن يمينى تارة وامامى وقد اختلفوا فى تعليل هذا كما فصل فى كتب النحو
وكان الظاهر لقوله بعده يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم ان يقول راتينا فكانه عدل عنه اشارة
الى ان كل احد مشغول بنفسه لا يرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجى اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا وهو اقربنا الى العدو منا لشدة شجاعته صلى الله عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار وكان من اشد
الناس يومئذ باسا اى نكاية فى العدو كقوله تعالى والله اشد باسا واشد تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث
اخرجه احمد والنساى والطبرانى والبيهقى فى الدلايل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البرا ابن عازب
رضى الله عنه كما قاله السيوطى فى مناهل الصفا وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو اى قرب من المسلمين وقت المقاتلة لقربه اى النبى صلى الله عليه وسلم منه اى العدو وهذا من كلام
البرا بن عازب رضى الله عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المص رحمه الله قيل ليس فى محله لايهامه
ضعفه وعن انس رضى الله عنه هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان كان النبى صلى الله عليه وسلم احسن الناس
كلهم خلقا وخلقا واجود الناس اى اكثرهم عطا واحسانا واشجع الناس افعل تفضيل وله وجه لما قيل انه
للتعجب ثم ذكر ما يدل على شجاعته صلى الله عليه وسلم فقال لقد فزع اهل المدينة اللام فى جواب قسم
مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم علم لها بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعترى المرء مما
يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال خفت الله ولا يقال فزعت من الله كما قاله الراغب قال تعالى لا يحزنهم
الفزع الاكبر اى من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ليلة
منصوب على الظرفية اى فى ليلة فانطلق ناس اى خرجوا من المدينة قبل بكسر القاف وفتح البا بمعنى الجانب
والجهة ظرف اى نحوه يقال ذهب قبل السوق قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويكون بمعنى عند يقال لى
قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها الصوت الذى سمعوه وخرجوا يعرفوا
خبره لظنهم انه عدو غار على من هناك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك
فعرف ذلك ورجع فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حال كونه راجعا من جانب سمع الصوت منه قد سبقهم
الى الصوت اى المكان الذى سمع الصوت من جهته وقد استبرأ الخبر بمهملة ومثناة فوقية وموحدة وهمزة وقد
تبدل الفا اى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفى الاساس استبرات الشى طلبت اخره لاقطع الشبهة عنى واستبرا
الارض قطعها انتهى حال كونه راكبا على فرس لابى طلحة زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصارى الصحابى
وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اى المطلوب او لانه كان فيه ندب اى اثر جرح عرى بضم العين وسكون الرا المهملتين
مجرور صفة فرس ويقال فى الادمى عريان اذا لم يكن له لبد ولغيره عرى وقيل انه عرى بضم العين وكسر الراء وشد
المثناة التحتية بمعنى عرى وليس فى اللغة ما يساعده اى ليس على ظهره شىء من سرج او غيره قال فى المغرب فرس عرى
ليس عليه سرج ولا لبد وجمعها اعرى لا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عرى واعرورى الدابة ركبها عريانا

ومنه كان عليه الصلوة والسلام يركب الحمار معرو ديا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولو كان
من المفعول لقيل معرو ديا والسيف في عنقه اى حمايله معلقة في عنقه الشريف متقلدا به صلى الله عليه وسلم
واعلم ان هذا هو السنة في حمل السيف كما قاله ابن الجوزى لا شده في وسطه كما هو المعروف الان وهو يقول
لمن لقيه من اهل الفزع لن تراعوا لن هنا بمعنى لم ونفى الروع بفتح الرا بمعنى الخوف والمراد نفى سببه اى ليس هناك
شئ مما تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح في الصحيحين وقال عمران
بن حصين بكسر العين المهملة وسكون الميم ورا مهملة وحصين بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابى خزاعى
كان من فقها الصحابة وفضلائهم رضى الله تعالى عنه ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم كتيبة بفتح الكاف وكسر التاء
المثناة فوق وبالمثناة التحتية وبا موحدة هي الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا
ومنه الكتاب لجمعه الحروف الا كان اول من يضرب بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف
وهذا الحديث رواه الشيخ في الاخلاق وفيه راو مجهول ولما راه صلى الله عليه وسلم ابى بن خلف يوم احد
هو ابى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذى طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحربة في وقعة احد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتى فهلك عدو الله وقول المزى في تهذيبه
انه صلى الله عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابى بن خلف فخدشه يوم بدر وا وحدثنا ذكره بالترديد يديبى
بدر واحد لا وجه له يوم احد ظرف لرويته وهو يقول حال من ابى اين محمد سؤال عن المكان فان
قلت كيف يسأل عن مكانه وهو قال انه راه قلت يحتمل ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز
عن تمكنه منه وظفره به او التقدير اين يذهب محمد والظرف مقدم وقع جميع ذلك فيه فهو في وقته واحد
وان تقدم وتاخر لا نجوت ان نجا دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله حبيبه ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقد اجاب الله دعاه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله عليه وسلم والنفا هو كل بالمنطق وقد كان ابى يقول حين
افتدى يوم بدر قيل يوم بدر لعن حين وافتدى مبنى للفاعل ومفعوله محذوف اى افتدى اسيرا له
وهو ابنه عبد الله والافتدا اعطا الفدية لافتكاك الاسير فالمراد بحين الافتدا يوم بدر بتمامه لا الزمان
الخفيف الذى وقع الافتداء يوم بدر رفيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله عليه وسلم الا في قبل
ان يفتدى لا حين الافتدا وقيل يوم بدر فهو متعلق باسيره اى من اسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم
كونه بدلا من حين لان الافتدا وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وابى قال من قال حين افتدى لا بعده وكان
من قال ان ذلك وقع قبل ان تفتدى ظن ان الكفار لم يكونوا يخلوا المدينة بالامان فالكن وقع ببدر
والاقتداء بالمدينة فلا تنافى ذلك البدلية فتامل عندى فرس اعلفها الفرس يقع على الذكر والانثى وانثها
هنا لانها كانت انثى وقد ورد في الحديث تذكيرها وتانيثها بحسب المراد والقرائى وقال التلمسانى اعلفها
هو الصواب وفى الشرا علفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش
والذى في الصحاح انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالها
عن ابى بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله الصواب وعلم فرس العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف
ماكول الحيوان كل يوم فرقا بفتح الفا والرا المهملة ويجوز تسكينها وقيل لا يجوز وهو مكيال يسع ستة
عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرين رطلا والمحرك ستة عشر رطلا من ذرة

مطلب السيف حمل على العنق

ظرف لمحذوف يدل عليه افتدى ... صح

بيان

بيان للغرق بضم الدال المعجمة وفتح الرا المهملة المخففة وهى نوع من الحبوب معروف وتقدم ان غزوة احد
كانت في شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كالا
يخفى اقتلك عليها صفة بعد صفة او هى جملة مستانفة في جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان
يكون حالا لا منتظرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فحققها او عده وكان انما علف فرسه
لتسوقه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع فلما راه اى راى ابى النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد
اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان او المراد به الوقعة على حد قولهم ايام العرب شد ابى بن خلف الشقى
اى عدا واسرع قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصل
معنى الشد القوة على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاران متعلقان يشد وانما لا يجوز تعلق حرفى
جر بمعنى متعلق واحد اما لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول فيتغاير
المتعلق معنى لان الاول يقيد به وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف في قوله تعالى
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا والاول كمستقر حال اى راكبا على فرسه والثانى لغو وشد جواب لما الثانية دال
على جواب الاولى فاعترضه رجال من المسلمين اى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه
عنه اى قصدوا نحوه وجهته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اى تنحوا ولا تحولوا وتعترضوا بينى وبينه
فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى فلا يعمل فيه ما قبله كما اذا قلت جلس هكذا
اى على هذه الحالة او يقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من هاء
التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه انسلخ عن معناه اشار بقوله اى خلوا طريقه اى اجعلوها
خالية من حايل بينى وبينه وتناول اى اخذ صلى الله عليه وسلم بيده الحربة بوزن الضربة وهى واحدة الحراب
بوزن رجال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من الات الحرب وقيل ان هذه الحربة كانت للنبى صلى الله عليه
وسلم لانه كان لا يرى مشاركته في جهاده وسفره في سبيل الله وهذه اشترى من ابى بكر رضى الله عنه راحلته التى هاجر بها
والاظهر انها كانت للحارث ودونها استعان بغيره من اصحابه كما اشار اليه بقوله من الحارث بن الصمة بكسر الصاد
المهملة وفتح الميم المشددة وهاء تانيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما وهو اعنى الحارث بن
الصمة بن عمرو بن عتيك الانصارى الصحابى شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وغيرها من المشاهد
وقتل ببير معونة وذكر ابن الاثير ان الذى ناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين
الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من احدهما فسقطت منه فناوله الاخر او ان احدهما وهو الذى
معه الحربة كان بعيدا منه فناولها احرقريبا منه فسلمها له بيده ولا بد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان
والقصة واحدة فانتفض بها انتفاضة اصل معنى النفض بالنون والفا والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه
عن ثوب او شجر قال ابو ذيب تنفض مهده وتذود عنه وما تغنى التمائم والعكوف ويقال نفض وانتفض
اذا اهتز ونفض الصبغ اذا زال لونه في غيره وذكر نصيب عن نباته فقال نفضت عليهن لونه وقلت في اول
قصيدة نفضت على صباغها ايام نفض البياض بها قليل قيام وهو هنا استعارة اى قام بها قومة سريعة وضمير ها
للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطاير قال كما انتفض العصفور بلله القطر غير مناسب هنا لان يقال
باوه للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها

تشبيههم بانهم كالذباب المؤذى الواقع المتهافت فيفيد هجومهم عليه وتشبيه نهوضهم بالحمل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه
لقوله تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير اذا انتفض وتطيروا بمعنى تفرقوا فادين بسرعة كالطيور والشعرا بفتح الشين
المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفي نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم
يثبت وقال القتيبى الشعر جمع شعرا وهي ذباب صغار حمر توذى الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفي رواية
تطاير الشعاديد وهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعروى وقيل هي ذباب يجتمع على دبر البعير وفي الروض الانف
الشعرا ذباب صغير له لدغ وفي المثل قيل للذيب ما تقول في غنيمة تحرسها جويرية قال شحيم في ظفر قيل فما تقول
في غنيمة يحرسها غليم قال شعرا وفي ابطى اخشى خطواته وهي سهام تتعلم الغلمان بها الرمى وروى فرجل بالحربة اى
رمى بها انتهى قيل رواية الشعرا انسب لان الواحد لا يتطاير اقول هذا زبدة القيل والقال وما انكر
من فتح العين لا وجه له فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون في بحر وشعر بحر وشعر والشعر
ليس مفردا بل اسم جمع كالتطرف فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعرا جمع شعر كانه تحريف واعلم
ان ضمير تطايروا للكفار الذين كانوا هجموا مع ابى وقيل انه للصحابة رضى الله عنهم وتطايرهم عنه صلى الله عليه
وسلم باذنه ليكشفوا له عن ابى ولا يخفى انه لا يناسب هذا بوجه تشبيههم بالشعرا ولا تطايرهم كما لا يخفى
ثم استقبله اى قام النبى صلى الله عليه وسلم ومشى اليه بالحربة فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه
مرارا تدادا بمثناة فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اى تدحرج وسقط وقيل مال والضمير منها
للطعنة ومثله تدهده وقيل الهابدل من الهمزة وفي رواية تردى اى وقع وقيل لم يطعنه صلى الله عليه وسلم
في عنقه بل كسر ضلعا من اضلاعه بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها اعظم
معروف وقال الاحفش في الجنب الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النسا وهو الذى
خلقت منه حوا ولذا روى عن ابى حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه انثى بتمام اضلاعه وعكسه وقال
التلمسانى رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله عليه وسلم طعنه فوقع
عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن فرجع الى قريش وهو يقول قتلنى محمد جملة
يقول حالية اى قائلا وعبر بالماضى لتحقق الموت وهم يقولون لا بأس بك البأس بهمزة ساكنة وتبدل
الفا كما مر وهو اسم لا مبنى على الفتح والبأس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ويقال لا بأس عليك
ولا بأس بك للتسلية او الدعاء بان لا يصيبه شئ من البأس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى فقال لو كان
ما بى من الالم والشدة التى اجدها في نفسى موزعا وحالا بجميع الناس لقتلهم فكيف احتمل انا وحدى
هذا والم منه اليس قد قال صلى الله عليه وسلم حين توعده انا اقتلك فقال اصله اقتلك انا فقدم المسند
اليه للحصر اى انا لا غيرى اقتلك وحدى لا يشاركنى احد ولا يساعدنى في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى نزلت فيه فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب للرد عليه
اى انا اقتلك لا انت تقتلنى فيه تدبر والله لو بصق على لقتلنى البصق بمعنى ماء الفم ويقال بالصاد والسين
وانزاى وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله فمات الملعون من تلك الطعنة بسرف
بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال او سبعة
اوتسعة او اثنى عشر على اختلاف فيه وهو اسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل اخبر الارض

ابن الحنبلى

ديلمى

باسمائها واختير الصاحب بالمصاحب في قفولهم اى الكفار الى مكة اى مات وقد رجعوا من احد الى مكة
والقفول معناه الرجوع وتسميتهم القافلة تفاولا برجوعها كما سمى الملدوغ سليما فانكار الحريرى وتخطيته فيه
لا وجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقى في الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلا وعبد الرزاق
في مصنفه والواقدى في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص من الاسر
ورجع به وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول انه مات ببطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر عليه وهو اسير
برابغ فراى بعد هدو من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول
لا تسقه فانه ابى بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سحقا له **فصل** واما الحيا والاغضا
الحيا ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله الحيا يستحى بيائين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضا اصل معناه
ارخا الجفون قريبا من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق يغضى حيا ويغضى
من مهابته فما تكلم الا حين يبتسم فالحيا دقة الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفا قال
الراغب الرقة كالدقة باعتبار عمقه وهي في الجسم ضد الصفاقة وفي النفس تضاد الجفوة والقسوة تعترى
اى تعرض وتحدث وجه الانسان فيكون فيه ما يدل عليه كحمرة عند الخجل عند فعل ما يتوقع كراهته لم يقل ما يكره
لان من يراه قد لا يكرهه فالمراد ما من شانه ان يكره او ما يكون تركه خير من فعله وان لم يكره وقال الراغب الحياء
انقباض النفس عن القبائح وتركها وفي الحديث ان الله يستحى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه وليس المراد به
انقباض النفس لتنزه الله سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووى هو خلق يمنع من القبيح
ومن التقصير في الحقوق وقال الزمخشرى هو تغير وانكسار يلحق من فعل او ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير
البيضاوى كما بيناه في حواشيه فانظره والاغضا في عرف اللغة التغافل اى اظهار الغفلة عمن ليست فيه والمراد
التجاوز عما يكرهه الانسان بطبيعته وان لم يكره شرعا وكان النبى صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا واكثرهم
عن العورات جمع عورة وهي كل ما يقبح اظهاره ولذا كنى عن سواة الانسان وعن المراة بالعورة وهي ماخوذ
من العار اغضا اى سكوتا وتجاوزا والاغضا يتعدى بعن وعلى وعبر في جانب الحيا بالاشدية وفي الاغضا
بالاكثرية لان الحيا كيفية نفسانية تنشؤ عنها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضا فعل من الافعال
يكثر ولا تزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضا نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع في مكروه وهو
مسبب عن الحيا والسبب اقوى باعتبار انه منشؤ للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة
موجودة فيه صلى الله عليه وسلم فقال قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم اى مكثكم في بيت النبى صلى الله عليه وسلم مستانسين
لحديث بعضهم لبعض كان يوذى النبى فيستحيى منكم الاية والله لا يستحيى من الحق وكان صلى الله عليه وسلم
بنى بزينب بنت جحش واولم بشاة وتمر وسويق وامر انسا يدعو الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا
يجيئون وياكلون ويخرجون ويجئ اخرون الى ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتاذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحيا فنزلت الاية في حقهم اى ان ذلكم اللبث كان يوذى النبى صلى الله عليه
وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم ان يامركم بالخروج منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو
بدعوة ان يظهر القيام للذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله من زار
وخفف وقيل لبعضهم هل نزل في الثقلا قران فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطى تاليف لطيف

نكتة الدقة يقال باعتبار جوانب الشيء والرقة ...

فى هذا حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو
العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ او مثلها او فوقها على ثلاثة اقوال
وتفصيله فى ابن الصلاح قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ابن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسى
وكنيته بابى القاسم غير مكروهة لاختصاص بحياته صلى الله عليه وسلم او لانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية
والخلاف فيه مشهور عند العلماء قال حدثنا ابو الحسن القابسى بن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب بقابس
بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو زيد المروزى بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح
الواو والزاى تقدم الكلام فيه وفى نسبته قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربرى وقد تقدم قال
حدثنا محمد بن اسمعيل هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه
مسلم فى فضائله قال حدثنا عبدان بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون
وهو عبد الله بن عثمان ابن جبلة بن ابى رواد العتكى المروزى ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى
وعشرين ومائتين وخرج له اصحاب الكتب الستة قال حدثنا انبانا عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى
التميمى الزاهد شيخ خراسان ومنه عالم مناقبه مشهورة روى عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفى
سنة احدى وثمانين ومائة وولادته ثمانية عشر ومائة وقبره بهيت يزار قال اخبرنا شعبة
تقدمت ترجمته عن قتادة تقدم ايضا قال سمعت عبد الله مولى انس هو ابن ابى عتبة مولى انس رضى الله
تعالى عنه وقيل اسمه عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان فى الثقات مكبرا وهو يروى عن انس وعايشة
رضى الله عنهما وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصرى صدوق ثقة يحدث عن ابى
سعيد الخدرى بن مالك بن سنان الخدرى وقد تقدم الكلام عليه وان الخدرى بدال المهملة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذى
وابن ماجه والمصنف اخرجه من طريق البخارى وحياء ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهو منصوب
على التمييز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها
وهى جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال اقتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل
ما لم يسبق اليه ابو عذره وابو عذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملتين هو
البيت او ستر فى جانب البيت او قبة تضرب لها فان قلت البكر فى حيائها بين اهلها وابويها وهى
لا تحتجب عنهم ولا تستحيى منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذراء فى غير خدرها
لما فيه من المبالغة قلت المراد بكونها فى خدرها انها لم تخرج لسبب وتزوج ونحوه لانها اذا
خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذراء فى خدرها اشد حياء لكونه
مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها فى خدرها لا حيث تكون منفردة
قاله ابن حجر ولا يخفى ما فيه فانه لا دلالة فى اللفظ على ما قاله فالحق ما سمعته اولا وكان صلى الله عليه وسلم
اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه اى عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح فى وجهه الشريف كتغيره وغض بصره ونحوه
والمراد انه اذا لم يكن فى حدود الله تعالى وحقوقه فلا يؤاخذ احدا بما يكره كما قال الصرصرى فاق
العذارى فى الخدور حياء ولا حياء فيه لصاحب الحق وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة

تقدم

تقدم معنى اللطف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هى ظاهر جلد الوجه والجسد كله
ومنه البشارة لظهور اثار الفرح بها فى الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك فى وجهه الشريف لانه صلى الله
تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله دقيق الظاهر اى ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه
بسرعة اثار الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحيى كما قاله التلمسانى لا يشافه احدا اى لا
يكلم احدا ولا يواجهه بما يكرهه حياء وكرم نفس منصوب مفعول له اى يترك ذلك تكرما منه صلى الله عليه
وسلم لا خوفا ومداراة وعن عائشة رضى الله عنها هذا حديث رواه ابو داود فى سننه مسندا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا البال هو الحال والشان وما
استفهامية مبتدأ او خبر عن بال وجملة يقول حال او مفسرة للبال ولكن يقول ما بال اقوام
يصنعون او يقولون كذا اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع او القايل وفلان وفلانة كناية عن اسما
الادميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم ينهى عنه ولا يسمى فاعله بصريح اسمه بل يكنى عنه
ونهيه عما انكره ماخوذ من الاستفهام الانكارى وسياق الكلام فى قوله ما بال فلا يقال انه ليس فى الكلام نهى
وروى انس رضى الله عنه هذا الحديث رواه ابو داود والترمذى والنسائى قالوا انه صلى الله عليه وسلم
دخل عليه رجل به اثر صفرة الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعنى انه كان خضب
بذلك فبقى عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل فلم يقل له شيئا من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار
اليه بقوله وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بما يكره اى لا يخاطبه شفاها ويقول له فى وجهه شيئا يكرهه
وان قاله احيانا فى غيبته فلما خرج ذلك الرجل من مجلسه صلى الله عليه وسلم قال لو قلتم له يغسل هذا
اى اثر الصفرة والخضاب او ينزعها بفتح الزاى المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله اذا ازاله والضمير
للصفرة والشك من الراوى وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره اصبتم ونحوه
وقيل انها مصدرية اى وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان فى لحيته دل على منع خضاب اللحية
بالحناء ونحوها ولا يعضده ما فى البخارى عن قتادة رضى الله عنه انه قال سألت انسا هل خضب النبى صلى الله
عليه وسلم فقال لا انما كان شئ فى صدغيه اى شئ قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهى
عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ما روى عنه انه صلى الله عليه وسلم لم يخضب قط اى لعدم الحاجة اليه
الا انه روى عن انس رضى الله عنه انه راى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا يعنى بعد موته كما نقله
ابن الجوزى اما قبله فاختلفت فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس
والزعفران وكان عمر رضى الله عنه يفعله وجمع الكرمانى بين الروايات بانه صبغ فى وقت وترك
فى معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وقد امر صلى الله عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليه وفعله
وتبعه على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو
احب للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الخضاب
بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فهذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يخضب
يديه ورجليه او يجعل الصفرة فى ثوبه فانه منهى عنه وفى فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيتمى انه من غير حاجة
لحرب ونحوه حرام لما فيه من التشبيه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم

يغسلها او ينزعها فيه دليل على انه كان في ثوبه ولو لم يحمله على هذا اشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له
وقالت عايشة في الصحيح اى في الحديث الصحيح المروى عنها كما اخرجه الترمذى وصححه لم يكن النبى صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا الفحش كل امر قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش
من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به بذاة اللسان هنا ويؤيده قوله ولا صخابا بالاسواق صخاب بفتح
فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان
معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا او خص الاسواق لانه فيها اقبح ولانها محله واما في المنزل ونحوه فلا
حاجة اليه ولا يجزى بالسية السية لانه احق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه فمن عفى واصلح فاجره
على الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالفعل اتى بالاستدراك في قوله ولكن يعفو ويصفح يعنى
انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المواخذة بالذنب والصفح
الاعراض عن المسئ بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروى في الصحيحين بطريق اخرى عن عبد الله
بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن عطا بن يسار انه قال له اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في التوراة فساقه له في حديث طويل واليه اشار بقوله وقد حكى بالبناء للمجهول مثل هذا الكلام الذى
قالته عايشة رضى الله عنها عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابى المشهور
رضى الله عنه وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وهو وان كان قرشيا لكنه قرا الكتابين وكان عالما
بما فيهما ولذا سالوه عن صفة النبى صلى الله عليه وسلم فيهما وقد اختلف في تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان
بتغيير عبارتها بنقص وزيادة او انه انما كان بمجرد التاويل وصرفها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا
كان كذلك علم وجه المنع من قراتها وانه حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يقروها لانهم
يعلموها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم وروى
عنه اى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ذكره الامام الغزالى في الاحيا وقال الحافظ انه لم يجده في كتب
الحديث وكذا قال السيوطى رحمه الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم كان من حياية لا يثبت بصره في وجه احد
ثبات البصر يعنى اطالة النظر من غير تخلل اغماض بجفن ونحوه حتى كانه يصير صارفا في المرئى كما قال المتنبى
وحضر تثبت الابصار فيه • كان عليه من حدق نطاقا • فتخيل حقيقة الثبات فيه ثم بنى عليه جعله كالنطاق
وان كان فيه للادبا كلام وانه صلى الله عليه وسلم كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره اى يورد المعنى
القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله عليه وسلم كقوله حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك
لان الجماع وذكره للمراة يستحى منه ومثله في الحديث كثير وعن عايشة الصديقة بنت الصديق رضى الله
عنهما ما رايت فرجا رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مع انه يجوز رؤية كل احد من الزوجين فرج الاخر
وان كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس اى العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى
اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند احد قط كما ورد
من كرامة على رضى الله عنه انه لم يطلع احد على عورته احد فما ذكر منطبق على ما سيق له الكلام فان عايشة رضى الله عنها
زوجته صلى الله عليه وسلم واقرب الناس من ازواجه اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم تر ذلك منه صلى الله تعالى
عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها واذا لم يكشف عندها فبالطريق الاولى عند غيرها وانما كنت عن ذلك ولم تصفه

تادبا منها فلله درها فهذا كقولهم لا ادينك هنا فلا ترفع الثياب الا وقد لا صقها فيكون سترة له حينئذ وهذا
معنى قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فلا يتوهم ان عدم رويتها لذلك لغض بصرها حيا منه صلى الله عليه وسلم
لا انه لا ينكشف عندها فافهم **فصل** واما حسن عشرته بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اى
اختلاط المرء مع اهله واصحابه ومعاملتهم وادبه بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين
فلا ورد عليه ان الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه ما لا يحسن كادب اهل الدنيا مع كبارهم وهو انسب
بقوله صلى الله عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تادبى والادب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق
من المادبة وهى الطعام الذى يدعى له الناس وبسط خلقه تقدم معنى الخلق وانه بضمتين او ضم فسكون والبسط
نشر الشئ وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة منى يبسطنى
ما يبسطها فليس من كلام المولدين كما توهم ومن امثال العامة البسط صدقة والمعنى هنا سعة خلقه صلى الله
عليه وسلم ويجوز رفعه وجره ايضا والاول اولى وليس متعينا كما توهم وانما كان معنى بسط الخلق هنا سعته
لانه صلى الله عليه وسلم نال من الاخلاق الحميدة اقصاها وغايتها مع اصناف الخلق تنادع في الالفاظ الثلاثة
فهو قيد لجميع ما قبله فبحيث انتشرت اى كثرت واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدا مقدر اى فهو بحيث
اى بمحل معلوم لكل احد به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام في الحديث
الصحيح الذى رواه الترمذى في شمائله كان اوسع الناس صدرا المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم
مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى فلا يكن في صدرك حرج اى ضيق واصدق الناس لهجة في الصحاح
اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر
مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث ما من ذى لهجة اصدق من ابى ذر لان المراد تفضيله
رضى الله عنه على امثاله والصدق ضد الكذب وهو معروف ثم ان في التفضيل في الصدق سوالا وهو ان الصدق
هو المطابقة للواقع فما طابق فهو صادق وما لم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادق
وذلك اصدق وهذا انما يرد لو كان التفضيل في كلام واحد وانواع منه محصورة اما الوارد بكلام
صدر عن متكلم فلا يرد ما ذكر والينهم عريكة اى اسهل الناس طبعا فهو صلى الله عليه وسلم دايما سلس مطاوع
منقاد قليل المخالفة لا تهور فيه واصل العريكة السنام فهو في الاصل مجاز حتى صار حقيقة فيما مر واكرمهم
عشرة اى يعامل الناس في معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع
من دونهم قال حدثنا ابو الحسن محمد بن مشرق بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الرا المشددة وقاف
اسمه على وله ترجمة في الميزان وسمع منه السلف وفيه كلام الانماطى جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح
على الهودج والنسبة الى الجمع على راى او لانه ملحق بالعلم كالانصارى لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف
القياس فيما اجازنيه وقراءة على غيره فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فيه بيان فالخبر الطعن فيه وهذا
الحديث رواه ابو داود والنسائى قال حدثنا ابو اسحاق الحبال بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة والف ولام
وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابو اسحاق ابراهيم بن سعد بن عبد الله النعمان التجيبى الفرا الوراق
المصرى ولكنه احدى وتسعين وثلاثمائة وسمع من احمد بن عبد العزيز صاحب المحاملى وغيره وتوفى سنة
اثنين وثمانين واربع مائة وله احدى وستون سنة وترجمته مشهورة قال حدثنا ابو محمد بن النحاس بحاء

مهملة مشددة وهو الامام ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن اسحاق المصرى البزاز سمع ابا سعيد بن الاعرابى
وسليمان بن داود العسكرى وجماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا حدثنا ابن الاعرابى هو الامام ابو سعيد
الذى يروى سنن ابى داود عنه قال حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال حدثنا
هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقى الثقة المثبت توفى سنة
تسع واربعين ومائتين وترجمة فى الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى العنزى الحافظ توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين
قال حدثنا الوليد بن مسلم الحافظ احد الاعلام اخرج له الجماعة الا انه رمى بالتدليس قال حدثنا الاوزاعى
هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهى قبيلة من حمير او اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطا
ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة قال سمعت يحيى بن ابى كثير
بزنة كثير ضد القليل وهو من العباد وائمة الحديث توفى سنة تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمة فى الميزان
قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة بضم الزاى المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد
الرحمن بن اسعد والى المدينة وهو ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة اربع وعشرين ومائة عن قيس بن سعد بن عبادة
بن وليم الخزرجى سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج له الستة واحمد وكان من الدهاة
ذوى الراى طويل القامة جميلا جوادا توفى بالمدينة فى اخر خلافة معاوية رضى الله عنه قال زارنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عادته فى تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيفه فاشواه
فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده وذكر قصة هى ما وقع له مع عبد الله بن ابى بن سلول اذ مر به وهو جالس
مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشى المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم فخمر ابن سلول انفه بردائه وقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا
ان يتواثبوا فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضى الله عنه وذكر ذلك له فقال له
يا رسول الله اعف عنه واصفح فلقد انفق اهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذى
جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخرها اى اخر القصة فلما اراد الانصراف
قرب له سعد رضى الله عنه حمارا ليركبه ووطا عليه بقطيفة هى كساء له وبر وحمل وضعه على ظهر الحمار ووطاة له
ليركب عليه ووطا بتشديد الطا المهملة وهمزة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد لابنه يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى كن معه فى خدمته وفى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما جاء كان
على حمار مردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضى الله عنه انما اعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذى
جاء به ووهب سعد له صلى الله عليه وسلم ذلك الحمار قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب معى
على الحمار رفا بيشا لركوبه معه تاديا وفوزا بالمشى فى خدمته فقال اما ان تركب واما ان تنصرف اى ترجع ولا
تمشى معى فانصرفت امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم وفى رواية اخرى انه صلى الله عليه وسلم قال له اركب امامى
فصاحب الدابة احق بصدرها وهذا وقع هنا فى بعض النسخ والمراد بصدرها تقدمها وفيه دليل على جواز
الارداف ولو صار ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله
صاحب الدابة باعتبار ما كان او هو صلى الله عليه وسلم لم يعلم بانه وهبها له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم اى
يولف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزدادوا ايمانا من كان قريب عهد بالاسلام ويحسن من كان مخلصا

يجبر خاطره والتودد اليه ولا ينفرهم اى لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المؤلفة
قلوبهم ويكرم كريم كل قوم برعاية بما يليق به كما فعل مع عدى بن حاتم وغيره مما فصل فى السير ويوليه عليهم اى
يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله عليه وسلم لديارهم كما ولى على وفد همدان مالك بن نمط
ويحذر الناس ويحترس منهم لانه من الحزم ان لا يركن لكل احد حتى يجربه من غير ان يطوى عن احد منهم بشره اى
كان صلى الله عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشره وبشاشة ولا يغير حاله معهم فشبه بشره وايناسه ببساط
مهد لهم فلا يطوى عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر انما مجالس الندامى بساط فاذا ما مضى طوينا بساطه ولا خلقه
المعهود منه صلى الله عليه وسلم ويتفقد اصحابه اى من فقده من اصحابه رضى الله عنهم يسال عنه او يزوره او يرسل
اليه من يتعهده قال الراغب التفقد اخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة
التفقد تعرف فقدان الشى والتعهد تعرف العهد المتقدم وكان صلى الله عليه وسلم يعطى كل جلسائه نصيبه
اى يعطى كلا منهم ما يليق به وما يسره لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه اى لما يراه من لطفه به يظن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه اكثر من غيره من جالسه اى جلس عنده فى ناديه او قاربه لحاجة اى كان
معه حال مشيه او مسيره صابره اى صبر على سؤاله وذكر حوائجه حتى يكون هو المنصرف عنه اى الراجع عن مفارقته
او مجالسته ومن ساله حاجة لم يرده الا بها اى باعطائه حاجته التى سالها منه صلى الله عليه وسلم او بميسور من القول
كوعده او تسليته او لمنع الخلق قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا قد وسع الناس بسطه وخلقه بسطه مصدر بزنة
ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم
معنى الخلق والجبلة فجعل بسطه بمعنى توسعته على الناس او بمعنى بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله
لبذله لهم كالمكان الذى تمكنوا فيه فصار لهم ابا اى صار صلى الله عليه وسلم لجميع امته بمنزلة الاب فى اللطف بهم
والشفقة عليهم وهو لا ينافى قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفى ثم الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء
الشافعية ذهب الى انه لا يجوز ان يقال له صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما يقال لنسائه صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين
عملا بظاهر هذه الاية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعى رضى الله عنه على جوازه وهو الحق وكل نبى من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لامته كذا ابا ذكورا واناثا وكونه صلى الله عليه وسلم ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما معناه فى الاية
ردا على من انكر تزوجه صلى الله عليه وسلم بامراة زيد الذى تبناه وصاروا عنده فى الحق سواء لان الله عصمه
صلى الله عليه وسلم فنفى الاغراض النفسية الحاملة له على الميل مع الهوى وكذا وصفه به صلى الله عليه وسلم ابن ابى هالة
ربيبه فى الحديث الصحيح المروى عنه كما اشار اليه المص بقوله بهذا وصفه ابن ابى هالة ابن خديجة ام المؤمنين
رضى الله عنها بنت خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة حليف عبد الدار اختلف فى اسمه فقيل نباش ابن
زرارة وقيل مالك ابن النباش بن زرارة وكان تزوج هندا ايضا عده ابن منده وابو نعيم فى الصحابة وابو
هند من كبار الصحابة قتل مع على كرم الله وجهه فى وقعة الجمل وقد تقدمت ترجمته بابسط من هذا قال ابن ابى
هالة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث وكان دائم البشر بكسر الباء وسكون المعجمة اى طلاقة
الوجه وبشاشته لا يعبس فى وجه احد سهل الخلق لا صعبا ولا حزنا لين الجانب اسعارة مصرحة شبه
وصول كل احد له صلى الله عليه وسلم ولما يريد منه بشى لين يا خذه من بجانبه وقيل شبهه بجانب لين من الارض
ليس بفظ ولا غليظ الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ اى الكرش وهو مكروه لا يتناول الا لشدة

خديجة رضى الله عنها قبل النبى صلى الله عليه وسلم
فولدت له هندا او لهند يسمى صح

عرض

الضرورة

كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله في الاجسام فاستعير للمعاني كما تقدم ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب اي لا
ينطق بالفحشا كالشتم ولا يعيب احدا اي لا يذكر عيوبه ولا مداح لاحد بما يودي الى اطرايه ولا تنفيه الشريفة
وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار ولبان او المبالغة راجعة للنفي كما قالوه في قوله تعالى وما ربك
بظلام للعبيد وقيل المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر رضي الله عنهما انت افظ واغلظ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقتضي ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله عليه وسلم لا حقيقة
التفضيل والمراد اثبات ذلك على المشركين كما في قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة كما ان المدح قد يستحسن في مقام
دون مقام اذا كان في محله بخلاف ما اذا كان كذبا ولذا قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين
على احد الوجوه فيه يتغافل عما لا يشتهي اي اذا راى صلى الله عليه وسلم شيئا لا يرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما راه
اذا كان ذلك مما لا يترتب عليه اثم ولا يويس منه مبني للمفعول وضمير منه له صلى الله عليه وسلم اي والحال انه صلى الله
عليه وسلم بتغافله لا ييأس احد منه وروي مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة التي كانت مفتوحة
ومفعوله محذوف لقصد التعميم اي لا يويس احدا منه اي يجعله ذا ياس بحيث لا يرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا
اقتصر رباب الحولي وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ما زايدة
للتاكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية تعجبية اي باي رحمة عظيمة لنت لهم ورده
في المغني بثبوت الف ما وقال ان ما قبله ايضا يتجه لا يتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى
انك لو كنت فظا غليظ القلب انفضوا عنك اي تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين جانبك لهم
وشفقتك عليهم تولف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه بما جبله الله تعالى عليه من الاخلاق الحسنة
وقد تقدم الكلام عليه وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية التي هي احسن الصفح والتجاوز والاحسان
في مقابلة السيئة ولا حاجة لتقيدها بما لم يكن فيه وهن في الدين لانه لا يكون دفعا بالاحسن فان المراد به
الاحسن عند الله وقيل التي هي احسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر
وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اي ادفع بهذا لا بغيره وكان صلى الله عليه وسلم
يجيب من دعاه لطعام او لمنزله جبرا لخاطره وتعليما وتشريفا للامة صلى الله عليه وسلم سواء كان المدعو له وليمة
عرس او غيرها وفي الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة بينا او كفاية
لورود الامر بها في الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك من التفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل
بعدم الوجوب فيها عند الشافعية ايضا كما صرح به السبكي وسلم فهذا محمول على الاعم من الولايم وغيرها وليس
في العبارة مما يقتضي التخصيص ولا تجب اجابة امير ووليمة عرس ومنه وليمة التسري كما هو ظاهر وقد تجب
واختاره السبكي الاخبار فيه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية لا الصدقة ولو كانت كراعا لانه مقتضى
للتحابب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهو ما تحت الركبة الى الخف والحافر
والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع ما دون الكعب من الدواب
وقيل كراع كل شيء طرفه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت
ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الثاني اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح المعنى
السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي اقبل الهدية ولو كانت حقيرة واجيب الدعوة ولو كانت الى مكان

يعيد

بعيد ويطلق الكراع على الشاة نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صايما دعي بالبركة
وقوله ويكافي عليها بالهمزة اي يجازي على الهدية بشيء مثلها او اكثر لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافى دماوهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق الواهب وكان
ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه وقال انس رضي الله عنه وهو خادم النبي
صلى الله عليه وسلم خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه
خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها سنة وتارة الغاها وكان عند امه الى طلحة فانطلق به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ان انسا غلام كيس فليخدمك فما قال لي اف قط هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر
منه وهي اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطي في نظم لغاتها ابياتا
مشهورة حيث قال اف ربع اخيرة ثم خفف ٭ مبتداه مشددا ومخفف ٭ وبتنوينه وبالترك افي لا تمالا
وبالامالة مضعف ٭ وبكسر ابتدا وفي مثلثا ٭ وذلها في اف الحلف لاف ٭ ثم مد بكسر اف واف ٭ ثم افوا
فاحفظ ودع ما يزيف ٭ قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها ويقال
لكل مستقذر يستخف به وافقت لكذا اذا قلت له اف والحاصل مما تقدم ان همزته مثلثة وكذا فاوه مع التنوين
وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطايف الشيخ الوراق رحمه الله تعالى في مدح ابنه رحمه الله بني اقتدى بالكتاب
العزيز فزدت سرورا وزادت بها جلا وما قال لي اف في عمره لكوني ابا ولكوني اجلا اي لم يتضجر من امر غير مرضي
وقع منه وفيه دليل على زيادة حلمه صلى الله عليه وسلم وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وهذا الحديث
رواه الشيخان وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينت
بعض ذلك بانه ما دعاه احد اي ناداه فقال يا رسول الله من اصحابه ولا اهل بيته خصهم لان العادة جارية
بالمسامحة الا قال لبيك قال السيوطي رواه ابو نعيم في دلايل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادي
فالتلبية اجابة المنادي من دعاه من لب والب اذا اقام بمكان ولم يفارقه فكانه يقول انا ثابت على اجابتك ولا تستعمل
الا بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد بتكثير كقوله فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية
بعامل لا يظهر وتغلب اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الامن يعتني باجابته
وتعظيمه ولذا يقوله الحاج في اجابة الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو
من خلقه العظيم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب القادم بمرحبا بام هاني وقال جرير بن عبد الله
بن جابر بن مالك البجلي سيد قومه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا قبل موته
باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم خير ذي يمن وكان رضي الله عنه جميلا
حتى قال عمر رضي الله عنه فيه انه يوسف هذه الامة وارسله النبي صلى الله عليه وسلم لذي الخلصة وهي الكعبة
اليمنية وكان فيها صنم فخربه وقتل من عنده ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت قط اي ما منعني
من الدخول عليه في بيته وقد استاذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد في مجلس
مختص بالرجال او المراد ما منعني شيئا سالته وسلامه رضي الله عنه كان في رمضان سنة عشر كما مر ولا راني
الا تبسم وفي رواية الا تبسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادي الضحك بحيث يبدو

مقدم اسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحك صلى الله عليه وسلم في اغلب
احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اذا اريد به مجرد المبالغة لا الحقيقة
بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب
فان لزمه استهزاء باحد وسخرية فحرام وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها
انما تحمد من الكبار احيانا بحيث لا تودي الى اذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق يسير وكان صلى الله عليه وسلم
يمزح احيانا ولا يقول الا حقا ولكنه يوري في كلامه كما قال لبعض العجائز انه لا يدخل الجنة عجوز لانهم يعودون في سن
الشباب ولله در القائل افد طبعك المكدود بالهم راحة ٭ بانس وعلله بشيء من المزح ٭ ولكن اذا اعطيته المزح فليكن
بمقدار ما يعطى الطعام من الملح ٭ والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال ٭ فاياك
اياك المزاح فانه ٭ يجري عليك الطفل والرجل النذلا ٭ ويذهب ماء الوجه من كل سيد ٭ ويورثه من بعد عزته
ذلا والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس في سجن
ما لم يتمازحوا وورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان افكه الناس وكان مزاحا ولا يقول الا حقا ويخالطهم
ويحادثهم تانيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويداعب صبيانهم يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب
ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجي رضي الله عنه عقلت منه صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي
وانا ابن خمس سنين ويجلسهم في حجره كما فعل صلى الله عليه وسلم مع ام قيس اذ اتته بابن لها صغير لم ياكل الطعام
فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله والحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من نحو
على فخذيه وهو جالس ويجيب دعوة بفتح الدال المهملة العبد والامة والمسكين قال السيوطي اجابته صلى الله
عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضي الله عنه والترمذي وابن ماجه عن انس رضي الله عنه فلا وجه
لما قيل اني لم اقف عليها وفي صحيح البخاري عن انه صلى الله عليه وسلم اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دبا
فجعل يتتبعه وكان صلى الله عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف اكل مما في يد العبد وهو ما
يملكه لسيده او يقال كان مكاتبا او المراد بالعبد من مسه الرق ولو قبل دعوته وقدم العبد اهتماما ببيان انه
صلى الله عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر واخرج الترمذي بسنده عن انس رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى
البيهقي دعوة المملوك في اقصى المدينة اي في ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لا سيما ممن يتبرك
بعيادته لما فيه من التسلية وتاليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لا عيادة فيها
رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لا يعاد المريض الا بعد ثلاثة ايام وورد في ذلك حديث
ضعيف والصحيح انه لا فرق والحديث قال شيخنا الرملي انه موضوع واختلف في عيادة الذمي فقيل يجوز
اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة ويقبل عذر المعتذر المعتذر كل من ابدى عذرا سواء كان له حقيقة
ام لا وسواء كان من شانه انه يقبل ام لا ولذا لم يقل المعذور لانه من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول
اعتذاره عقوبة جنايته وعدم مواخذته بها لانه من تمام المروة وهذا كما قبل صلى الله عليه وسلم عذر
من تخلف عن تبوك ووكل سرايرهم الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم
بمسيره صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى وقال انس رضي الله

ن والحج

تعالى عنه قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي جليس له رواه ابو داود والترمذي والبيهقي في الدلائل
واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
ما جعل احد اذنه محاذية لفمه فتحاذيه وقال الشهني اي ما جعل فاه احد عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله
على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع لجابر رضي الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك
ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله عنه لما اردفه صلى الله عليه وسلم خلفه وامكنه ذلك
بسهولة وايضا في مثله سوء ادب ومنافاة للغرض فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته وفي النهاية
في الحديث ان رجلا التقم عينه حصاة الباب اي جعل الشق الذي في الباب محاذي عينه فجعله للعين
كاللقمة في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال
والله لاتين النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته وهو في ملا فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله
موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر لانه صلى الله عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن
بضم الهمزة والذال المعجمة وقد يسكن فينحي راسه عنه اي يبعدها ويجعلها في ناحية منه حتى يكون الرجل
هو الذي ينحي راسه اي حتى يفارقه او ينفصل منه قليلا وما اخذ احد بيده اي امسكها فيرسل يده اي يطلقها
ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كانت اليد
الثانية يد الاخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله حتى يرسلها الاخذ غاية لترك ارسالها
اي الى ان يرسلها الاخذ وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الاخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت
الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن احمد فما ينزع يده من يدها
وهو عبارة من الانقياد لشدة تواضعه وتنزهه عن التكبر صلى الله عليه وسلم وقوله ولم ير صلى الله عليه وسلم
مقدم ركبتيه بين يدي جليس له من جملة حديث انس رضي الله عنه ففي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي
يصرف وجهه او هو رواية اخرى وهو الظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى لم ير مقدما الخ انه يخفض ركبتيه تعظيما
لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلين اي كان لا يمد رجليه في مجلسه لما روي في حديث اخر انه
صلى الله عليه وسلم كان يساوي جليسه ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجي فلا يعرفه ويسال عنه
وكان صلى الله عليه وسلم يبدو اي يبتدي من لقيه بالسلام من تفيد العموم اي كل احد لقيه صغيرا او كبيرا
من المسلمين الا في مواضع لا يستحب السلام فيها واما الكفرة فلا يسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام ايضا
ويبدو اصحابه بالمصافحة مفاعلة من الصفح اي يجعل صفحة يده الشريفة على صفحة يده وفي الحديث تمام تحيتكم
بينكم المصافحة وهي سنة عند التلاقي وكانت الصحابة رضي الله عنهم تفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت
الصحابة رضي الله عنهم تقبل يده ايضا وهي مستحبة ايضا للكبير وكرهها مالك اما اذا كان على وجه التكبر
فيكره وقال النووي انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فمكروه وقال الفقهاء لا باس بالمصافحة
لانها سنة متوارثة لما ورد في الحديث ايضا تصافحوا وقيل انه من الصفح والعفو اي ليصفح احدكم عن غيره ولا
يناقشه والمشهور الاول واما بعد صلاة الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل الشايخ لانهم كانوا
في الصلاة غايبين عمن حضرهم ومن كان هذا حاله لا يكره منه ولم ير صلى الله عليه وسلم قط مادا رجليه

لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه كذا في نسخة انه صلى الله عليه وسلم صح

ما يتعلق بالقيام

بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد هذا اشارة الى انه كان ذلك فى مجلس يكثر فيه الناس اما اذا كان وحده
او فى قليل من خواصه فكان صلى الله عليه وسلم قد يتكى وقد يضع احدى رجله على الاخرى كما ورد فى بعض
الاحاديث يكرم من يدخل عليه بالقيام ويلاطفه كقيامه صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ رضى الله عنه وقال
صلى الله عليه وسلم لما قدم سعد قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل له الناس
قياما فليتبوأ مقعده من النار وحمل هذا على عادة الاعاجم فى وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء
فمستحب كما ياتى وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب للكراهة ابن حجر رحمه الله تعالى
وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفى رواية قوموا الى سيدكم
فانزلوه ورد بانه لو كان كذلك لم يامر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل النووى به وفيه نظر ويوما
بسط له لمن يدخل عليه ثوبه تعظيما له كما جعل ذلك لعدى بن حاتم ولاخته من الرضاعة لما اتته كما ياتى ويؤثره
بالوسادة الايثار تقديم غيره على نفسه فى بعض الامور والوسادة ما يتوسد اى يوضع تحت الراس وهى التى
تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدونها وقضية قوله التى تحته كما فى البخارى انها فراش يجلس
عليه وكانت محشوة بالليف وقال عدى بن حاتم دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل
فقلت عدى بن حاتم فقام وانطلق الى بيته فوالله انه لعامد بى اذ لقيته امراة ضعيفة كبيرة فاستوقفته
فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت فى نفسى والله ما هذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة
كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لى اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض
وصارت الوسادة بينى وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل
على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهرى لها بالمخدة فقط ويعزم عليه فى الجلوس اى يقسم
عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس انت قال فى التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن
كذا اى اقسمت انتهى وهو ماخوذ من العزم وهو التصميم فى الامر وقوله عليها اى على الوسادة ان ابى
اى امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكنى اصحابه اى يضع لهم كنية كابى فلان
او يدعوهم بالكنية تكريما ويدعوهم اى يناديهم باحب اسمائهم تكرمة بهم اى يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم
لاجل اكرامهم وتعظيمهم وتلطفا بهم وتاديبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله عليه وسلم
يكنى من لا كنية له كما قال للطفيل الذى كان معه طاير يسمى نغيرا يا ابا عمير ما فعل النغير وفيه
دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك
وقال انه خلاف الواقع فهو كذب واخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنانى
النبى صلى الله عليه وسلم ابا عبد الرحمن قبل ان يولد لى وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم
بالكنى قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووى
يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثانى ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول
كابى طالب والثانى كابى حباب لابن سلول وفيه نظر وقد يكون لامر اخر كابى لهب فانه اشارة الى انه جهنمى
وقيل كنى بذلك لحسن وجهه ولا يقطع على احد حديثه اى من حدث عنده يصغى اليه ولا يقطع
حديثه بكلامه بكلام اخر وقيامه او نهيه عن الكلام فان مثله يؤذى المتكلم حتى يتجوز بياء وتاء مفتوحتين

وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاى معجمة غاية لترك قطع حديثه اى حتى يكثر فيتجاوز الحد ويخرج الى ما لا يليق
من الكلام فهو من التجاوز او الجواز كما ياتى فيقطعه بنهى عن الكلام او قيام من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لتنهيه
عنه ويروى بانتهاء او قيام فالنهى بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع فى بعض النسخ فالمعنى
حتى يجوز ذلك فى حديثه فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه انتهى ولم يبق منه شئ او لقيامه عن المجلس
والتجوز على هذا بمعنى التخفيف له والقليل منه وقيل معناه ينطق بما هو غير حقيق كما يتكلم بما لا يليق من الكلام
وروى انه صلى الله عليه وسلم كان لا يجلس اليه احد اى لا يجلس متوجها اليه والمراد لا يجلس عنده صلى الله عليه وسلم
وهو يصلى الا خفف صلاته اى اسرع فيها فقطعها او التخفيف ضد الطويل وسياتى بيانه وسال عن حاجته
واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه وبان حاجته عاد صلى الله عليه وسلم الى صلاته التى كان فيها وقال البرهان
الحلبى هذا الحديث منكر وقد ذكره فى الاحيا فى ادب المعيشة وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحيا لم اجد له اصلا
انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين الاتى انى لاقوم الى الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبى
فاتجوز فى صلاتى كراهة ان اشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهو فى معنى حديث الاحيا وكان صلى الله عليه
وسلم اكثر الناس تبسما وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به واطيبهم نفسا اى لم يكن مقطبا وعبوسا
فى مجلسه لطيب نفسه وهذا وما بعده حديث رواه احمد والترمذى بسند حسن ما لم ينزل عليه قران
او يعظ او يخطب قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبد الله بن الحارث بن جزء
الزبيدى قال ما رايت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذى وقال غريب وقد تقدم
وعن على كرم الله وجهه او الزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد
بجبريل عليه الصلاة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير
رضى الله عنه من غير شك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى قلت
نذير قوم فاذا سرى عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه ابن ابى ليلى سيئ الحفظ
وعن على والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه
وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير من غير شك وعن جابر
بن عبد الله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم
والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه انتهى وكونه صلى الله عليه وسلم
لا يتبسم فى هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحى وتادبه معه وفيما بعده لانه مقام انذار وخوف
وتخويف قال عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب بن غنم الزبيدى الصحابى
سكن مصر ومات رضى الله عنه بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو اخر من مات بها بلدة تسمى سفط قرية
من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولابن
جزء فيه كلام ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان طلاقة الوجه من مكارم
الاخلاق وفى الحديث تبسمك فى وجه اخيك صدقة وعن انس رضى الله عنه كان خدم المدينة
خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل فى جمع فاعل جاء فى الفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله
وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير كحملة جمع حامل والمراد بالخدم العبيد والجوارى وهذا الحديث

رواه مسلم وهو حديث صحيح يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليت الغداة اى الصبح بانيتهم فيها الماء
والانية جمع اناء ككساء واكسية وهو ما يوضع فيه الشئ والاوانى جمع الجمع وكثير من الناس يظن ان الانية مفرد
اوظاهر قوله فما يؤتى بانية الاغمس يده فيها يوهم ذلك وربما كان ذلك اى اتيانهم بالاوانى وغمس يده فيها
فى الغداة الباردة والغدوة والغداة بالغين ووصفها بالباردة اشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق
لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا باثاره صلى الله عليه وسلم ومماسة يده الشريفة وقوله
يريدون التبرك به يحتمل انه من كلام المص فان البغوى رحمه الله تعالى رواه فى مصابيحه بدون هذه
الزيادة وفيه ارشاد للتبرك باثار العلماء والصلحاء **فصـــل** واما الشفقة والرافة والرحمة
لجميع الخلق والفرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة رحمة ورقة القلب وخوف من نزول مكروه بمن
يشفق عليه كما فى الاساس والرافة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس بن الرقيات
ملكه ملك رافة ليس فيه • جبروت يرى ولا كبرياء • فمقابلتها بهذا المعنى كما مر تحقيقه فما قيل انها ارق
من الرحمة ولا تكاد تقع فى الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعنى انها لا تختص باحد كرحمة
غيره لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فقد قال الله تعالى عنه اى فى حقه وصفته عليه الصلاة والسلام
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب
والعنت المشقة اى يصعب عليه مشقتكم وما يولمكم لرافته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الاية
وقوله بالمؤمنين لا يناسب قوله لجميع الخلق فالانسب ان يقتصر على قوله وقال سبحانه وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقد اشار المص رحمه الله تعالى لدفع هذا فى الفصل الاول من ان صدر الاية عام
والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافى العموم فكانه يشق عليه عموم رحمته صلى الله عليه وسلم كما يقع
بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهى مطابقة لهذه الاية كما يعلم من كلامه هنا وقد تقدم ما ذكرناه اسم
وذكره هنا لغرض اخر كالايات المكررة فى القران فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادة على المقصود
ولو نبه على ما قلنا كان اولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى لمن سبع قال بعضهم من فضله عليه
الصلوة والسلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم تقدم الكلام على هذا
واعاده هنا لمعنى اخر فلا تكرار فيه فائدة قال السيوطى رحمه الله ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم
يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابى حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه ويظهر
لى ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك تقدم الكلام
عليه وعلى اسمه وعلى اسم ابيه وهو امام بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفى سنة
ست واربعمائة قال حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى بقراءتى عليه وهو عبد الله
بن ابى بكر بن ابى جعفر بن محمد الخشنى بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون نسبة لخشينة مصغرا اسم قبيلة
ولكنه تسع واربعين واربعمائة ومات بمرسية من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم
الكلام على قوله بقراءتى عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو على الطبرى هو الامام ابو عبد الله ويقال
ابو الحسين بن على شيخ الحرمين ومحدث بمكة والطبرى منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح قال
حدثنا عبد الغافر الفارسى الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسى احد رواة مسلم

المشهور

ن اول النهار وقوله فى القران الغدو بالاصال صح

ن بالجبروت صريحة فيه وليست اشد الرحمة كما توهم بعضهم ان استعملته صح

وايما

ابن قيس

المشهور بالرواية عن الجلودى ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وعمره
ثمان وسبعون سنة قال حدثنا ابو احمد الجلودى تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها
وقد قيل هنا ان عبد الغافر لم ير الجلودى ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوى جده ابو امه واسمه عبد الغافر
ايضا لحفيده لكنهما اختلفا كنية وابا فان كنية الاول ابو الحسن وهذا ابو الحسين مصغرا واسم ابى الاول محمد
وهذا اسماعيل وتاريخ موتهما مختلف وهذا لم يدرك الجلودى وقال السبكى رحمه الله فى طبقاته بين هذا
وبين الجلودى اثنان وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغى التنبه له قال حدثنا ابراهيم
بن سفيان تقدم ايضا وسين سفيان مثلثة قال حدثنا مسلم بن الحجاج الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت
ترجمته قال حدثنا ابو الطاهر احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات بن نرح الاموى مولاهم
المصرى روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائى وقال ابو حاتم لا باس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفى
فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال اخبرنا ابن وهب ابو محمد عبد الله الفهرى احد الاعلام روى
عنه الستة وتوفى سنة سبع وتسعين ومائة اخبرنا يونس بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية واللام
وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة ثبت توفى سنة تسع وخمسين ومائة وله ترجمة
فى الميزان وفى يونس ست لغات بتثليث النون مع الواو والهمزة عن ابن شهاب الامام ابو بكر بن مسلم الزهرى
وقد تقدم قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا تقدم الكلام على حنين قال البرهان
الحلبى الراوى اذا قدم الحديث على السند كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا اخبرنى به فلان
ويذكر سنده او قدم بعض الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب
ان صفوان بن امية الخ فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه اولا وقال
ابن الصلاح ينبغى ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك
على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك انتهى فجعله
كالرواية بالمعنى خفا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية بن وهب بن حذافة
بن جمح القرشى الجمحى الصحابى وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا
والطائف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعدما كان من المؤلفة قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان
يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذيه اذية بالغة مع ما بينهما من الرحم فجازاه على اساءته بالاحسان الزايد
اليه مائة من النعم ثم مائة ثم مائة والنعم اسم جمع للابل لا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزى
هو الابل والبقر والغنم قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى
وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى بعد ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه
يوم بدر وهو كافر حينا ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة فبينا هو يسير فى الغنايم ينظر
اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وادام النظر اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يرمقه فقال له ابا وهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت بهذا الانفس
نبى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت زوجته اسلمت قبله فاقر النبى صلى الله عليه وسلم
نكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه صلى الله عليه وسلم المؤلفة هل هو من خمس الخمس الذى هو حقه او

او من الخمس او من الغنايم واما اعطا مؤلفة الكفار فكان جايزا في صدر الاسلام وهل هو من الزكاة او من بيت
المال ثم منعوا منه في خلافة الصديق او في خلافة عمر رضي الله عنهما فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه
قلت لانه صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه وبينه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوة وكفره
فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان تحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه اكثر
من ذلك وروى ان اعرابيا جا يطلب منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فاعطاه هذا الحديث رواه
البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان ولم يسموا الاعرابي ثم قال احسنت اليك
قال الاعرابي لا ولا اجملت الذي في النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله ثم قالوا تحبها
قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب ومثله كثير نفيس والاستفهام استفهام تقريري وقوله لا رد
لقوله احسنت واجملت بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما عدلت في الاخذ والعطا
او ما كثرت وهذا اولى انتهى واللغة لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولا تكرار لانه من ذكر العام
بعد الخاص ومثله لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغة وفي ذلك غلظة وسوء ادب فغضب المسلمون من كلامه وجراته
عليه صلى الله عليه وسلم وقاموا اليه ليضربونه ويجازونه بما يستحقه فاشار اليهم ان كفوا اي اشار بيده
اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم اي تركهم لما ارادوه وان تفسيرية او مصدرية على الخلاف المشهور عند اهل
العربية وهذا من حلمه صلى الله عليه وسلم وشفقته تاليفا له ليحسن اسلامه ثم قام من مجلسه ودخل منزله وارسل
اليه عطية وزاد اي زاده على ما اعطاه اولا ثم قال احسنت اليك فيه مقدر وهو خرج وقال له ذلك قال نعم
احسنت الي فجزاك الله على احسانك ولطفك بي من اهل وعشيرة خيرا مفعول لجزاك وما بينهما اعتراض والفا
تفريعية وسببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة في جواب شرط مقدر او عاطفة على مقدر اي احسنت واجملت فجزاك
الخ ومن في من اهل قيل انها بدلية مثلها في قوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض اي بدلكم فالمعنى بدلا من اهلي وعشيرتي
الذين لم يحسنوا الي وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له وعشيرة اي قبيلة اما الفعل فعل العشيرة وهذا
كما يقولون للقادم اهلا وسهلا ولما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم في كل قبيلة قرابة وعرقا فمن اما تعليلية كقوله
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله تعالى اتاتون الذكران
من العالمين اي ممتازون من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا ثم اشار المص الى انه صلى الله عليه وسلم
زاد لطفا فارشده بقوله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت في جوابك وردك علي وفي انفس
اصحابي من ذلك شي تنكيره اما للتحقير اي شي حقير لا يعتد به عندي او للتعظيم اي امر عظيم عندهم لاذيته النبي
صلى الله عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره لتذكيره بما وقع
منه من الامر العجيب فان احببت فقل من بين ايديهم ما قلت بين يدي علو قوله على محبته وارادته
لطفا منه صلى الله عليه وسلم واي لطف مع انه ذنب عظيم ينبغي التنصل منه وفيه من الشفقة بالامة ما لا يخفى وبين
الايدي كناية عن حضورهم وتمثلهم وليس المراد البينة الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل
نحو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم حتى يذهب ما في صدورهم عليك اي الغضب والاثم الذي في قلوبهم
بسبب ما قلته اولا قال نعم اي اقول لهم ما قلت لك فلما كان الغد او العشي المراد بالغد صبيحة اليوم
الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي صلى الله عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشي ما بعد الزوال

الى

ابن الحنبلي

عرضي

الى الغروب والشك من الراوي جا اي الاعرابي الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه الحاضرين عنده ان هذا الاعرابي قال ما قال لي اولا اذ ساء ادبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابي
لما علم من حال الاعرابي فزدناه على عطائه الاول فزعم انه رضي بجملة ما اعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق
وهو يستعمل لهذا المعنى كقول الشاعر هلكنا ولكن ان هلكت فانما على الله ارزاق العباد كما زعم ويكون بمعنى
القول الباطل كقوله تعالى هذا لله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب وفي التعبير به ايماء الى ما في نفسه من الحرص
والطمع ثم التفت صلى الله عليه وسلم الى الاعرابي وقال له اكذلك فالاستفهام متوجه منه صلى الله عليه وسلم
الى الاعرابي اي الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قبله كلاما منه متوجها لاصحابه رضي الله عنهم فالجار
والمجرور خبر مبتدا مقدر اي الامر كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا تقدم ما فيه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا الاعرابي المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون
استعارة تمثيلية او تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية ويكون ذلك لزيادة التوضيح
والتقرير فانه اوقع في النفس لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ما فيه من الشان الغريب وهو في الكلام الالهي
والاحاديث النبوية كثير مثل رجل له ناقة شردت عليه اي نفرت منه وذهبت في الارض يقال شردت الدابة
والانسان اذا نفر وجرى جريا كالشديد لا يلحق شرودا وشرادا واصل الشراد الفراق خوفا قال الله تعالى فشرد بهم
من خلفهم قال ابن عرفة اي افعل بهم فعلا يخيف من وراءهم فيشردهم فاتبعها الناس افتعال من الاتباع اي مضوا
وجروا خلفها ليمسكوها فلم يزيدوها الا نفورا اي لم يحصل باتباع الناس لها الا زيادة هربها ونفورها لخوفها
منهم فناداهم صاحبها اي الناقة خلوا بيني وبين ناقتي اي وقال لهم خلوا الخ فهو مفعول نادى لتضمينه معنى القول
او مقول قول مقدر كما عرف في امثاله اي لا تتبعوها واتركوها واتركوني احتال في امساكها فاني وفي نسخة
انا ارفق منكم واعلم اي انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم فتوجه لها بين يديها اي جاها من امامها فاخذ لها من قمام
الارض القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب شبهه بخسته ولانه مما يطرح
كالقمامة فاستعير لذلك فردها حتى جاءت فيه مقدر اي قدمت له لما كل ما بيده من الحشيش فامسكها وردها
حتى اتى بها محله واستناخت اي بركت ومكنت عنده من ناخ الجمل وانوخه اذا بركه وشد عليها رحلها الرحل
للابل كالسرج للفرس وهو معروف واستوى عليها اي على ظهرها اي ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على ظهرها
وركبها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال اي لم اكفكم وامنعكم عنه حين قال لي الرجل مقالته السيئة
فقتلتموه دخل النار عقوبة له باساءته على النبي صلى الله عليه وسلم وشبه المال لخسته الدنيا عنده بالقمامة وشبه
نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقاموا له بالناس التابعين لها
الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بيني وبينها وفي قوله فاني ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم
رفقا واوفاهم شفقة على خلق الله تعالى وهو تشبيه في اعلا طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة قيل
ويحتمل ان الرجل انما قال اولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله عليه وسلم لانه سمع صفاته من اهل الكتاب
والنبي صلى الله عليه وسلم علم بذلك وقيل ان جزمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبي صلى الله عليه وسلم
والنبي تلطف به حتى امن ونجا من النار فتامل وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابي
هريرة رضي الله عنه وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا وروي عنه بابنا المجهول وضمير عنه للنبي

عرضي

ابن الحنبلي

صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى له ابو داود والترمذى عن ابن مسعود وفى نسخة وروى عنه انه
صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى شيا هذا نهى عام من الغيبة والنميمة
ونقل ما يكره نقله من قول او فعل او ترك فانى احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر وسلامة الصدر
كناية عن كونه ليس فى قلبه بغض لاحد فقط ولا غضبان على احد ومثله صلى الله عليه وسلم يقال له سليم
القلب قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم اى برئ من الكفر والنفاق وهذا معنى اخر وقد صح
عن انس فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار
والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه وقال
رحم الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر رواه البخارى والمراد سلامة صدره للمنقول
عنه او انا قل كما قيل سبك من بلغك والاولى ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة
والغيبة حرام الا فيما كان استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوجرى من فقهاء الشافعية فى قوله لبست
غيبة جازت فخذها منظمة كامثال الجواهر • تظلم واستغث واستفت حذر • وعرف واذكرن
فسق المجاهر ويأتى لذلك مزيد بيان ايضا • ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على امته تخفيفه عنهم
التكاليف الشاقة التى كانت فى الامم السابقة ورجاؤه صلى الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلاة خمسا
بعد ما كانت خمسين وتسهيله عليهم فى امورهم كقوله صلى الله عليه وسلم لبدنك عليك حق ولزوجك
عليك حق لمن اراد قيام الليل كله وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم الكراهة والكراهية من المكروه
ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله
كقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتى اى لولا مخافة المشقة عليهم لامرتهم بالسواك
اى امر ايجاب والا فامر استحباب ورد فى الحديث كقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا
حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم بجعله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف فى محل نيته فى الوضوء
فقيل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن
الوضوء كما اختاره الزيلعى رحمه الله والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد
هنا الاول او الثانى بتقدير مضاف اى استعماله وهو مذكر وجوز بعض اهل اللغة تانيثه مع كل وضوء
وفى مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها
ما يتوضا به كالطهور واجاز بعضهم فى المصدر الفتح وقد جاء فى المصادر الفتح ايضا وقال ابو شامة رحمه
الله تعالى فى كتاب السواك السواك ماخوذ من قولهم ساوكت الابل اذا اضطربت من الهزال فيما قالت
من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء روى مع كل صلاة وعند كل صلاة كما علم وهو عام
لكل صلاة فرضا ونفلا او الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعى احب السواك للصلاة و
وعند كل حال تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام للفقهاء فيكره له بعد الزوال
ما لم يحصل له تغير بنحو نوم بعده ورواية الموطا مع الوضوء قال ابو شامة يحتمل معنيين لامرتهم
بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به كما امرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله فى خبر صلاة
الليل هو ما قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن

ثابت

ثابت رضى الله عنه قال احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة بخصفة او حصير فى المسجد
فى رمضان فخرج فصلى فيها قال فتتبع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال
بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة فى بيوتكم فان خير صلاة المرء فى بيته
الا المكتوبة رواه الشيخان وفى رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب
للمقام ولما قبله واليه اشار السيوطى ايضا فى مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا الا ما قيل انه اراد
به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل فى النفل ليلا ان يكون ركعتين ركعتين
وعند ابى حنيفة رحمه الله الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب
هنا ويناسبه ما روى خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب
عنه النوم وهذا هو الذى قاله التلمسانى فى حواشيه ايضا فان قلت كيف يخشى صلى الله عليه وسلم
افتراضه بعد فرض الصلاة فى الاسراء وقول الله لا يبدل القول لدى قلت قيل انه يحتمل
ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم او انه وقع فى نفسه
صلى الله عليه وسلم ذلك او المعنى انى خشيت ان تظنوها فرضا اذا داومت عليها ولا يخفى بعده وان
قيل ان ما فى الاسراء هو وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه
صلى الله عليه وسلم خشى ان يسوى به غيره من الامة وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب
على شئ من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة ولم
يفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرمانى
ان قوله لا يبدل القول لدى معناه نفى النقص لا الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر
واحتمال انهم لرغبتهم فى العبادة يفرضون على انفسهم ذلك كالنذر فيشق على من بعدهم بعيد ايضا وعلى كل حال
فالقيام لا يخلو من الاشكال ونهيهم مصدر مضاف للمفعول اى نهى النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة رضى الله
عنهم عن الوصال وكراهته لهم والوصال فى الصوم وهو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب
بينهما ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين فانه عليه الصلاة والسلام لما واصل واصل الناس
وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلى انى ابيت عند ربى
يطعمنى ويسقينى فمن خواصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه
هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه
ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويغذيه بانوار ربانية بحيث لا يضعف
بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل
له بدل ما يتحلل بحيث لا يشعر وليس هذا حاصلا له فى كل الاوقات الا ترى ان المريض مدة طويلة
لا ياكل ولا يشرب ولو فعل ذلك فى حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء
الشرع والحكماء كما فصله ابن سينا فى مقامات العارفين فلا يرد علينا انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض
الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذى الحكيم لما لم يقف على هذا انكره لتوهم

ابن الحنبلى

فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه علي القاري

ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحا المهملة وفتح الجيم
والزاى المعجمة جمع حجزة وهى موضع شد الحزام وقال مايغنى شد الحجر ولم يدر انه يثقله وبرده يجمع الامعاء
ويبردها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه
حقيقة من طعام الجنة يأباه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا وكراهته دخول الكعبة اى
من شفقته صلى الله عليه وسلم على امته كراهيته دخول الكعبة فى الحديث الذى رواه ابو داود والترمذى
عن عايشة رضى الله عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها ايضا مصححا مسندا وهو انه صلى الله
عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كييب اى محزون فسالته عن ذلك فقال خشيت
ان اكون شققت على امتى اى بدخولى البيت وكان ذلك فى حجة الوداع وكانت عايشة رضى الله عنها
معه وبهذا جزم الطبرى والبيهقى واختلفوا هل صلى فيه ام لا وفى بعض شروح البخارى يحتمل ان يكون
دخوله عليه الصلاة والسلام الكعبة وقع مرتين صلى فى احديهما ولم يصل فى الاخرى وكونه صلى الله
عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضى الله عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت
هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضى الله عنهم واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول
من ولج فسالت بلالا هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن
عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة
اذرع فيصلى يتوخى المكان الذى صلى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا بأس على احد ان يصلى
فى اى جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم
على النافى لزيادة علمه وكان صلى الله عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلث مرات الاولى فى عمرة القضا
ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها والثانية فى فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر
باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم
قلت اين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اساله كم صلى والثالثة فى حجة الوداع
واختلف فى انه دخل الكعبة فيها ام لا وانما كره دخولها فى حجة لئلا يجعله الناس من المناسك اقتداء
به صلى الله عليه وسلم وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا فى كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها تمسكا
بهذا الحديث وقوله لئلا تعنت امته بتايين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة
ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع فى بعض النسخ تتعب من التعب كما قاله
التلمسانى وامته فاعل عليهما وروى يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من اعنته
بمعنى عنته وامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته ففيه وجوه مروية
ورغبته اى طلبه صلى الله عليه وسلم لربه ان يجعل سبه لهم اى لامته اى لاحدهم رحمة بهم والسب والشتم
بمعنى واصله من السبه وهى مخرج البعر من الدبر فنقل لما ذكر وسياتى بيان هذا وانه صلى الله عليه وسلم
كان يسمع بكاء الصبى وهو فى صلاة فيتجوز فى صلاته التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها
ويسرع فيها مستعار من يجوز عن ذنبه اذا لم يواخذه به كتجاوز وهو من الجواز فى السير والصبى المراد به

الطفل

الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السنى فى حديث صحيح عن انس رضى الله عنه كما قاله السيوطى وروى الشيخان
عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انى لادخل فى الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز
فى صلاتى مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبى والنسا فى المسجد
لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا على جواز تطويل الصلاة لاجل من يلحق
الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يودى الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته ودحمة لهم انه دعا ربه وعاهده هذا مفسر لما مر ولو اقتصر
على هذا كان اخصر واظهر والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزم شرعا كالنذور كما قاله الراغب اى دعا
بذلك ونذر فصده ما ذكر فقال ايما رجل سببته او لعنته تفسير لما دعا به وعاهد الله عليه واللعن
اصل معناه الطرد والابعاد ثم خص بالبعد من رحمة الله فاجعل ذلك السب واللعن زكاة
اى تطهيرا له مما ارتكبه مما اقتضاه وصلاة ورحمة وطهورا اى مطهرا له من ذنوبه وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة كما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه وروى هذا الحديث من طرق
اخر فيها ايما رجل من المسلمين او من المؤمنين وروى او جلدته ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله فاذا راى احدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف امر الله
ربما حصلت له غيرة لامر الله فبادر بزجره وشتمه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك
مكفرا لما صدر منه ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا راى غضب النبى صلى الله عليه
وسلم حصل له خوف شديد يفتت قلبه فتكون شدة خوفه جزاء عمله وزجر النبى عليه الصلاة
والسلام زيادة فى حسناته تقربه من ربه وهذا لا ينافى ما ورد فى حديث اخر انى لم ابعث لعانا
ولكنى بعثت داعيا ورحمة للعالمين اما لان المنفى هناك المبالغة والكثرة ان لم نقل المبالغة فى النفى
فان قلنا بها فالمعنى انه ليس هذا مقصودا من بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتاديب
نادرا واما حمل ما صدر منه صلى الله عليه وسلم على ما قبل البعثة فينافيه قوله من المؤمنين
او المسلمين وسياق الحديث فى قوله جلدته يأباه او انه لما رجا من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن
لعنا حقيقيا بل رحمة فلا لعن منه لاحد من امته اصلا وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم رحمة واديته
نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان دعاهم نقمة عاجلة على اممهم
وفى المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا كما سياتى تتمة لهذا فى القسم الثالث
فصار دعاوه عليهم دعاء لهم على حد قولهم قاتلهم الله وتربت يداه وفى هذا نهاية الشفقة
واول الحديث اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذت عندك
عهدا لن تخلفه فايما رجل الخ وهذا كما مر لا ينافى دعاه صلى الله عليه وسلم على بعض الكفرة والمنافقين
ومن عظيم شفقته صلى الله عليه وسلم ما اشار اليه بقوله ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليهما الصلاة
والسلام فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره
بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك

واول الحديث وانما محمد بشر يغضب كما يغضب بشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما رجل

اى ولم يكن رحمة عليهم بل لانه اى يجوز دعاوه عليهم رحمة اذا لم يكن الزجر اهلا للدعاء عليه والسب واللعن بان كان مستحقا كما حقق فى الحديث لكونه فى بعض الروايات فى بيان زجر من المسلمين

به شيا هذا الحديث رواه الشيخان واصحاب الكتب الستة وكان ذلك لما مات ابو طالب ونالت
قريش منه صلى الله عليه وسلم ما لم تنله في حياته فخرج لثقيف ومعه زيد بن حارثة يلتمس
النصرة منهم والنعة فعمد الى نفر من رؤسائهم فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه
وسلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى
ادموا رجليه وهم يضحكون وزيد رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله عليه وسلم
الى حايط استظل بكرمه وهو مكروب موجع فاذا بقرب الحايط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما راهما
كره ذلك لما يعلم من عداوتهما له فرحماه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا
العنب وضعه في طبق واذهب به له ليأكله فلما وضعه قال صلى الله عليه وسلم بسم الله ثم اكل فقال
الغلام ان هذا الكلام لا يقوله اهل هذه البلاد فقال له صلى الله عليه وسلم من اى البلاد انت وما
دينك قال نصراني من اهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال ما يدريك
يونس قال ذاك اخي من انبياء الله فاكب يقبل راسه ورجليه فلما رجع قالا له ما لك قبلت رجليه
قال ما في الارض خير من هذا لقد علمني بامر لا يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا من اشد ما لقيه والقصة مفصلة في السير وقوله وما ردوا
عليك اى ما اجابوك به وما ردوا قولك وخالفوه اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال اى
قال له يا رسول الله السلام عليك وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر الموحدة مخففة
ومشددة وفاق اى اضمهما واجمعهما حتى يهلكوا تحتهما وملك الجبال هو الموكل بها بامر الله والاخشبين
تثنية الاخشب بخاء وشين معجمتين وموحدة بزنة افعل جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى
فيقال اخشبا مكة واخشبا منى وهما ابو قبيس وقعيقعان بالتصغير ويسميان الجبجبان
وهما تحت العقبة التي بمنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقعيقعان هو الجبل المشرف
للاحمر ولهم قعيقعان اخر بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ حجارتهما وخشونتهما واصلاب جمع صلب
الظهر والمراد بالاخراج منها ان يخلف لهم نسل وذرية وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه وسلم
وعن ابن المنكدر وفي نسخة وروى ابن المنكدر وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير
بن عبد العزيز المدني توفي سنة ثلاثين او احدى وثلاثين ومائة وهم ثلاثة اخوة وكان
يدخل على عائشة رضي الله عنها وهو تابعي وقد تقدم قوله ان جبريل عليه الصلاة والسلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الصحابي فهو مرسل قال البرهان وانما يكون مرسلا اذا قلنا
ان الصحابي اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام الشافعي رضي الله
عنه فيكون ما قاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان ارساله لا يمنع من قبوله
اذ مرسل اصحاب القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق المسند لبرهان قام
عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية
قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر لمخالفة ابي اسحاق الاسفرايني فيه كما نقله العراقي وقيل
انه خلاف طرا بعد انعقاد الاجماع في العصر الاول ومثله لا يضر وفيه نظر ولنا في اطلاق هذه المسئلة بحث

ذكرناه

ذكرناه في حواشي النخبة ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك المراد باطاعة السماء
له صلى الله عليه وسلم انه اذا اراد ان تحرصوا عقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض اذا اراد
خسفها بهم وانطباقها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضميرها تطيعك مع عوده على شيئين
معطوفين بالواو لجعلهما كشئ واحد لتأويلهما بالعالم او الدنيا وكان الظاهر يطيعاك وفي بعض
النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة الى التأويل لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفي مراعاة
النظير وحسن الترتيب اى بان تطيعك في كل ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم اؤخر عن امتي لعل
ان يتوب عليهم رجا انهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم الله للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك
او يكون منهم من يعبد الله ولا يشرك به واصل معنى التوبة الرجوع فهي من العباد الرجوع عن المعاصي
ومن الله قبول ذلك او من الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولا منافاة بين هذا وبين
قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا بين ما وقع له منه صلى الله عليه وسلم في غزواته من القتل
والسبي كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التاخير لا ينافي ما وقع بعده كما لا يخفى والاحسن ان جوابه
معلوم من قوله الاتي ما لم يكن اثما فتدبر قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه
بين امرين الا اختار ايسرهما تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تاييدا لما قبله وايسرهما اى اسهلهما
واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله عليه وسلم عليهم وبقية الحديث ما لم يكن اثما فان كان
اثما كان ابعد الناس عنه كما سياتي وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه وقال ابن مسعود
رضي الله عنه في حديث رواه الشيخان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة بفتح المثناة التحتية
وفتح التاء الفوقية والخاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة اى يتعهدنا يقال
فلان خايل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي لداعي الغنم والمواشي وقيل الصواب
يتحولنا بالحاء المهملة اى يطلب الحال التي ينشط فيها لاستماع الموعظة فيعظ فيها ولا يكثر منها مخافة
السامة علينا اى لئلا نمل ونسام وقيل انه يتخوننا بنونين اى يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان
والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع
الدال على الاستمرار التجددي دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمي بمعنى الوعظ وهو التذكير
والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف كما مر والسامة بالمد
وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسامة بتضمين المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السامة
وهو الارجح او صفة لانه في معنى النكرة كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وفي افادة كان التكرار كلام مفصل
في كتب الاصول وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة اى شدة بحيث لا ينقاد
لراكب اذا وقفه واذا سيره فجعلت ترده اى تمشي به وترجع واصل التردد عدم البقاء على حالة
ومنه تردد الانسان في الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر وانما فعلت ذلك لتروضه
حتى ينقاد لها فقال صلى الله عليه وسلم لعايشة عليك بالرفق اى التمسكي بالرفق في امورك
ولا تتعبي الدابة التي ركبت ففيه دلالة على شفقته صلى الله عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات
وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والبعير بفتح اوله ويكسر

كى اختار تاخير العذاب عن امته

ابن متى صح

وكذا كل فعيل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال
وهذا الحديث اخرجه البيهقي في سننه عن المقدام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها انها كانت على جمل
فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لم يكن في شيء الا زانه
ولا نزع من شيء الا شانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم فهو من الفذلكة لهذا الفصل **فصل**
واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا هو ضد الغدر ونقض الذمة وحسن العهد اي ما عاهد
عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله وصلة الرحم هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق
لهم وعفو زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعدا الله
كابي لهب وابي جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة او قريبة بواسطة
ودونها حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن احمد بن اسمعيل بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلي
ولد سنة ست وخمسين واربعمائة ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة
بقراتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد تقدم قال حدثنا ابو اسحق الحبال بفتح الحا المهملة
وتشديد الموحدة وهو ابن ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدي الثقة المشهور وقد تقدم
قال حدثنا ابو محمد بن النحاس تقدم ترجمته قال حدثنا ابن الاعرابي تقدم ايضا قال
حدثنا ابو داود صاحب السنن المشهور وقد تقدم قال حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الله
بن خالد بن فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر توفي سنة ثمان وخمسين
ومائتين اخرج له اصحاب السنن وغيرهم قال حدثنا محمد بن سنان بكسر السين ونونين
بينهما الف العوقي بفتح العين المهملة والواو وسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد
القيس غير مشهور قال حدثنا ابراهيم بن طهمان بفتح الطا المهملة وسكون الها وهو الامام
ابو سعيد الخراساني المشهور روى عنه اصحاب الكتب الستة توفي في بضع وستين ومائة وترجمته
مبسوطة في الميزان عن بديل بضم البا الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون اليا المثناة التحتية ولام
ابن ميسرة الفضل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق العقيلي الامام الثقة عن ابيه عبد الله بن
شقيق الامام المعروف توفي في زمن الحجاج عن عبد الله ابن ابي الحمسا بحا مهملة مفتوحة وميم ساكنة
وسين مهملة ومدة العامري الصحابي وفي المقتفي انه غير ابي الجدعا وسياتي حديثه في انتظاره
عليه الصلاة والسلام الى يوم ثالث وشقيق والد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قال المزي
بعدان بين طرقه عن ابي داود وليس هو غيره وذكر كلام ابي داود الذي نقله عن محمد بن يحيى
شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة عندي من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو
من كلام ابي داود ما لفظه كذا وهو من زوايده ورواه عثمان ابن خرزاد عن محمد بن سنان
هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدي ما اظن ابراهيم ابن طهمان الا اخطا في عبد الكريم
وانما هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن ابي الحمسا ورواه ابو عون الزيادي عن
ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم في اسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم
بن عبد الله بن شقيق وقال البزار اظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد عبد الله جاهلي

لا اعلم

لا اعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله
بن ابي الحمسا الا هذا الحديث ووقع في الشفا نسختان احدهما الخنسا بمعجمة ونون والاخرى
وعن ابي الحمسا باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية خطا لان ابا الخنسا لا اسلام له ولا رواية
وانما الرواية لولده عبد الله بن ابي الحمسا انتهى قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع اي
باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له اي لذلك المبيع بقية لم تسلم له
فوعدته ان اتيه بها في مكانه اي في مكان وقع فيه البيع فنسيت الوعد الذي جرى بينهما ثم ذكرت بعد
ثلاث اي ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتانيثه مع المؤنث
كما قالوه في قوله صلى الله عليه وسلم واتبعه ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود
فجيت فاذا هو في مكانه اي مستقر صلى الله عليه وسلم في مكانه لم يفارقه فقال يا فتى لقد شققت
علي انا هنا منذ ثلاث انتظرك وفي هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله عليه وسلم بعهده ووعده
وهذا الحديث رواه ابو داود وهو من افراده واخرجه ايضا ابن منده في المعرفة والخرائطي في مكارم
الاخلاق وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية مبني للمفعول اي اتاه
احد بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها فانها
كانت صديقة لخديجة رضي الله عنها وفي رواية انها كانت تحب خديجة وهذا الحديث رواه
البخاري في الادب المفرد وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما غرت على احد وفي نسخة امراة
اي من نسائه عليه الصلاة والسلام ما غرت على خديجة يقال غار الرجل والمراة اذا غضب
من فعل يقتضي ما لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة محبتها له
وارادتها صرف محبته لها دون غيرها وهذا امر طبيعي لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة
فلا وجه له بعد موتها لما كنت اسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها تعليل للغيرة وما مصدرية
اي لسماعي ذكرها ولو شددت لما وجعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى
اصلها وقيل انها بمعنى الباء كما في قوله اركب على اسم الله وقال اي المص في الاكمال مغاضبة عائشة
رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغيرة التي عفي عنها للنساء حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد
عن المراة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا كان على عائشة رضي الله عنها في مغاضبتها النبي
صلى الله عليه وسلم اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفي الشرع
وان بكسر الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة كان ليذبح الشاة ليس المراد انه يذبحها
بنفسه فيهديها بضم اليا الاولى والمراد انه يهدي منها او يهديها بتمامها والظاهر الاول لانه في الحديث
فيهدي ما يشبعها او يشبعين الى خلايلها بالخا المعجمة جمع خليلة بمعنى لصاحبة والصديقة
واستاذنت عليه اي طلبت الاذن في الدخول له اختها اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد
بن اسد وهي ام ابي العاصي بن الربيع الصحابي المشهور رضي الله عنهما فارتاح اليها اي
حصلت له صلى الله عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه واظهر البشر والمسرة برؤياها وهذا الحديث
في البخاري وفي رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى مال اليها واعجبه مجيئها مجازا ودخلت

عليه امرأة فهش لها اى تبسم قليلا واظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم
يقال يهش ويبش به اذا فعل ذلك استيناسا ويقال هو هش بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس
شامخ الانف كما يفعله المتكبرون واحسن السوال عنها فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وال في السوال
للعهد او بدل من المضاف اى احسن اليها بسواله عن حالها وما هي عليه كما تقول لمن يزورك ما حالك
وما انت عليه تلطفا به واعتنا بشانه كما هو عادة الناس لمن يحبونه ووقع في الحديث انه صلى الله عليه
وسلم قال لها كيف حالكم كيف انتم فقالت بخير وهو مفسر لما هنا فلما خرجت من عنده صلى الله
عليه وسلم وذهبت من مجلسه قال بيانا لسبب معاملته معها وهي المراة اجنبية انها كانت تاتينا
ايام خديجة اى انها كانت في حياة زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله عليه وسلم لانها من معارفها
واصدقائها وان حسن العهد اى رعاية العهود القديمة ورعاية من يحبك او يحب من يحبك
من الايمان اى من شعب الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم
السيد اكرام عبيده ومناسبة هذا لما عقد له الفصل ظاهرة ووصفه بعضهم اى وصف بعض الصحابة
النبي عليه السلام فقال كان يصل ذوى رحمه اى من صفته التي كانت منه دائمة وكان يدل على التكرار
والدوام كثيرا وان لم تكن موضوعة لذلك نحو كان حاتم يقرى الضيف وكان الله غفورا رحيما
كما فصل في الاصول اى يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هذا يوهم الاختصاص بهم احترس عنه
فقال من غير ان يوثرهم اى يخصهم ويقدمهم على من هو افضل منهم من ساير الناس وهذا ايضا
من حسن العهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ال بني فلان ليسوا لى باوليا الا انه عمى الاهل والاتباع
وفلان كناية عن الاعلام التى للعقلاء والمراد به هنا كما قر ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
والكناية من الراوى لا من كلامه صلى الله عليه وسلم وابو العاص هو ابو الحكم بن ابى العاص وكان
منافقا في اول امره ثم حسن اسلامه وهو عم عثمان بن عفان رضى الله عنه وما ذكر كذا هو في نسخة
البرهان الحلبى قال ابن قرقول وفي الحديث المشهور ان ال ابى ليسوا باوليائى بفتح همزة ابى وبعده
بياض في الاصول كانهم تركوا من الكلام بقية وعند ابن السكن ان ال ابى فلان بالكناية عن ذكره وفي بعض
الروايات اسقاط ال والاوليا جمع ولى وهو القريب ومن يتولى امره اى لا اتولاهم ولا احسبهم
من اوليائى لما علمت منهم والمراد به الغرض كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم اى لا ولى لهم ولا ناصر غير ان لهم رحما اى قرابة سابلها ببلالها لان ابا العاص
احد بنى امية وهم قريبون منافقون وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص وهم
الاعياص وحرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وابو عمرو وابو سفيان هذا
هو صخر بن حرب بن امية وهو غير ابى معاوية رضى الله عنهما وقوله ابلها اى اصل رحمها بصلتها
اللايقة بها والبلال بكسر البا الموحدة مصدر كالقتال او جمع بلل كجمل وجمال وهو الافصح لانه
رواية وروى بفتح البا ايضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة وكل ما يبل الحلق من الماء
كالما واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفي الحديث بلوا
ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة يجمع الاشيا واليبوسة تفرقها وايضا ان بل الارض

مثا

يجعلها منبتة فاستعيرت لما ذكر لتاليفها للقلوب وتنمية المودة كما قال كيف اصبحت كيف
امسيت مما ينبت الود في قلوب الرجال ففيه استعارات مصرحة او مكنية وتخييلية
وقد صلى عليه الصلاة والسلام اى دخل في الصلاة بامامة بضم الهمزة وميمين علم ابنة ابنته
زينب اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع
لا ابن الربيعة كما في البخارى فانه غلط مشهور وولد منها امامة وكان صلى الله عليه وسلم يحبها
وتزوجها على كرم الله وجهه بعد فاطمة رضى الله عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فماتت
عنده قال البرهان الحلبى ليس لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لرقية ولا لام كلثوم
عقب وانما العقب لفاطمة رضى الله عنها ولذا سادت جميع بناته وامها خديجة وهى سيدة نسا اهل
الجنة الا مريم وقال السهيلى فضلت على اخواتها لانها بضعة منه وزوجة خليفة وام ريحانتيه
ولانها اصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت ابيها صلى الله عليه وسلم في حياتها
فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدى وهذا الحديث رواه البخارى في صحيحه كغيره
وفيه كما ياتى انه كان اذا سجد وضعها واذا قام رفعها العبره عن الحمل الاتى وقد اشكل هذا
على الفقها لان هذه اعمال كثيرة مبطلة للصلاة فقيل انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقيل انه منسوخ
وقيل انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به وتعلق عليه من غير عمل منه وقوله رفعها ووضعها
يا باه وقيل انه كان في النافلة لضرورة لانه لم يكن ثمة من يكفيه امرها وقال بعضهم انه كله باطل
لانه وقع بعد الهجرة وتحريم الاعمال وكان في صلاة الصبح وهو يوم الناس كما ورد التصريح به فالصواب
انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها ما يبطل الصلاة قيل وانما فعل ذلك
صلى الله عليه وسلم ارغاما للعرب في عدم محبتهم البنات يحملها على عاتقه اى كتفه وعلى متعلق
بيحمل لا حال من امامة او من ضميره كما قيل فاذا سجد وضعها على الارض واذا قام حملها بيانا
للجواز وقال الخطابى اسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت تالفه فاذا سجد جلست على عاتقه
فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع فيرسلها فاذا سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه وعن ابى قتادة
الصحابى الانصارى فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه فقيل الحارث بن ربعى
بكسر الرا ابن عمرو وقيل النعمان توفى بالمدينة سنة اربع وخمسين وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين
سنة وروى له احمد واصحاب السنن قال وقد وفد للنجاشى وفد بمعنى قدم ويخص بقدوم
الرسول ووفد بسكون الفا اسم جمع بمعنى الوافدين والنجاشى بفتح النون وكسرها وتشديد اليا
وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل صحمه بفتح الضاد وسكون الحا المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم
وقيل خاوه مجمة وقيل اسمه مكحول ابن صصه وقيل سليم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك
الحبشة وكان رضى الله عنه ممن اعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم
واهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة رضى الله عنها وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا
يدعوه فيه للاسلام فاسلم على يد جعفر بن ابى طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم
محبة عظيمة فلما توفى في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل

ربعى

الشافعي رحمه الله على الصلاة على الغايب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي اخر دعاه
النبي صلى الله عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافرا فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه
تواضعا منه وارشادا للغير فقال له اى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه نكفيك اى نحن نخدمهم
ونكفيك من تعاطي خدمتهم فابى صلى الله عليه وسلم وقال انهم كانوا لاصحابنا اها جروا الى ارضهم
مكرمين وانى احب ان اكافيهم اى اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام اعظم من تعاطيه
صلى الله عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في دلايله مسندا ولما جي مبني للمفعول
اى جا الصحابة رضي الله عنهم باخته من الرضاعة بفتح الرا وكسرها عن الرضاع الشيما بفتح المعجمة وسكون
المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها الشما بتشديد الميم من غير ياء كما قاله المحب الطبري
ويحتمل ان يكون الشيما اصلها شما فابدلت احدى الميمين كما قيل في اما ايما فيكون صفة بمعنى ذات شيم
ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة السعدية التي ارضعت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اختها
وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة على ما ياتي واسمها
جذامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحا مهملة وذال معجمة وفا وقيل جزاقة بمعجمتين
واختلف في زوجها ابو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من اهل السير سلامه ولكن
ذكر يونس ابن بكير في رواية فقال حدثنا ابن اسحاق عن ابيه عن بعض بني سعد بن بكر
ان الحارث بن عبد العزى ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد بعثته
فقالت له قريش يا حار ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق
بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من اطاعه وقد شتت امرنا وفرق جماعتنا
فاتاه فقال يا بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون
الى جنة ونار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم يا ابت اخذت بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم
فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لو قد اخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان
شاء الله حتى يدخلني الجنة انتهى في سبايا هوازن السبايا جمع سبية بمعنى مسبية اى مملوكة وهوازن
اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت باسم الاب الاعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن حفصة
بن قيس غيلان بن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا وتعرفت له يقال تعرفت له اذا
اعلمه باسمه وشانه فهي اعلمته صلى الله عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله عليه وسلم ما علامة ذلك
فقالت عضة كنت عضيتها في ظهري فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقها جواب
لما بسط رداءه اى فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها وقال لها بعد ما جلست عنده اذا حببت اقمت
عندي مفعول احببت مقدر تقديره احببت الاقامة عندي وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم
مكرمة ومحببة بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون ثانيه وتخفيف رايه اسم مفعول اكرمه
اذا فعل به ما يحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محببة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه واحبه
بمعنى والاكثر الافصح في اسم المفعول ان يكون من الثلاثي فيكثر فيه محبوب ويقل محب لكنه هنا
احسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقول عنترة واذا نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة

حليمة اسلمت وعدت من الصحابة

المحب

المحب المكرم وقولها جارية حدبه مكرمة محببة وحبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا
محب ولم يقولوا حاب او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها ورجعت لقومها
وتفصيلها ما قاله اصحاب السير انه لما قدمت اخته الشيما بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته
صلى الله عليه وسلم بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع
لقومها وارضها وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله
انها اسلمت فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشا وهذا منه صلى الله عليه وسلم صلة لرحمه
لان الرضاع له حكم النسب والقرابة واللبن كما للابوين وقال ابو الطفيل بضم الطا المهملة
وفتح الفا منقول من مصغر الطفل جعل علما العامر بن واثلة بالثا المثلثة الكناني الصحابي وهو اخر من
مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ ابن ابي الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان الحلبي رايت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام الغلام كما في كناية المتحفظ عن بعض اهل اللغة الصبي اذا فطم الى سبع
سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول
اذ اقبلت امراة حتى دنت منه اى قربت من مكانه الجالس فيه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت
فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وفي بعض النسخ تاخير قوله وانا غلام عن قوله اذ اقبلت
الخ وهذا الحديث رواه ابو داود في سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا
ابو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة بن ثوبان ان ابا الطفيل اخبره قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ غلام احمل لحم الجزور اذ اقبلت امراة
وساقه وقوله اذ يحتمل ان يكون ظرفا لرايت اى رايت وقت اقبال المراة ويحتمل ان يكون للمفاجاة
بتقدير بينا اى رايته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذ اقبلت الى اخره وهي بمعنى قد والوجه هو الاول
وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المراة هي حليمة
امه صلى الله عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم حنين وقال
الحافظ الدمياطي رحمه الله لا نعرف لها صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها اتته صلى الله عليه
وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر
لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها الشيما واما حليمة فانها جاءته صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة
في زمان خديجة رضي الله عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وما هنا يقتضي مجيئها
له صلى الله عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجي وفدهم وليس كذلك انما هي
ابنتها وجوز الذهبي رحمه الله ان تكون هذه المراة التي جاءته هي ثويبة مولاة ابي لهب الاتي ذكرها ويرده
انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سال عنها ابنها مسروح فاخبر بموتها وصحح بعضهم خلافه
وذكر ابن الجوزي في الوفا وصنف الحافظ مغلطاي جزا في اسلامها سماه التحفة الجسيمة في اثبات
اسلام حليمة وارتضاه علما عصره وممن انكره ابو حيان وعن عمرو بن السايب عمرو بفتح العين وبالواو
وهو ابن واثل المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن
حبان وقال انه من الثقات وروى عن اسامة بن زيد وروى عنه جماعة سوا اخرج له ابو داود

اخر من مات من الصحابة عامر بن واثلة

فقط كذا قاله التلمسانى فى حواشيه وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابو داود بلاغا
كما قاله السيوطى فى تخريجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما قيل ظاهره ان عمرو
شاهد هذه القضية وهو تابعى والحديث من مرسل زيد كما فى سنن ابى داود قال عن احمد بن سعيد
الهمدانى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى عمرو بن الحارث ان عمرو بن السايب حدثه انه بلغه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا الخ فلو ذكره المص كما قاله ابو داود كان اولى
فاقبل ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى وقد تقدم الكلام فيه وفى اسلامه وكون زوج
المرضعة يسمى ابا ويثبت بارضاع زوجته معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل
محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه وله ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل
فى كتب الفروع فوضع له صلى الله عليه وسلم بعض ثوبه وفرشه له فى الارض ليجلس عليه فقعد عليه
ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه يعنى انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه واجلس
امه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله بن الحارث
بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله عليه وسلم لئلا يقصر فى توقيره عن ابويه
وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللنبى
صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة ابى لهب الاتية وخولة بنت المنذر
بن زيد بن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد القولين
فى قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك وقيل انهن جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب
وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الى ثويبة علم منقول من تصغير الثوب وهى مولاة ابى لهب
مرضعته اى جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكنى بذلك لتوقد لونه وذكر
لهذه الكنية فى القران للاشارة الى انه جهنمى كما مر بصلة اى عطية يحسن بها لها وكسوة بضم الكاف
وكسرها اى ثياب يلبسها فلما ماتت بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام سال من بقى من قرابتها
اى عمن بقى فهو منصوب بنزع الخافض او بتقديره وقال من بقى فهى اما موصولة او استفهامية
والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وسمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا
للحريرى اذ انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر يبكى عليه غريب
ليس يعرفه وذو قرابة فى الحى مسرور فقيل لا احد اى لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل
مقدر اى لم يبق احد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله
وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكره من حسن الوفا وصلة الرحم وفيه من مكارم اخلاقه وحسن
عهده صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدى وغيره واما ارضاع ثويبة له
صلى الله عليه وسلم فثابت فى الصحيحين وهى اول من ارضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره اياما
قبل حليمة وارضعت قبله عمه حمزة وابا سلمة واختلف فى اسلامها فاثبته بعضهم وعدها فى الصحابة
وانكره ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها لما بشرته بولادة النبى صلى الله عليه وسلم ورأى فى المنام وهو

وهى حليمة كما مر

مطلب مرضعات النبى صلى الله عليه وسلم

يقول خفف عنى العذاب باعتاقى ثويبة لما بشرتنى به وفى السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل
وهو المروى فى غير السير وفى المواهب ما يخالفه والذى راى فى المنام بشرجيبة بفتح الحاء المهملة او
بكسرها ويا مثناة تحتية وبا موحدة وقيل انه بخا معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف اى بسوء حال فهو
من الحوبة وهى المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت يا لانكسار ما قبلها او على خلاف القياس وتخفيف عذابه
بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى فى اعمال الكفرة فجعلناه هباء منثورا لانه بعد الحشر او لانه لما لم ينجهم من النار
فكانه لم يفدهم اصلا وتفصيله فى حواشينا على القاضى وفى حديث خديجة رضى الله عنها الذى
رواه الشيخان عن عايشة رضى الله عنها بسند صحيح انها قالت له صلى الله عليه وسلم فى ابتدا امره
لما راى جبريل عليه الصلاة والسلام فحصل له به رعب شديد ابشر امر بفتح الهمزة وهمزة قطع يقال
ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تعجيل المسرة
بالبشرى التى بعده وهو انشا اريد به الخبر اى انى مبشرة لك والبشرى الخبر السار الذى يظهر اثره فى البشرة
فوالله لا يخزيك الله ابدا وهذا الحديث تقدم شرحه فى فصل الجود والكرم ومر ان فى يخزيك
روايتين ضم اليا واعجام الخاء من الخزى وهو النكال والفضيحة وبه روى لفظ المص هنا
كما ذكره البرهان الحلبى واهمال الحاء من حزن واحزن وهى دون الاولى فلذا تركها المص رحمه الله
وروى لا يخزيك الله ابدا عن الزهرى بزيادة ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف
وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق وقد مر ذلك مبينا فصل
واما تواضعه صلى الله عليه وسلم التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو الشرف النازل صيغة
للتكلف فى الاصل على علو منصبه قد قدمنا لك ان المنصب فى كلام العرب بمعنى الاصل والحسب
كما فى قول ابى تمام ومنصب نماه ووالد سماه وان استعماله فى تولى الاعمال السلطانية كقول
ابن الوردى نصب المنصب اوهى جلدى وعنائى من مداراة السفل مولد لم يسمع من العرب ولذا
عطف عليه قوله ورفعة رتبته فهو كالتفسير له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر فكان صلى الله عليه وسلم
اشد الناس تواضعا منصوب على التمييز واقلهم كبرا وفى نسخة واعدمهم كبرا وفى نسخة بالجمع بينهما
وهو افعل تفضيل من العدم وهذه انسب بمقامه صلى الله عليه وسلم لان اللايق به عدم الكبر لا قلته
ووجه هذه البرهان بان القلة بمعنى النفى وقال ابو حيان فى قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ان القليل
يرد بمعنى النفى المحض كما فى قولهم اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد من الرجال
يقول ذلك وقال الحافظ السخاوى فى كتاب جواهر الدرر فى مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله
سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض
باطل لانهم تكلموا على الحديث الذى رواه النساى عن عبد الله بن ابى اوفى قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا قال ابن الاثير فى النهاية
لان قل يستعمل فى النفى كما فى الاية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه صلى الله عليه وسلم كبر اصلا كما
فى الحديث الصحيح وليس افعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما فى قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ومثله افظ واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ اى كما مر وقال المص رحمه الله فى شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة

وقيل لم

والقدر الذى فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم لانه صلى الله عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله اقلهم كبرا بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما فى الذى قبله لان تواضعه صلى الله عليه وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله فى التورية ليس بفظ ولا غليظ اى بالمؤمنين ونظيره اشداء على الكفار رحماء بينهم بمعنى اعزة على الكافرين منكرين عليهم اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم يعادونهم فلا معنى لمحو النسخ واتلافها انتهى واستدرك عليه عزالدين الحنبلى بان تاويله الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه ان شدة وغلظة على نحو هؤلاء كانت اشد من عمر رضى الله عنه بلا شك انتهى اقول الجواب الحق هو الثانى لانه صلى الله عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله ومنها المتكبر فاتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة فى محلها ممدوح ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا فى محله ممدوح وهو فى صفاته تعالى ذاتى دائم لا ينازعه احد رداءه الا قصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله فقليلا ما يؤمنون واما تاويل التفضيل بالنفى وخلع المفاضلة منه فمجاز على مجاز وضعت على ابالة واما اعتراض الحنبلى فلا وجه له وبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه وحسبك اى يكفيك فى اثبات ما ذكر انه صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا بكسر اللام اى سلطانا وخير مبنى للمجهول اى خيره الله تعالى على لسان ملائكة فى الحديث المشهور او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فخيره الله بعد تفضيله بالرسالة ان يكون شوكة الملوك فى اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة مقام العبودية والخدمة بنفسه فى مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا فى الدنيا ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية فى عظيم مقاماته كقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابى هريرة رضى الله عنه والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال له اسرافيل عند ذلك اى حين اختار العبودية على الملك فان الله قد اعطاك هذه الفاء فصيحة عاطفة على مقدر اى اصبت وجزاك الله خيرا بما تركته بما تواضعت له الكلبية وما مصدرية اى بسبب تواضعك له انك سيد ولد ادم بفتح همزة انك وهى وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره فى الشرف وهو يطلق على الله وعلى غيره فى اصح الاقوال الثلاثة المشهورة وخصه بقوله يوم القيمة لانه لا اعلى من هذه السيادة حيث يسوده صلى الله عليه وسلم فيه على الرسل وساير البشر وفيه نكتة لتبين اضمحلال كل ملك لعظمته حيث يقول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لساير مخلوقاته فتدبر واول من تنشق الارض عنه معطوف على سيد خبر ان وانشقاق الارض لتخرج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله عليه وسلم احد واما حديث فان الناس يصعقون اى يغشاهم غشية كالموت يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى عليه الصلاة والسلام باطش بجانب العرش فلا ادرى اكان ممن صعقا وكان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتى صعقة فزع بعد البعث

ويؤيده قوله يوم القيمة واول شافع اى يوم القيمة او فى الجنة لرفع درجات الناس لان مقام الشفاعة متعددة فى قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك واعلم ان سفير الوحى بين الله وبين نبينا صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام وعن الشعبى ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام كان ياتيه صلى الله عليه وسلم بالوحى فى اول بعثته ويتراى له ثلاث سنين وياتيه بالكلمة والشئ ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابن عبد البر فى الاستيعاب انزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلاة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفى شرح البخارى لابن السنى ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور الذى ابتداه بالوحى جبريل عليه الصلاة والسلام وانكر الواقدى كون غير جبريل وكل به وقال السيوطى رحمه الله من كتاب الحبايك لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة فى ذلك وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله عليه وسلم باية ذكرها حدثنا الفقيه ابو الوليد بن العواد بفتح العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام بن احمد القرطبى وقد تقدمت ترجمته توفى عليه بقرطبة سنة سبع وخمسمائة وفى هذه السنة توفى رحمه الله قال حدثنا ابو على الحافظ الغسانى وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال حدثنا ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى الامام الجليل صاحب التاليف المشهورة كما تقدم قال حدثنا ابن عبد المومن ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المومن كما تقدم قال حدثنا ابن داسة ابو بكر محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما الف قال حدثنا ابو داود صاحب السنن المتقدم قال حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة عبد الله بن محمد بن ابى شيبة العبسى احفظ اهل عصره له ترجمة فى الميزان مفصلة واخرج له الايمة الستة قال النووى ابو بكر بن ابى شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمن بن خواستى بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم الف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وابو شيبة هو ابراهيم وغلب على اولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان والقاسم فاما عبد الله وعثمن فامامان حافظان من احفظ اهل عصرهم وهما شيخا البخارى ومسلم واما القاسم فليس كهما بل ترك التحديث عنه ابو زرعة وابو حاتم الرازيان الحافظان وابوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال حدثنا عبد الله بن نمير بالنون كمصغر النمر الهمدانى ابو هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة عن مسعر بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالى الكوفى المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن اخرج له الستة وتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وله فى حديث عن ابى العنبس بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوى الكوفى لم يخرج له غير ابى داود او ذكره فى الميزان

ولم يذكر فيه شيا عن ابى العديس بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وسين مهملة
وهو تبيع بن سليمان الاسدى ويقال الاشعرى الكوفى وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة
بزنة المصغر كما فى الميزان وتهذيب الذهبى والاكمال الا ان ابا خليل الحافظ كتب فى حواشيه ان هذا
وهم منه وانما هو منبع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبى عن ابى مرزوق التجيبى واسمه كنيته وله
ترجمة فى الميزان قال فيها ان ابن حيان قال انه لا يحتج بما انفرد به عن ابى غالب الراسبى واسمه حزور
وقيل سعد بن حزور وقيل نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا فى ضعف روايته ومنهم من وثقه
عن ابى امامة الباهلى او السهمى وهو صدى بن عجلان بن وهب توفى سنة احدى او ست وثمانين
واخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجه مسندا قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا بكاف مشدودة مكسورة وهمزة اى معتمدا متحاملا
وهو منصوب على الحال على عصا وقال ابن عباس التوكوء على العصا من سنن الانبيا وكان له صلى الله
عليه وسلم عصى منها قضيب ومخضرة قصيرة ومحجن وكانت فى يده اذا خطب وكانت عند الخلفا وقال
فيها الصرصرى رحمه الله كما مر وعصاه لما مسها بيمينه فضلت عصا صادت الى ثعبان فقمنا له
تعظيما واجلالا فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا هذه الجملة بدل مما قبلها او
مستانفة استينافا بيانا والاعاجم جمع العجم او اعجمى او عجم على خلاف القياس او جمع اعجام جمع جمع
وهم من عدا العرب وقد يختص بفارس وقد اختلف العلما فى القيام للتعظيم المعتاد هل هو
مكروه ام لا فقيل مكروه استدلالا بهذا الحديث وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما فى حيث
له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضى ذكريا فى شرح الروض انه
مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشى من تركه ضرر الجبابرة الملوك
ويستحب لمن قدم من سفر ولذوى الارحام تكريما وبرا لهم ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
للانصار لما قدم عليهم سعد رضى الله عنه قوموا لسيدكم والمنهى عنه انما هو ما كان على سبيل الريا
والتكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقدم راكبا فامرهم صلى الله عليه وسلم بالقيام ليعينوه
فى النزول عن دابته خلاف الظاهر كما مر وقد فعله صلى الله عليه وسلم فكان يقوم لفاطمة رضى الله
عنها اذا جاءته وانما نهاهم لئلا يظنوه سنة ويتخذوه عادة وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد الحصر فيه
اضافى اى لست بسلطان ثم انى ان اريد بالعبد معناه العرفى وهو الرقيق المملوك للناس فهو استعارة
فشبه نفسه تواضعا لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه فى بيته فانه صلى الله عليه وسلم كان يا
يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس الغليظ فقوله اكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد بيان لوجه الشبه وان اراد عبد الله وكل الناس عبيد الله الملوك وغيرهم
سوا فى ذلك فالمراد انه متمحض لهذه العبودية لا يشوبها بشى من امور الدنيا ولا تخلق بشى
من اخلاق اهلها فى ملابسهم وماكلهم ومشربهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض
ويأكل على خوان ولا يغلق عليه بابا ولا يتخذ حجابا وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

و

ولعل النهى انما ورد عن القيام [illegible] من الزائرين للمزور فى [illegible] تعظيما له كما يفعل [illegible] الروم الآن علامة التعظم والتكبر يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقول الراوى خرج علينا لحجرة عوته ولان فيه الحرج على القائم فنهى اهم تخفيفا لهم ولئلا تتخذوا مثل هذا القيام سنة وعادة بينهم كالاعاجم صح

وكثير من الاغنيا يانف من ركوبه وكان له حمار يسمى عفير واخر يسمى يعفور وهو ماخوذ
من العفرة وهى التراب لشبه لونه له وليسا اسمين لحمار واحد كما توهم فان عفيرا اهداه له المقوقس
ويعفورا اهداه له فروة ابن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل
القى نفسه فى بئر ابن التيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من جنس من لحم لم
يركبه الا نبى وانه كان صلى الله عليه وسلم يرسله للرجل فياتى به ويقرع برأسه فيعلم
انه يطلبه ويردف خلفه غيره ويردف بضم المثناة بمعنى يجعله رديفا له اى راكبا خلفه
على دابته التى ركبها ويقال ردف واردف واصله الركوب على الردف وكان صلى الله عليه وسلم
يجعل غيره قدامه ايضا ولم يذكر المصنف من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار
والكبار وقد ذكروا ان من اردفه صلى الله عليه وسلم بلغوا الاربعين فى سفره وحضره وهذا
من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم اسامة بن زيد رضى الله عنهما مرجعه من عرفة والصديق
رضى الله عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة
الوداع وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وبسطه مع غلامين من بنى هاشم
واولاد عباس الثلاثة رضى الله عنهم فى نزوله من المزدلفة والحسن والحسين رضى الله عنهما
ومعاوية رضى الله عنه ومعاذ بن جبل رضى الله عنه على عفير وابو ذر رضى الله
عنه على حمار وزيد بن حارثة رضى الله عنه وثابت بن الضحاك رضى الله عنه والشريد
بن سويد رضى الله عنه وسلمة بن الاكوع رضى الله عنه وزيد بن سهل رضى الله عنه وابو طلحة
الانصارى رضى الله عنه وسهيل بن بيضا وعلى بن بنته زينب رضى الله عنهما وعبد الله
بن الزبير رضى الله عنهما وغلام مطلبى واسامة بن عمير رضى الله عنه وصفية بنت حيى
رضى الله عنها تقدمه من خيبر وابو الدردا رضى الله عنه وامية بنت ابى الصلت وابو اياس
وابو هريرة رضى الله عنه وقيس بن سعد رضى الله عنهما وخوات بن جبير رضى الله عنه وجبريل
عليه الصلاة والسلام على البراق فى الاسراء وام اجيبة الجهنية وزيد بن ارقم رضى الله
عنه وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما وزاد ابن منده رحمه الله غير هولاء ونظمهم
ابو ذر بن موفق الدين فقال واردف جم غفير فمنهم على وعثمان شريد وجبريل
واولاده ذو والرشد والتقى اسامة والدوسى هو نبيل معاوية قيس بن سعد صفية
وبسطاه ما ذا عنهم سا قول معاذ ابو الدرداء سويد وعقبة وامنة ان قام ثم دليل
كذلك خوات طريف وسبط على وجه النقل فيه جميل اسامة والصديق ثم بن
جعفر وزيد وعبد الله ثم سهيل كذا بنت قيس خولة وبن اكوع وقدرهم فى العالمين
جليل كذلك زيد صاحب ثم ثابت ففى جمهم والله لست احول ثلاثة غلمان وزد
معهم انا اناس وحسبى الله فهو وكيل وكان صلى الله عليه وسلم يعود المساكين ويجالس
الفقراء الفرق بين المسكين والفقير مشهور فى مبحث الزكوة الا ان كلا منهما يطلق على الاخر
من غير فرق فى العرف والعبادة سنة للغنى والفقير وانما خصها ويكون بمعنى المتذلل الخاضع

بن
اسامة زيد
صديق
عثمان
على
عبد بن
جعفر
واولاد
عباس
الثلاثة
الحسن
والحسين
ومعاوية
ومعاذ بن
جبل

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احيني مسكينا وامتني مسكينا وتقدم انه لا يجوز ان يطلق
على النبي صلى الله عليه وسلم انه فقيرا ومسكين وان اطلقه على نفسه الشريفة ويجيب دعوة
العبد اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه ماذونا ونحوه ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم
فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال ابو هريرة رضي الله عنه حتى كان الغريب اذا اتى
ناديه لا يعرفه حتى يسال عنه ثم ان الصحابة رضي الله عنهم سالوه صلى الله عليه وسلم ان يجعل له
مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وساله ففعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس
بجنبه حيثما انتهى به المجلس جلس حيثما تفيد العموم اي اي مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس
فيه صدرا وغير صدر وكل هذا التواضع صلى الله عليه وسلم وارشادا لامته وفي حديث عمر عنه
صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري لا تطروني مضارع اطرأ اذا بالغ في مدحه
وتجاوز الحد فيه قال لا يلحق الواصف المطري مدايحه وان يكن محسنا في كلما وصفا اي
لا تمدحوني قال الجوهري والزبيدي اطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس في المجمل اطريته
مدحته باحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبه فسر
الحديث وقد علمت ان الذي قاله الهروي هو معنى الحديث وهو ماخوذ من الطراوة وطراء
يقال طراوة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من كل احد والمنهي انما هو عما لا يليق به
ولذا قال كما اطرت النصارى جمع نصراني منسوب لناصورة او نصرة او نصورية على خلاف
القياس وتلك القرية كان فيها في اول امره ابن مريم فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور
وهذا كقول الابوصيري رحمه الله تعالى دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وما احسن قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به وعلى تفنن واصفيه
بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولا تقولوا ما قاله
اهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافي وعن انس رضي الله عنه رواه مسلم ان امراة من الصحابة تسمى
ام زفر وهي ماشطة خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وتردد البرهان الحلبي رحمه الله فيها
هل هي هذه او غيرها وجزم به غيره كان في عقلها شيء من الجنون ولم يصرح به اشارة لخفته
وانها لم تستغرق فيه فان لفظ شيء يشعر بالقلة جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي اليك
حاجة اي لي حاجة اريد ان انهيها اليك واعلمك بها فقال لها اجلسي يا ام فلان الابهام من الراوي
لانه عبر به لم يحط اسمها في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك مجزوم في جواب الامر والي بمعنى عند
عبر به للمشاكلة حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها التي اعلمته
بها تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها لا بمن كان فيه جنون
مطبق وكانت جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت اني
اصرع واتكشف فادع الله لي فقال ان شئت فاصبري ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان
يعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا اتكشف فدعا لها فكان ابن عباس رضي الله عنهما
يقول الا اريكم امراة من اهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع سعيرة الاسدية

وقال انس رضي الله عنه في حديث رواه بتمامه ابو داود والبيهقي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ويجيب دعوة العبد كما تقدم بيانه وكان صلى الله عليه وسلم يوم بني قريظة يوم واحد
الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة شايع بحيث اذا اطلق انما يفهم منه هذا وبنو قريظة
بصيغة التصغير والقاف والراء المهملتين والظاء المشالة ثم ها قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي
صلى الله عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا على حمار وهو صاحب الرياسة والجلالة
العظمى تواضعا منه وممن هو من اهل من عبيده يركب الخيل في مثله ويجنب الجنايب اظهار الشوكة
وعظمته بذاته لا لغرض الدنيا الذي لا يستقر وما في بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشي في ضبط
يوم من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة بمعنى يقصد تحريفا
لا وجه له مخطوم بحبل من ليف اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة وطاء مهملة وهو ما يقاد به
الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والغاشي يتخذ من النخل ويفتل حبالا وعليه اي على الحمار
اكاف بكسر الهمزة وكاف والف وفاء بزنة كتاب وبضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل
يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه او بعض ادواته وهو البردعة وهذا من حديث رواه
ابو داود والبيهقي كما مر قال اي انس بن مالك رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم
يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة الاهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء واللام وهو
كل ما يؤتدم به من الدهن او ما يذاب من الالية او الدسم الجامد كسنخة بفتح السين المهملة
وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء بمعنى متغيرة الرايحة يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير فيجيب
دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذي في شمايله وابن ماجه في سننه قال انس
رضي الله عنه وحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في حجة الوداع كما في البخاري ويدل عليه
قوله الاتي وقد فتحت عليه الارض على رحل رث الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به
ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بالخلق وعليه قطيفة اي كساء من صوف له خمل
ما يساوي اربعة دراهم اي لو قومت لم يكن قيمتها اربعة دراهم ويقال هذا يساوي ويسوى
كذا القيمة والحج من اعظم شعاير التواضع واظهار الافتقار الى الله تعالى ومنع النفس من التلذذ
والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد في الموقف ليذكر الموقف الحقيقي والعرض على الله
وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص ولذا قال ثم فقال اللهم اجعله اي اجعل حجي هذا
حجا مبرورا لا ريا فيه ولا سمعة بل خالصا لوجهك الكريم والريا مشتق من الرؤية وهو ما
يفعل من عبادة ونحوها لاجل ان يراه الناس فيمدحوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون ما يفعل
ليشيع ويسمع الناس به وهما بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق بينهما
فان عبد السلطان اذا عمل عملا لينك سيك وحده ريا والسمعة ومن اشاع امرا لم ير سمعة لا ريا فيه وقال
القرافي في قواعده الريا موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
وهو ان يعمل لله مع قصد نفع من العباد وهذا ريا الشرك اذ لو يعمل للناس فقط ويسمى ريا الاخلاص
وهو لاغراض شتى والشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر بنقص الثواب

ابن الحنبلي

ولا يحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع او ليحظى عند الامام او يكثر عطاوه وهو محرم
ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج التجارة لا يأثم ولا يقدح ذلك في صحة حجه ولو كان
جعل قصده اوكله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحتمى فهذا لا يقدح في فعله لان الشارع امر به في حديث
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي قاطع للشهوة
فامر بالصوم لغرض اخر غير العبادة ولو كان قاد حالم يامر به كمن توضا للتبريد والتنظيف فان فيه
اغراضا ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر المنتهى والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الرياء والسمعة
وانما دعى بذلك تعليما للامة وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام وما ابرئ نفسي لان التقشف
قد يدخله الريا باظهار الزهد هذا اي فعله صلى الله عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب والمركب
ليس عن عجز وقد فتحت الارض عليه صلى الله عليه وسلم وفتح يتعدى بعلى لما جاء كثيرا بسهولة من الله
كانه اضافه عليه وفتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فقد تمكنه صلى الله
منها بمنزلة وقوعه ومر في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق
عليه قطيفة سندس وفي رواية بمفاتيح خزاين الارض فوضعت بين يدى وهو محمول على ظاهره وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو او هو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله اراده صرفه بالفعل
فيها وقاد جميع اهلها اليه واهدى في حجه ذلك مائة بدنة اهدى بمعنى بعث الهدى بوزن الرمى
مخفف اليا وقد تشدد فتكسر دالم وهو ما يرسل الى الكعبة من الحرام لينحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر
وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ما تطلق على الابل وقد يسمى الابل مطلقا هدى
وسميت بدنة لكبر بدنها وفي البخاري لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها
وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم امر عليا كرم الله وجهه بنحر باقيها واختلف فيما نحره
صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثون ام ستون ولما فتحت عليه مكة دخلها بجيوش من المسلمين
وذلك في شهر رمضان ثالث عشره او سادس عشره او ثامن عشره وصحح النووي انه تاسع عشره
واختلف في الجيوش ايضا فقيل اثنا عشر وقيل عشرة الاف وقيل ثمانية طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس
قادمة الرحل له مقدم وموخر مرتفع عن محل الراكب وفيهما لغات قادم وقادمة ومقدم ومقدمة
بكسر الدال مخففة وفتحها مشددة وكذا اخرة الرحل تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم
ان ركب الجمل دون الفرس وعلى راسه مغفر فوقه عمامة سودا وارداف خلفه اسامة رضي الله عنه كما
ومن تواضعه قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطي
لم اقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم انا خير
من يونس بن متى وفي سنن ابي داود ما ينبغي لنبي ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفي الصحيحين
لعبد بدل لنبي وفي رواية لا اقول ان احدا افضل الخ انه سبح الله في الظلمات وفي البخاري ونسبه لابيه
ففيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصور اسم ابيه وقيل معناه اذ ذكر اسم ابيه بدل متى
اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما الصلوة والسلام واختلف
في المراد منه فقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو افضل من جميع الرجل بالاتفاق

حديث قال لا تفضلوني على يونس ابن متى

ومنها النهي عن التفضيل في نفس النبوة

وكلام المص يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بتفضيله
والاذن فيه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وخص يونس صلى الله عليه وسلم لئلا
يتوهم احد تنقيصه اذ سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة في السير وقوله
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الانبياء لا ينافي هذه الاية لان المنهي عنه تفضيل يودي الى
التنقيص او الخصومة والنزاع او التفضيل من ساير الوجوه لانه قد يكون في المفضول ما ليس
في الفاضل او التفضيل في نفس النبوة لا في الخصايص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد افضليته
عليه الصلاة والسلام لقوله انا سيد ولد ادم وقوله ان الله تعالى اختارني على جميع العالمين
من الانبيا والمرسلين ولا تخيروني على موسى صلى الله عليه والسلام اي لا تقولوا اني خير منه
وافضل وخصه لئلا يظن احد نقصه لقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان وسياتي بيان ذلك اقول الظاهر ان المعنى لا تفضلوني تفضيلا يودي للنزاع
والمخاصمة فان هذا من بعض حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي
فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
ذلك وسياتي الكلام على هذا ونحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي
الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل البعثة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبيا
مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع اي نحن
احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكانه قال انا لا اشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله
جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا تنافي بين القولين ويشير اليه المص
في القسم الثالث وقيل لا يصح ان يكون المراد انا احق بالشك منه كقوله او لم تؤمن قال
بلى الى اخره وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم الاطمينان وهو هنا في عدم التردد
والشك ولذا احتيج لتاويله بان الخليل عليه الصلاة والسلام قطع بالقدرة على احيا
الموتى بدليل قطعي لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بثبوته
لنفسه لا تطمئن حتى تشاهده قال ابن ابي شريف رحمه الله وهذا التاويل يشير الى ان
المطلوب بقوله ولكن ليطمئن سكون قلبه عن المنازعة الى روية الكيفية المطلوبة التي تمناها
ليحصل له العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهريا جايزا على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جايز منه الا انه
اورده بهذه الصورة تادبا مع الله تعالى وان لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور
جوازه عليه وعلي كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا الا ان
في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضايه تساوي علمه البديهي والنظري فيتجاوز المقام الخليلي
وقد اجاب عنه في كتابه كشف الاسرار فقال العز بن عبد السلام المراد ما ازددت
يقينا بالايمان وان كان اذا راها ابصر من التفاصيل والهيات ما لم يحط به قبل ذلك علما
وكذلك ابراهيم لما راى كيفية الاحيا لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحيا وان

وان وقف بمشاهدة الاحيا كيفية الاحيا على ما لم يقف عليه من الايمان كمن راى بنا عجيبا
وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنايه وصنعة عمله فاذا طلب
مشاهدة عمله وراه لم يزده علمه بقدرته وصنعته وهيته بذلك ولكن اطمان قلبه لحصول
ما طلبه من كيفية صنعه وقال السبكي رحمه الله سيل الغزالي عن هذا فقال اليقين يتصور عليه
الجحود كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يتصور عليها الجحود وهو جواب
حسن في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضى الله عنهما هذه
الاية ارجى اية في القران معناه ان سوال الاحيا في الدنيا يدل على انا نحيى ونتنعم في الاخرة وان الايمان
بالغيب اجمالا كاف لنا ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي لبث في السجن بضع سنين اى
لبث خمسا ثم سبعا بعد رويا الفتيين الذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم الله
اخى يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن سبعا بعد خمس اى لو لم يستعن بغير الله تعالى
ما طالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذى دعاه للخروج منه قال الكرماني وصفه
بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا الا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف
والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض
وتلقى كل ما ياتى من الله بالقبول ورفض الوسايط والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعي
مستعينا بالله تعالى مفوضا امرى له وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عبر رويا الفتيين ثم
رايا الملك فطلبه فلما جاه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن امره حتى
يعلم انه مظلوم وقال القرطبي لوجه عندى في ذلك انه صلى الله عليه وسلم اخذ لنفسه وجها اخر
من الراى وهو ان يفعل امرا يقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا لم يبرى ساحته بالتبرية من غير
الحاح وهو الجزم ويوسف عليه الصلاة والسلام سلك مسلكا اخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله
عليه وسلم لم يلتفت لما التفت اليه من براة الساحة اكتفا بعلم الله واعتقاده لانه يبرى
ساحته من غير طلب منه لى هذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا وفي يوسف لغات بتثليث
السين مع الهمزة وعدمها وقال للذى قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وهذا من تواضعه ايضا
صلى الله عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا اقول
ذلك امرا لنفسى والبرية الخلق من برا بمعنى خلق لكن همزته متروكة كما في الذرية والنبى والخابية
وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته في قوله تعالى
ان اتبع ملة ابراهيم وسياتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى من غير تطويل
واعتساف وعن عايشة والحسن وابى سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض قدم
عايشة رضى الله عنها لانها ادرى بحاله عليه الصلاة والسلام في بيته ولذا عقبها بالحسن بن على
رضى الله عنهما لانه من اهل البيت ايضا وابو سعيد الخدرى رضى الله عنه كان يخدمه صلى الله
عليه وسلم فلذا خص هولاء ورتبهم الاقرب فالاقرب كان في بيته في مهنة اهله خبر بعد خبر او بدل
مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة ماخوذة من الامتهان واختلف في ايهما الافصح

والاكثر

والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه
ثابت بالوجهين يفلى ثوبه بيان هو وما بعده لما قبله لان هذا مما ينبغى ان يفعله اهله ويفلى بفتح المثناة
التحتية وسكون الفا يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضى
ان يكون في ثوبه صلى الله عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون تكريما له صلى الله عليه وسلم ولانه يتولد
من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا تنقيص لا ينبغى ان يقال
الا ان بعضهم نقل انه لم يكن الذباب يعلق عليه وان القمل لا يوذى بدنه تعظيما له صلى الله عليه وسلم وتكريما
كما تاتى بيانه قبيل فصل قد اتينا اكرمك الله فقيل المراد بنفى اذيته نفيه لانه من لوازمه وقيل انه كان فيه
ولكن لا يوذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روى ان ام حرام كانت تفلى راسه واللفظ شاهد لخلافه
نعم نفى اذاه مستلزم لنفيه لان اذيته بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاوه لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده
الاقذارية والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد لفليه تفتيشه لحرق فيه او تعلق شى به من شوك ونحوه وكل
ذلك للتشريع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل جاه من غيره لكثرة مجالسة الفقرا كما ياتى
لا يا باه فلى ام حرام لراسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده ويحلب شاته ويرقع ثوبه
بفتح اليا وسكون الرا المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط بالاول المناسبة ما
معه ورقع الثوب ان يضع فيما انخرق منه رقعة من غيره يسده بها ويخصف نعله اى يخرزها وفيه
انه تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو في قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة استعارة من هذا
واصل معنى الخصف الضم والجمع ويقم البيت اى يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس
ويعقل البعير اى يربطه من رجله بالعقال ويعقل بوزن يضرب ويعلف ناضحه بنون وضاد
معجمة وحا مهملة وهو البعير الذى يستقى عليه من النضح ويخدم نفسه اى يفعل ذلك كثيرا لا دايما
مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب فعل ذلك تواضعا
وتشريعا ويا كل مع الخادم الخادم متعاطى الخدمة ذكرا كان او انثى حرا او عبدا واكل الانسان
مع خادمه سنة قال القاضى زكريا في شرح الروض انه سنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه
فان ابى فليناوله مما ياكله ومن الغريب ما نقل عن الشافعى انه واجب للامر به في الحديث وفيه نظر
ويعجن معها الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجين من عمل النسا ويحمل بضاعته بكسر الموحدة
وهى ما يشتريه من السوق وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق وكذا كان داب الصحابة رضى الله عنهم ولا ينافيه احب البقاع الى الله المساجد وابغضها
اليه الاسواق لان المراد بغض ما فيها او النهى عن الجلوس فيها من غير حاجة وعن انس رضى الله عنه
بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله ابن ماجه
ان كانت الامة من اماء اهل المدينة بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله وان كانت لكبيرة وهى
مهملة او اسمها ضمير شان مقدر لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت اى تمسك يده الشريفة وتذهب الى اى محل تريده لاجل حاجتها حتى يقضى حاجتها

العمل
ويخدم نفسه

ويعلف ناضحه

وليس فيه افراط فى التواضع المذموم لان قضا حاجة المسلمين امر محمود ودخل عليه رجل
فاصابه من هيبته رعدة بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذا كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث
لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف ويضطرب فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك
امر من التهوين اى عد ما رايته امرا هينا غير صعب تخشى منه اى لا تخف ولا تفزع فانى لست
بملك من الملوك الجابرة الذين تخشى بوادرهم انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد هو
اللحم الذى يقطع ويجعل فى الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم
فكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال
السيوطى هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف قال دخلت السوق مع النبى
صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل فى حواشى الشمنى ذكر المص رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله عليه وسلم
للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال
ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطى فى فتواه قد رايت الذى ذكره المص فى معجم
الطبرانى الاوسط ومسند ابى يعلى وفيه انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولفظه عن ابى هريرة انه قال
دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة
دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل
فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه
اخوه المسلم فقلت يا رسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل فى السفر والحضر وبالليل والنهار
فانى امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه اخرجه من طريق ابى زياد الواسطى واخرجه احمد وفى سنده
ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى اقول انجبر ضعفه بمتابعته ومنه يعلم ان
تخطية ابن القيم لا وجه لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروى لا ما فى الاحيا من انه بثلاثة
وكونه صلى الله عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضى الله عنه وهو
محاصر ايضا والسراويل تذكر وتونث ولم يعرف فيه الاصمعى الا التانيث وجمعه سراويلات وهى
مصروفة فى النكرة عند سيبويه فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مونثة
على اكثر من ثلاثة احرف كعناق فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهرى من النحويين من لا يصرفه
فى النكرة ايضا لانه عنده جمع سروالة وانشد عليه من اللوم سروالة ومقبول ابن مقبل فتى فارس
فى سراويل رامح والعمل على الاول والثانى قوى انتهى ومن ثمه رد قول من قال انه ممنوع من الصرف
بالاتفاق وقول المحدثين انه لم يصح انه جمع فى الاصل كمصابيح الضبع فيعتبر فيه الجمعية الاصلية
قال ولذا ضطربوا فيه فقيل انه اعجمى معرب سروال حمل على موازنه فى العربية كمصابيح وقيل عربى
جمع سروالة تقديرا وهى لغة فى سراويل ويقوى عجميته انه لا نظير له فى العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقى
فى معرباته الا انه قيل انه معرب شلوار بالمعجمة والاشبه انه معرب شراوين اى بدل الراس لان سر
معناه الراس واوين معناه بدلى وقال صلى الله عليه وسلم للوزان اى الذى يزن الدراهم
وينقدها وهو الصيرفى زن فارجح اى زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان

بزيادة

بزيادة الكفة التى فيها الدراهم ولهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر
لانه من حسن القضا وكلام ابى حنيفة فى الهبة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما
فيها وذكر القصة بكمالها انما قال اى ابو هريرة رضى الله عنه راوى هذا الحديث فقال الوزان
هذه كلمة ما سمعتها من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والجفا فى دينك انك لا تعرف
نبيك وطرح الميزان ووثب اى قام بسرعة الى يد النبى صلى الله عليه وسلم يقبلها اى قام ليقبل
يده الشريفة لما راى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذب اى نزع صلى الله عليه
وسلم يده من يده وقال هذا اى تقبيل اليد امر تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل
منكم معاشر العرب او الناس وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم او لانه علم انه انما قبل يده لامر
دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه او صلاحه او شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله عنهم
يقبلون يده الشريفة ويد الخلفاء رضى الله عنهم وقيل لبعض المشايخ اتقبل يد المشايخ فقال انهم
رياحين الله فشموها بالتقبيل ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة السراويل ليحملها
بنفسه فذهبت لاحمله اى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعل اذا شرع فى الفعل
ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل
لانه يجوز تذكيره وتانيثه كما علم فقال اى النبى صلى الله عليه وسلم لابى هريرة صاحب الشئ
احق بشيئه ان يحمله بدل من شيئه اى احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم
واقتدى به الصحابة رضى الله عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون امتعتهم فى السوق كما فصله الغزالى
فى الاحياء فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم العدل مصدر معناه العدول عن الظلم
والجور ويكون بمعنى العادل فيستوى فيه الواحد وغيره ويجمع على عدول وامانته فى كل شئ
يحفظ قولا كان او فعلا او غير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به فى اموال الناس واحوالهم
وعفته فى نفسه بترك كل قبيح وترك السوال والنزاهة عن كل شئ وصدق لهجته اللهجة اللسان
والكلام وقد يقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معانى ما ذكر ولذا جمعها فى فصل فان
فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق امانة على ما سمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة
فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس آمن بمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة واعدل الناس
واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اى من ابتدا خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد اعترف
له بذلك محادوه جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادى والمخالف الذى له فى حد
وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال ومن يحادد الله ورسوله وعداه بكسر العين جمع عدو
او اسم جمع وهو فى الصفات وقد تضم عينه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق محمد بن
اسحق ابن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد فى مسنده والحاكم والطبرانى
وعن على كرم الله وجهه كان صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره قبل نبوته يسمى الامين لامانته وصدقه قوله
فى جميع الذى ائتمنه الله اياها والبا بمعنى مع اى مع ما جمعه الله من الصالحات التى عرف بها عندهم
وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه اى المطاع الامين فى هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم

تقبيل اليد

ن احواله بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة اى بسبب ما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة صح

وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلاة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون
لكونه عليه الكثير وفيه نظر ولما اختلفت قريش وتحازبت بالحا المهملة والزا المعجمة والبا الموحدة
اى صارت احزابا وفرقا لاختلاف ارائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما في السير انهم تحالفوا
اعتدوا للقتال ثم بدا لهم فتشاوروا واصح الا انه بعيد والنسخ المضبوطة خطا بخلافه عند بنا الكعبة
قال السهيلي كان بناوها خمس مرات الاولى حين بناها شيث ثم قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام والرابعة
حين احترقت في عهد ابن الزبير بنار طارت من ابي قبيس او بشرر طار من مجمر امراة ارادت ان تجمرها
فتعلق باستارها واحرقها فتشاور من حضرها في هدمها فهابوه وقالوا يصلح ما انهدم منها فقال رضى
الله عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له ان ياكل صلاحه ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها
حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام فامرهم ان يزيدوا في الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته
نارا افزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام
عبد الملك بن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا منافاة بينه وبين ما في التواريخ
من ان الخامسة بنا الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير رضى الله
عنهما وقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل في تاريخ مكة فيمن يضع الحجر الاسود في موضعه ويرفعه
بيده لما في مباشرة ذلك من الشرف والجار والمجرور متعلق باختلفت حكموا بفتح الحاء وتشديد الكاف
جواب لما اى رضوا بان يكون الحاكم في ذلك اول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم داخل
اذا فجائية اى فاجاهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب وميعاد منهم وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم
وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين او حين بلغ الحلم ولا شك في ان هذا كان قبل النبوة
والاول اصح فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به حكما في هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا
له ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لهم ايتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل بيت رجل فلما
فعلوا وضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس رضى الله
عنه ينقلان الحجارة له فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا
منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السما فقال ازارى فشد عليه ازاره لانه
نودى يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروى انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا
وعن الربيع بن خثيم رضى الله عنه بضم الخا المعجمة وفتح المثلثة وسكون اليا المثناة التحتية والميم
وهو الربيع بن خثيم بن عابد بن عبد الله بن موهب ابو يزيد الثورى ينسب الى ثور بن عبد مناة
ابن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروى عن ابن مسعود
وابى ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة بضع وستين
كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وفسر الجاهلية بقوله قبل الاسلام لانها تطلق
بهذا المعنى في الاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية
كما في النهاية على صفاتهم وان كانت في الاسلام كقوله في الحديث انك فيك جاهلية وحقيقتها الاول
وهذا معنى مجازى اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوى وهو النسبة الى الجهل مطلقا فيكون حقيقة والى هذا

نظر ابن حجر في شرح البخارى ويتحاكم بضم المثناة مجهول اى يتحاكم اليه قريش او العرب وقول الربيع هذا رواه
ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله عليه وسلم يدل على عدله وانصافه وقال النبى صلى الله عليه وسلم
والله انى لامين في السما وامين في الارض يعنى انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يأتهم قط
بكذب وجور في احكام وهذا الحديث رواه ابن ابى شيبة في مسنده عن ابى رافع وفيه دليل على جواز مدح
الانسان نفسه موكدا بالقسم واعادا امينا لاختلاف الامانتين حدثنا ابن سكرة ابو على الصدفى الحافظ
بقرائتى عليه وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم انه احمد بن الحسن بن
احمد بن خيرون الحافظ وان خيرون ممنوع الصرف قال حدثنا ابو على بن زوج الحرة تقدمت
ترجمته قال حدثنا ابو على السنجى تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا ابو محمد المروزى محمد بن احمد بن
محبوب راوى جامع الترمذى كما تقدم قال حدثنا ابو عيسى الحافظ هو الامام الترمذى كما تقدم
قال حدثنا ابو كريب بضم الكاف وفتح الرا المهملة ويا تصغير وبا موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن
العلا الهمدانى اخرج له الستة ووثقه النسائى وغيره توفى سنة ثمان واربعين ومائتين قال حدثنا
معاوية بن هشام القصار الكوفى الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذاك توفى سنة خمس وعشرين
ومائة عن سفيان الثورى فيما يظهر لا ان المزى والذهبى لم يقيداه عن ابى اسحاق عمرو بن عبد الله
الهمدانى السبيعى احد الاعلام عن ناجية بنون وجيم بن كعب القرى او الاسدى الثقة وتوقف ابن
حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبى في المغنى ما ادرى لماذا توقف فيه ابن حبان
انتهى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وهذا الحديث رواه الترمذى كما ذكره
المص وانفرد باخراجه من طريقين احدهما ما ذكره المص والثانية عن اسحاق بن منصور عن ابن
مهدى عن سفيان عن ابى اسحاق عن ناجية قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابى غنية
ان ابا جهل ابن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فيما قاله وهو سبب نزول هذه الاية فانهم لا يكذبونك
الاية ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر
بابى جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكنا نكذب
ما جئت به فنزلت هذه الاية وقرى يكذبونك مخففا ومشددا فقيل معناهما واحد
لانه يقال كذبته وكذبته واكذبته نحو فرحته وافرحته واختار ابو عبيدة قراءة التخفيف وهى مروية
عن على كرم الله وجهه وقيل معنى يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون
ما قلته ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كابخلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد
لا يكذبونك بحجة وبرهان قدح في كلام المص اشارة الى دفع التناقض في الاية فانه قال اولا انهم
لا يكذبونه ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء به من الايات وجاحد كلامه يكذب له ويجحدون
مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالبا وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه وقوله بعده
ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لا يكذبونك نفى تكذيبه مطلقا فاما ان يقال
في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك بالتشديد لا يحكمون عليك بان سجيتك الكذب

لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع شونك ما عدا قولك الذي جيت به من عند الله وهو
الايات فانهم يجحدونه وهذا مراد المص في استشهاده بهذه الاية او يقال المراد انهم لا يكذبونك
في الحقيقة ونفس الامر وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا
يكذبونك اذا امعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفي الاية كلام فصلناه في حواشي
القاضي البيضاوي وروى غيره اي روى غير الترمذي والصدق في هذا الحديث زيادة وزيادة
الثقة مقبولة لا نكذبك وما انت فينا بكذب اي معروف بالكذب في غير هذا وقيل ان الاخنس
بن شريق بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة وخا معجمة ونون وسين بزنة افعل التفضيل
وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الرا المهملة وقاف على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان
الحلبي وقال التلمساني انه حليف قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث
رواه ابو اسحاق والبيهقي عن الزهري واخرجه ابن جرير عن السدي لقي وفي نسخة اتى ابا جهل
يوم بدر وكان يوم الجمعة سنة اثنين من الهجرة في تاسع عشر رمضان فقال له يا ابا الحكم بفتحتين
وهذه كنيته القديمة ثم غلب عليه كنيته بابي جهل ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني
عن محمد جملة خبرية والمراد اخبرني عنه صادق ام كاذب يعني اصادق فحذفت الهمزة تخفيفا
والاستفهام حقيقي او تقريري فقال ابو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط هذا يدل
على انهم لا يعتقدون كذبه وسال هرقل عنه هرقل بكسر الها وفتح الرا وسكون القاف ويقال بالكات
الراين كسرتين بكلتيات وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي
قيل وهو ما ول ابا سفيان صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المولفة
قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكثرهم مالا وتوفي سنة اربع وثلاثين كذا سنة ثمان وثمانين
سنة في المدينة وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في اول باب في البخاري
وكان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص فلما قرا الكتاب
امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر مناديا ينادي
الا ان قيصر راض بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مغلوب على مملكتي
وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم
انه ليس قوله عن صميم قلبه ولكنه فنداوه بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بنا
على ظاهر قوله واه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موتة وواعدهم ان ياتيهم في العام المقبل وترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجي واخذت منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية
على نصرانيته وقوله فقال اي هرقل ابو سفيان هل تتهمونه بالكذب اي هل وقع في قلوبكم انه صدر منه
كذب في اقواله قال في الكشاف وهمت الشي اهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي والشي موهوم ومتوهم انتهى
وانما سالهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفا غيره بالطريق
الاولى قبل ان قال ما قال قالوا لا فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب
على الله وانما يقال انه يكذب لئلا تاثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يقول ما لا يقبل

وفي نسخة عند نام

هنه

منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا كذب فيه قال ما هو قال انه زعم انه خرج في ليلة من الحرم
الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال صدق اني كنت لا انام حتى اغلق
ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت ابوابه غير باب منها غلبني فاستعنت بمن حضرني فلم يمكنهم
تحريكه وقالوا انه سقط عليه البنا فلما اصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذي في زاوية منقوب فيه اثر ربط
فقلت ما حبس هذا الباب الليلة الا على نبي قد صلى الليلة في مسجدنا فقال قيصر يا معشر الروم الم تعلموا
ان بعد عيسى عليه الصلاة والسلام نبيا بشركم به عيسى وكنا نرجوا ان يكون فينا فجعله الله تعالى في غيرنا وهو
رحمة من الله يضعها حيث شا ولم يعتدوا بتصديقه هذا حتى يكون مؤمنا التلبيسه بما يخالفه قولا
وفعلا قلت وبهذا علم ان مربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسال ابا سفيان عنه صلى الله عليه وسلم
اسيلة اخرى مذكورة في اول البخاري وقال النضر بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة
بن الحارث القرشي في حديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة
بن كلدة بفتح الكاف بن عبد مناف القرشي وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبي صلى الله عليه وسلم
ببدر فقتله كافرا صبرا كما ياتي فرثته اخته قتيلة بابيات مشهورة اولها يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وانت موفق الخ وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف في اسلامها
وكونها صحابية قد كان محمد فيكم غلاما حدثا بفتحتين قال الجوهري حدث شاب فان ذكرت
السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والغلام الذي لم يبلغ او صار حاكم
فيكم اي اكثركم رضا وصبرا وافعالا مرضية واصدقكم حديثا واعظمكم امانة منصوب هو وما قبله
على التمييز وهذه شهادة العدو فما بالك بغيره حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب الصدغ ما بين
لحظ العين والاذن والشعر الذي فيه من اعلا العذار وجانب الراس كناية ما يبدو الشيب فيه
قبل غيره فكنى بذلك عن انه تمت رجوليته وكمل عقله صلى الله عليه وسلم بمجاوزته سن الشباب وهذا
اشد في الانكار عليهم وجاكم بما جاكم به قلتم ساحر اي قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدا مقدر اي هو ساحر
بدليل قوله لا والله ما هو بساحر وهذا منه غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقا فقتل صبرا
بالصفرا كافرا في منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عايشة رضي الله عنها وهذا
الحديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما والذي قال انه ساحر الوليد بن
المغيرة وسبب قول النضر المذكور ان ابا جهل لما اراد ان يرضخ راس رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحجر فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة فحل ففر هاربا ويبست يده على الحجر
كما سياتي فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم امر ما اتيتم فيه بحيلة بعد
قد كان فيكم محمدا الى قوله ما هو بساحر وقد راينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله
ما هو بكاهن وقد راينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم انه شاعر والله ما هو بشاعر وقد راينا
الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه
ولا وسوسته فانظروا في شانكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين
قريش وهو الذي جا بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ما جاء به محمد

دابة صح

ليس باحسن مما جئت به ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه واذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين في ايات اخر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما مست يده يد امرءة قط الا ملك
رقها وهذا من عفته عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها
وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التي ليست بمحرم فيعلم ذلك
من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل في ملك الرق لتملكه البضع وقد سمي بذلك في قول اسما
رضي الله عنها التزويج رق المراة فلينظر اين يضع رقها ولا ينافي هذا ما مر من ان الامة من اما المدينة
كانت تاخذ بيده عليه الصلاة والسلام فلا يدع يده من يدها حتى يقضي حاجتها لانه كان بحائل
من كمه او كمها وكلام عايشة رضي الله عنها هذا ورد في مبايعته صلى الله عليه وسلم للنسا فان بعضهم
توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حايل فقالت رضي الله عنها انما كان يقول لمن هاجر من المومنات
ما امره الله تعالى به في قوله يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فيبايعهن
على ذلك فمن اقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لايديهن وما ورد في المبايعة من امساك
ايديهن فان كان مدامن غير مصافحة فيها والا فهو بحايل لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم اتى
بثوب وضعه على يده وقال لا اصافح النسا وروي انهن كن ياخذن بيده من فوق ثوب وفي المغازي
عن ابان بن صالح انه صلى الله عليه وسلم كان في المبايعة يغمس يده في ما في انا، وتغمس المبايعة يدها فيه
وقيل انه صلى الله عليه وسلم بايع النسا بواسطة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكلام عايشة رضي الله
عنها يقتضي انه عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد وفي حديث علي رضي الله عنه
في وصفه عليه الصلاة والسلام اصدق الناس لهجة رواه الترمذي في شمائله وتقدم بيانه
لعصمته صلى الله عليه وسلم عن الكذب ولو سهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه في كل ما يقول
كمليناي وقال في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري لانه حيث اطلق الصحيح انصرف
اليه وهذا اولى ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وتقدم ضبطه على الخطا
والتكلم والكلام عليه الا ان الذي في البخاري في باب الادب ويلك بدل ويحك وقد فرق بينهما بان
ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعي انها تصغيرها وقيل
اصل ويل وي زيدت فيها اللام وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال لمن قال ليست قسمتك بعدل
وانه اختلف في اسمه وانه عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي او حرقوص بن زهير الخارجي او ذو الثدية
وقدم الكلام فيه مفصلا فتذكره قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه اعاد المص هذا الحديث وقد
تقدم بعينه لما فيه من عدالته صلى الله عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض عليه والامران من امور
الدنيا والمخير ان كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله وهو الظ والمراد بالاثم ما يودي الى وقوع
امته فيه لان الله لا يخيره صلى الله عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز
له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم في المهالك وقد تقدم تفصيله قال ابو العباس
المبرد وهو محمد بن زيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة في التواريخ وما نقله المص هنا عنه

و ويس ترحم

انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره عليه الصلاة والسلام ومباينة حاله لحال اهل الدنيا وما هم عليه
من اللهو فلا يرد عليه ما قيل انه لا فائدة فيه قسم كسرى ايامه بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم
اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو والاانه علم كسرى انوشروان الذي ولد في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم لانه اشهرهم واعظمهم فقال يصلح يوم الريح للنوم والتغطي حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع
ويوم الغيم للصيد الذي كان يتقيد به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاحش وسبيل
ويوم المطر للشراب واللهو لقلة المصالح فيه والسلامة من البلل والنظافة من الوحول والمراد باللهو
سماع الغنا ومنادمة الندما ويوم الشمس للحوايج وروي يوم الصحو اي خلو الجو من المطر والغيم
والمراد بالحوايج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس او جمع حايجة وانكره بعض اهل
اللغة وقد رده الجواليقي بانه ورد في كلام الفصحا كثيرا وفي الحديث اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه
فلا وجه لانكاره كما فصلناه في شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم للحوايج لعدم المانع فيه وما اشتهر
من انه صلى الله عليه وسلم قال ولدت في زمن الملك العادل كسرى قد قال الحافظ السخاوي والسمعاني
انه لا اصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن في وصفه بالعادل باس كما توهم فانه كان لا يجور على احد من رعيته
ولا يظلمهم في حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لا ينافي كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل
انه وصف بذلك لشهرته به ادعا منهم لا انه شهد له بالعدالة حقيقة وذكر قصته توطية لقوله قال
ابن خالويه بفتح اللام والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو
وفتح اليا وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي الاديب الهمداني دخل بغداد ثم انتقل
للشام وصحب سيف الدولة لتاديب اولاده واخذ العربية عن ابي بكر ابن الانباري والسيرافي
وتصدر للافادة وله تاليف جليلة في غرر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلاثمائة ما كان اعرفهم اي
الفرس الدال عليهم ذكر كسرى بسياسة دنياهم اي تدبير امورها لان هذا معنى السياسة لغة قال
فبينا نسوس الناس والامر امرنا   اذا نحن فيهم سوقة نتنصف وقول ابن كمال في رسالة التعريب
انه معرب خطا كما تقدم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون يعني انهم عرفوا
امر شربهم واكلهم وحركتهم وتقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما
اقتبسه كما قال الشاعر ومن البلية ان ترى لك صاحبا   في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة في ماله   واذا يصاب بدينه لم يشعر ويقرب ما قاله المفسرون نقلا عن ابن
عباس رضي الله عنه انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف
يغرسون ويبنون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء يعني انهم قسموا ايامهم لما
ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم قسم اوقاته وهو اكثر خيرا لعدم ضياع جزء ووقت من عمره فيما لا يعنيه
وشتان بين القسمين والقسمين وفي نسخة لكن بدون واو جزا لله اي لعبادة الله وتلاوة وحيه
وجزا لاهله اي لصالح اهله وبيته وجزا لنفسه مخصوصا باكله وشربه ونحو ذلك من اموره
الدنيوية وجزا في المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه وكذا روي ثم جزا جزاءه بينه وبين
الناس اي جعله قسمين قسما لخاصته نفسه وقسم الخاص به قسم له في نفسه وقسم ينظر فيه امور الناس

وحواليهم فكان صلى الله عليه وسلم يستعين بالخاصة من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراه رضي الله تعالى
عنهم ومن يقرب منهم على العامة من المسلمين ويقول للخاصة ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها اى
اخبروني وقولوا لي مايطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغني حاجته اما لعدم الجراة على كلامه لمهابته
صلى الله عليه وسلم او لعجزه عن الوصول الى ثم رغب في ذلك بقوله فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وهو يوم البعث والحشر وحيث يكون الناس كلهم في فزع
اى خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن
ابى هالة وامنه بالمد بمعنى جعله في امن من اهوال القيمة وعن الحسن بن على رضى الله عنهما كما رواه
ابو داود في مراسيله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد الاخذ مجاز
عن العقوبة من اخذه السلطان اذا حبسه وجازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف وسكون
الرا المهملة والفا التهمة واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل عبته
واتهمته فهو مقروف وفي نسخة بقذف بذال معجمة بدل الرا وكتب عليها صح ولا يصدق احدا
على احد اى لا يحكم بصدق مقالة صدرت من احد في حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضي عقوبة او حقا
من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله عليه الصلاة والسلام ولكن هذا ليس على عمومه
فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف بنور النبوة جلية الحال له وذكر ابو جعفر
الطبرى هو الامام محمد بن جرير الطبرى المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار
الى قوله برسالته الاتى عن على كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشئ وقد تقدم هذا
الحديث والكلام فيه وانما اعاده المص لغرض اخر وهو بيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللهو وان الله
عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهي قوله غير مرتين الخ مما كان
اهل الجاهلية يعملونه كما تقدم بيانه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
استحال الحائل الحاجز بين شئ وشئ كالمانع كما في قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال ابو عبيدة اى
يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثاني اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه
صلى الله عليه وسلم عنه ثم ما هممت بسوء اى صرفني الله قلبي عن ان يهم بسوء اى بقبيح شرعا كاللهو
حتى اكرمني الله برسالته اى حتى من الله على بابعثه وجعلني نبيا رسولا ثم بين ما هم به في المرتين
فقال صلى الله عليه وسلم قلت لغلام كان يرعى معي يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض
قريش في صغره وهكذا كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يرعون لغيرهم ايضا والغلام كان
اجيرا ايضا يرعى معه ويرافقه في البادية وفي هذا وفي هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية
الخلق كما ورد كلكم راع ومسؤل عن رعيته مع ما فيه من الانس بالوحدة والخلوة وفي الحديث
ما من نبى الا رعى الغنم ولا انت يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمة
ان الغنم جاهلة صعبة السياسة فكان ليانس بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس
درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وانكره لانه لم يسمع به ثمه وفي الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها
خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نساب بينهم وقيل غير ذلك وعندى

انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم في المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها
وفي هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله لو ابصرت غنمي لي اى لو حرستها
وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك حتى ادخل مكة فاسمر بها سمر يسمر كقتل يقتل والسمر
التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهى السواد القليل فسمى به حديثهم ليلا لجلوسهم
له فيه قال كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر كما يسمر الشباب والشباب
بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له كالعقود والشاب حديث السن كالفتى
فخرجت من البادية التى فيها الغنم حتى لذلك جئت اول دار من مكة غاية لمجيئه من الرعى
سمعت فيها عزفا بمهملة وزاى معجمة وفا بزنة ضرب وهو ما يلهى به الانسان وفي مختصر العين
العزف اللعب بالمعازف وهى الملاهى وواحدها عزف على خلاف القياس ومعزف والمعزف الطنبور
او الدف وقيل كل لعب عزف بالدفوف جمع دف بضم اوله وفتحه وتشديد الفا وهو الذى يضرب
به النسا وهو معروف ويسمى عند العامة دارجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال كان في الدف
الذى يفصل زماردف بتغير حلجله والذنا ميرلعرس بعضهم فجلست انظر ما يلعبون به
والذين يلعبون فضرب على اذني فنمت بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله
على اذنه ان يغشاه النوم واصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة
المغطية لمن تحتها فكان اذانهم تحت غطا محجوبة عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة
التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على اذانهم في الكهف وفيه لطفها
لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له صلى الله عليه وسلم فما ايقظني
الا مس الشمس اى مس حرها فكانها مسته حتى حرقته وحسنه حتى نبهته ففيه استعارة ولطف
كما في قول ابن المعتز والريح تجذب اطراف الغصون كما اقصى الشقيق الى تنبيه وسنان
وكما قيل نمت تحت اذيال النسيم حتى القت على الشمس رداها فرجعت من المكان
الذى ضرب فيه الدفوف ولم اقض شيا من قضى وطره اذا كان ما يريده يعنى انه صلى الله عليه وسلم
جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيا من ذلك لعصمة الله له صلى الله عليه وسلم
ومجرد همته بذلك وارادته لا حرج فيه والتفاته بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شئ من ذلك
وكونه محرما في شرع من قبلنا وهو صلى الله عليه وسلم متشرع به غير مسلم واعلم ان المعازف حرام في ملتنا
للنهى عنها في الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله عليه وسلم ليكونن في امتى اقوام يستحلون الخمر
والمعازف واختلف في بعضها فمنهم من جوز الدف في العرس ومنهم من جوز ضرب العود لتسلية
الاحزان كالماوردى وكان الاستاذ الشيخ محمد البكرى رحمه الله نفعنا به يقول عطروا مجلسنا
بالعود الماوردى لكنه قول ضعيف وفي منظومة الدميرى رحمه الله ونغمات العود في الاحيان
قالوا تزيل اثر الاحزان فاجزم على التحريم اى جزم والحزم ان لا نتبع ابن حزم فقد ابحث عنده
الاوتاد والعود والطنبور والمزمار ثم عراني اى طرا على وعرض لى وغشيني مرة اخرى في وقت اخر
مثل ذلك من الهم بالسماع والذهاب له ثم لم اهم قال الشمنى هو بضم الها وعليه اقتصر الجوهرى رحمه الله

واختلف فيه مجنوزه بعض الشافعية وكرهه مالك صح

لا اضطراب اصوات

مما قصدته من المعصية

بعد ذلك بسوء اى عافيه اثم فسماه سوالانه يكرهه ويولمه فصل واما وقاره صلى الله
عليه وسلم اى سكونه وطمانينته ورزانته يقال وقر يقر وقارا ووقارة وفسره هنا بالحلم وهو غير مناسب
هنا كما لا يخفى ويجى الوقار بمعنى العظمة كما فى قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا واصله من الوقر وهو الثقل
وصمته اى سكوته وهو من الوقار وتؤدته بضم التا الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وهى التانى
يقال اتاد فى فعله اذا تلبث ولم يعجل وتاوه منقلبة عن واو وحسن هديه بوزن ضرب بمعنى
سيرته وطريقته وسمته وسلوكه فحدثنا ابو على الجياني بالجيم وتقدم ضبطه وترجمة الحافظ اجازة
قال ابن فارس فى مجمله وهى من جواز الماء الذى تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازنى
اذا سقاك ماء لارضك وماشيتك قال القطامى وقالوا فلان قيم الماء فاتجه عبادة ان
المستجيز على قترى اى على ناحية وجزت الموضع سرت فيه واجزته خلفته واجزته بعدته قال امرء القيس
ولما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبث ذى قفاف عقنقل وقوله حتى يقال اجيزوا آل
صوفا فانما مدحهم بانهم يجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح قلت فللمجيز على هذا ان
يقول اجزت فلانا مسموعاتى او مروياتى فيعديه بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية
او نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك
هو المعروف فيقول اجزت لفلان رواية مسموعاتى مثلا ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتى
فعلى سبيل الحذف الذى لا يخفى نظيره انتهى اقول اعلم ان اصل الاجازة فى كلام
العرب قديما كما ذكره اهل اللغة الاذن فى الانصراف ولما كان من ياخذ عن شيخه ينصرف عنه
اخذت منه كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من جاز المكان اذا تجاوزه
ومر عليه ثم عدى بالهمزة للمفعول الثانى وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسا
ومعنى اجازه اذن له فى الجواز والمرور ثم استعمل فى مطلق الاذن وشاع حتى صار حقيقة
فيه فمعنى اجازة الشيخ اذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعت وكذا الجائزة بمعنى
العطية ليست محدثة كما قال الحافظ ابن حجر الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطى كانه ياذن
لمن اعطاه فى الانصراف عنه ولا يختص بالماء كما يوهمه كلام المجمل المتقدم وهو الذى
غر ابن الصلاح فقوله ماخوذ من جواز الماء لا وجه له بل من اجازه اذا جعله جايزا ثم نقل
لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين انه يجوز به عن معنى لفظ اخر وما بينهما مخالفة فى التعدية
فيجوز حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه
لواحد بحرف وبدونه فيحمل على اذن واجاز من غير تكلف وعارضت بكتابه اى
قابلت نسختى بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين فى مصطلح
الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له فى يده كتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائى بكسر
الدال المهملة مشددة وتخفيف اللام المفتوحة ثم الف ممدودة ويا مشددة ووجد فى بعض النسخ
مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها يا نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو
وهو ابو العباس احمد بن انس العذرى المعروف بابن الدلا من مدينة يا نسبة قال اخبرنا ابو ذر

ووقطيعته صح

نسبة الى دلا جمع دلو وقال البرهان
الحلبى لام مشددة صح

الهروى

الهروى تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروى قال اخبرنا ابو عبد الله الوراق
ابو الحسن عبد الله محمد ابن على الانطاكى المعروف بابن الفيور الوراق قال حدثنا اللؤلؤى
ابو على محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابى داود قال ثنا ابو داود سليمان بن
الاشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال حدثنا عبد الرحمن بن سلام بفتح السين المهملة
وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وابو محمد بن سلام البغدادى الثقة اخرج له اصحاب
السنن الاربعة قال ابن حزم توفى سنة اربع وثلثين ومائة عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب
ويقال اهيب بالهمزة وهو بدل قيلسى وهو انصارى مولى لزيد بن ثابت وهو يروى عن خارجة
واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث وقال الذهبى لا يعرف من هذا كما فى الميزان سمعت
خارجة بن زيد هو خارجة ابن زيد بن ثابت الانصارى المدنى التابعى احد فقهاء المدينة السبعة
وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفى السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله
عنهم وقيل ابو سلمة بن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ثم
ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما خص هولاء لاجماع الناس على رايهم وانتهائهم لفتوا هم لمعرفتهم
بالفضل وان لاح حتى كان لا يقضى فى امر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان
اسماهم اذا علقت على محموم برى واذا وضعت فى البرلم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل
فى قوله الا كل من لا يقتدى بايمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجة فخذهم عبيد الله عروة قاسم
سعيد ابو بكر سليمان خارجة وهذا الحديث من مراسيل ابى داود يقول كان النبى صلى الله عليه
وسلم اوقر الناس فى مجلسه اى اعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم ويلاطفهم يعنى ان هذا
كان عادته ودابه صلى الله عليه وسلم بحيث لا يصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل
فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقرى
الضيف لقرينة شايع ولكثرته عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه احد كابن جنى فى كتاب
الخصايص فان اردته فانظره لا يكاد يخرج شى من اطرافه اى اطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه
مبالغة اى لا يخرج ولا يقرب من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو اخصر ويخرج بفتح اوله مضارع
خرج يخرج كقتل يقتل وشى يقتل وشى فاعله او بضم مضارع اخرج وشيا مفعول الا ان جلب النسخ
على الاول وروى ابو سعيد الخدرى هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنه وقد تقدم
كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله
عليه وسلم محتبيا وفى رواية بثوبه بدل بيديه والاحتبا بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه
او عمامة ونحوه والحبوة بضم الحا وكسرها ويقال حبية وجبية ايضا ويقال الاحتبا حيطان
العرب لانهم اهل برارى لا حيطان لهم يستندون لها فالاحتبا قايم مقامها وليس هذا معارضا لما
ورد فى الحديث من انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الاحتبا فى ثوب واحد اذ النهى فيه لم يرد عن الاحتبا
وانما ورد عن كونه فى ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته واما قوله واذا احتبى

روى عنه ابو داود والنسائى
وقال لا باس به قال حدثنا
محاجر بن محمد عن عبد الرحمن
بن ابى الزناد هو عبد الله الاعور المصيص
الحافظ الثقة صح

بخلاف ما اذا خلا مع اهله
او مع خاصته فانه ينبسط
معهم صح

وهو استعمال

ن ونهى صح

قربوسه بعنانه علك الشكيم الى نطاف الزاين فاستعات وتحمل عن الاحتبا يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يودى الى النوم وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذى فى شمائله وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه رواه مسلم وابو داود انه صلى الله عليه وسلم تربع اى جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره وركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا فى خارج الصلاة كما فى الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو فى الصلاة كما صرح به الفقهاء واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله عليه وسلم لها فيه نظر وربما جلس القرفصا بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على اليتيه كجلوس المحتبى بيديه من غير احتبا كما يدل عليه ما بعده وقال الفرا اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت وهو اى جلوسه صلى الله عليه وسلم القرفصا ورد فى حديث قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام بنت مخرمة العنبرية كما فى المقتفى وقال الشمنى العدوية وقيل العنبرية وهو الصحيح وفى حديثها انها رات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصا وفى رواية فلما رات رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع فى الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا فى رواية الترمذى ومسلم التى ذكرها المصنف كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالروية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهى علمية ورعدتها من مهابته صلى الله عليه وسلم لا من تخشعه وكان صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا مروى عن عايشة رضى الله عنها يعرض عن من تكلم بغير جميل لا يرضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضى له صلى الله عليه وسلم وهذا منه وقار ايضا وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه صلى الله عليه وسلم لا يقر على مثله وكان ضحكه تبسما بدون قهقهة لشدة وقاره صلى الله عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى تظهر منه السرور ويبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة او زيادة فيه على ما عهد منه او هو نادر لا يعتد به وكلامه مفصلا بفا وصاد مهملة اى فاصل بين الحق والباطل او مفصل لتمهله فيه قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل لا فضول مصدر اى لا زيادة فيه وقيل انه فى الاصل جمع فضل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل فى النسبة له فضولى ونسب للجمع ولا تقصير فيه حتى يخل بفهم السامع وكان يضحك اصحابه عنده صلى الله عليه وسلم التبسم توقيرا له صلى الله عليه وسلم واقتدا به لتخلقهم باخلاقه وتادبهم بادابه مجلسه مجلس حلم بكسر الحا وسكون اللام وفى نسخة حكم بضمها مع الكاف وحيا منه ومن اصحابه وخير لاحسانه ولطفه وتعليمه وامانة يامن المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون افشاه كما ورد فى الحديث المجالس بالامانة لا ترفع فيه اى فى مجلسه الاصوات لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى وما كونه وقع مثله بحضرته فى قصة الافك فنادر لا يعتد به ولا تؤبن فيه الحرم بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتؤبن من ابنه يابنه اذا عابه ورماه بقبيح اصله الابن وجمعها ابن العقدة فى النبى تعقدها وتعاب بها ووقع فى بعض

الحواشى

دلجى

الحواشى تؤبر بالرا بدل النون وفسره بما ذكر على انه ماخوذ من الماٰبر التى واحدتها مئبرة او من ابرة العقرب اذا لدغته بابرتها وهى اخر عقد ذنبها وهو تصحيف كانه وجده فى بعض النسخ فاتبعه والمذكور فى كتب اللغة كالنهاية والجوهرى وغيرهما هو الاول وصرح ابن فارس فى المجمل بان الحديث مروى هكذا والحرم جمع حرمة وهى كل ما يحرم هتكه واما استعماله بمعنى المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النسا لانه ورد فى الحديث نهيه صلى الله عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفى حديث الافك اشيروا على فى اناس ابنوا اهلى انتهى يعنى انه محفوظ من الرفث ولغو القول فهو مرن وقار ايضا لقوله اذا تكلم اطرق جلساوه اى طاطوا روسهم توقيرا له صلى الله عليه وسلم منصتين لكلامه كانما على روسهم الطير وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش لان الطير لا تكاد تقع الا على شى ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة فى رياض مجلسه كما قال فى البردة كانهم فى ظهور الخيل نبت ربا من شدة الحزم لا من شدة الحزم وقلت فى المقصورة كانما الطير على روسهم من كل غصن فى ربا المجد نما والطير جمع او اسم جمع لطاير وهو معروف وفى صفته صلى الله عليه وسلم فى مشيه وهو خبر مقدم وقوله يخطو تكفا مبتدا لانه اريد به لفظه فهو كقوله لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اى قيل فى وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المعتل اذا مد رجله ومشا والخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة وتكفا بفتح المثناة والكاف والفا المضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمز وبه روى فان اعتل كسرت الفا وكان باليا كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كمشى المختال والصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه كما وقع يدل عليه قوله كانما ينحط من صبب اى من علو لا تمايل فانه غير مناسب وقد ورد فى حديث ابن ابى هالة انه صلى الله عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى مشيا تعلقا اى يرتفع عن الارض بجملته وروى تقلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو دال على التثبت والشجاعة وهكذا كان اولوا العزم عليهم الصلاة والسلام ويمشى هونا بفتح الها وسكون الواو اى برفق ولين من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال تعالى يمشون على الارض هونا قال مجاهد بالسكينة والوقار كانما ينحط من صبب بفتحتين اى ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفى رواية كانما هو من صبوب بالضم والفتح وهو ما يصب من ماء ونحوه اى لم يكن صلى الله عليه وسلم يستعجل واما قول ابى هريرة رضى الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا نجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوته صلى الله عليه وسلم حتى لا يلحق مع تثبته وتمهله وفى الحديث الاخر اذا مشى مشيا مجتمعا اى ينقل اعضاوه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لراسه الشريف وبدنه فهو صلى الله عليه وسلم فى مشيه قوى غير مسترخ يعرف فى مشيته بكسر الميم وفتحها انه غير غرض بفتح الغين المعجمة وكسر الرا المهملة والضاد المعجمة اى غير قلق ولا ضجر ولا ملل ولا وكل بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذى يكل امره لغيره وحكى شمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمسانى والدلجى وهو انسب هنا للموازنة لما قبله وفسره بكسلان وقوله اى غير ضجر ولا كسلان يعينه فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب

وضجر لحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الغم
ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى سباق كقوله انى ضجرت الى تناصف وجهها
غرض المحب الى الحبيب الغايب وليس مرادهنا وقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه
رواه البخارى واصحاب السنن ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم والهدى
بدال مهملة بوزن الرمى السمت والسيرة والطريقة والحالة التى يكون عليها وهذا الحديث
وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا ساير الاحاديث المتعلقة بالشمايل
فان مثلها لا يقال من قبل الراى وقد روى مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود رضى الله عنه اشبه الناس
هديا بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا عمر ابنه رضى الله عنهما فلذا كان الصحابة
رضى الله عنهم يتشبهون به فى هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث
طويل قال ابن قرقول وروى بضم الها وفتح الدال ضد الضلال وعن جابر بن عبد الله رضى الله
عنهما اخرجه ابو داود والامام احمد فى الزهد كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل
او ترسيل كذا فى النسخ باو اشارة الى انه روى بكل منهما على حدة وفى المصابيح بالواو لتقارب
معناه فالعطف تفسيرى فلا منافاة بينهما كما قيل اى يبين الكلام من غير عجلة ونحوه حتى
يسبق فهم السامع وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة فالترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو
المفلج كالاقحوان قال ابن ابى هالة المتقدم ترجمته كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع اى
يقع على اربع خصال فيه على الحلم اى بيسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضى المواخذة والحذر
اى الاحتراس من كلام ربما ادى لامر يخشى منه والتقدير اى يقدر صلى الله عليه وسلم فى نفسه
وسكونه ما يليق به وبغيره والتفكر فى مصنوعات الله ونحو ذلك قالت عايشة رضى الله عنها
كما رواه الشيخان عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه
اى لو اراد عده عده بسهولة او لو عد حصره بحيث لا يفوته منه شى لقلته وتثبته وعدم سرعته
فيه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة الطيب كل ما يتطيب به من بخور ومسك
وزعفران ونحوه والرايحة الحسنة تشمل رايحة غيره كالريحان وساير الزهور العطرة ولذا
كان صلى الله عليه وسلم لا يرد هديتها ويستعملها كثيرا فى اكثر اوقاته لملاقاة الملك فانها تقوى
الحواس والملايكة عليهم الصلاة والسلام تحبها وتكره الرايحة الخبيثة بعكس الشياطين
ويحض عليهما بضمير التثنية للطيب والرايحة وفى نسخة عليها فالضمير لها لانها المقصود
من الطيب لا لانها اعم كما قيل التغاير هما اى كان صلى الله عليه وسلم يحث الناس ويحضهم
على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوايد ولحضور الملايكة الحفظة والكتبة عندهم وللاقاتهم
له بما يحبه ومن مروة الانسان نظافته وطيب رايحته ويقول حبب الى من دنياكم
النسا والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث
الموجودة فى التفاسير غير ثابتة عن اكثر المحدثين وما فى عطف جعلت فان محبة النسا
من هدى الانبيا عليهم السلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله عليه وسلم من قوة الجماع

ن ما ليس فى غيره وحصل فضلت على الناس
باربع بالسماحة والشجاعة وقوة الجماع صح

وشدة

وشدة البطش وكان فيه صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه
قوة مائة رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث
اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه عليه الصلاة والسلام الذريرة وهو طيب يجى من الهند
معروف مركب وتقدم انه قال حبب بالبنا للمجهول لان تلك المحبة انما جعلها الله فيه طبيعية لا شهوانية
وعلى تسليم رواية ثلاث اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب
والعرب تفعله كقوله كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها او الثالث الصلاة وقرة
عينه صلى الله عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها ويكون تغيير العبارة اشارة لمغايرتها
لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم ومر الكلام
فيها وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشرى والغزالى فى الاحيا وكذا المص تبعا لهم وقد افردنا هذا
الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه ايضا النساى والحاكم بلفظ حبب الى من دنياكم النساء
والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة من هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى فى مسنديهما وابو عوانة
فى مستخرجه والطبرانى والبيهقى واخرون كالحاكم فى مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت
وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه ابن عدى فى كامله وقال العقيلى انه ضعيف ومن مروته
صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب المروة من المرء وهو الانسان فهى بمعنى الانسانية
ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك ما يخل به فارتكاب ما يكرهه الصاحب مخل بالمروة
والنفخ فيما ذكر اما للتبريد او ازالة قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون
النفس متغيرا فيوثر فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ما عليه باراقة وخلال ونحوه
ونحوه ولذا نهى عن التنفس فى الاناء حال الشرب واما ما ورد من انه عليه الصلاة والسلام كان
يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب وينحى الاناء ويتنفس خارجه
فانه يستحب عدم العب والقطع فى الشرب وقد ورد ان النفخ فى الطعام يذهب البركة منه كما
ورد ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه وفى لفظ غير ذى بركة وليس المراد بارادة نفخه
حتى يبرد بل اكله باردا بان يصبر عليه حتى يبرد فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه
لا يلتذ بمضغه وبلعه او انه لشدة حرارته ينهضم سريعا فلا يشبع شبع غيره ومن مروته صلى الله عليه
وسلم الامر بالاكل مما يلى كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لان امه ام سلمة رضى الله عنها زوجته
صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سم الله
وكل بيمينك وكل مما يليك اى لا من الوسط ولا مما يلى غيرك فهذا امر منه صلى الله عليه وسلم
بذلك وورد مثله فى احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة فى وسط الطعام فكلوا من حافته
او من حافتيه وهذا امر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ تاج الدين
السبكى من الفوايد الفقهية فى هذه المسئلة التى لا تكاد تعرف لان الشافعى نص فى الام
فى الجزء السادس عشر فى باب النهى عن اكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله

ن فى ستة وفى رواية له صح

اثم ان كان عالما بالنهى و لعله اذا علم عدم رضا صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن الاكل
من ذلك بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما فى حديث الدبا انه صلى الله عليه وسلم جعل
يتبعها وهو ايضا فى غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها من اى جانب قال بعض المدققين واليه
الاشارة بقوله و فاكهة مما يتخيرون وفيه لطف خفى والامر بالسواك امر ندب وشذ بعض فاوجبه
فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود الذى يستاك به وللفعل وهو الاستياك والمراد الثانى او الاول
بتقدير مضاف اى استعمال السواك وعده من المروة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم والانقا بكسر الهمزة
وسكون النون وقاف بعدها همزة من انقاه اذا نظفه كنقاه البراجم بيا موحدة وراء مهملة والف وجيم
جمع برجم او برجمة بضم البا والجيم وهى مفاصل الاصابع التى بينها والسلاميات من ظهر الكف التى ترتفع
اذا قبض الانسان كفه فهى المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هى مفاصل الكف كلها والانقا جمع جمع
النجع وهى اصول الاصابع المتصلة بالكف والرواجب براء مهملة وواو والف وجيم وبا موحدة جمع
راجبة على القياس و قيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهى المفاصل التى تلى الانامل وقيل هى مفاصل
اصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات
سلامى بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله فى كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبى بان
البراجم العقد المتشنجة فى ظهور الاصابع قال وهى مفاصلها ونقل عن ابى عبيد ان البراجم والرواجب
جميعا مفاصل الاصابع كلها وهى اللايق بكلام المص فيتنزل عليه لا على ما فى الصحاح من ان البراجم مفاصل
الاصابع التى بين الاشاجع والرواجب وهى رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه
نشزت وارتفعت والراجبة فى الاصابع واحدة الرواجب وهى المفاصل التى تلى الانامل ثم البراجم
ثم الاساجع التى تلى الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التى تلى الكف خارجة اذ هى على ما فيه غيرهما وعند
ابى عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنقى كما تنقى التى بين الانامل والتى بينهما كما قيل واستعمال
خصال الفطرة الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد اى حلق العانة بالحديد وقص الشارب
وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم رحمه الله المضمضة واعفا اللحية والاستنجا وابو داود
الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما فرق الراس كما تقدم تفصيله المغنى عن اعادة
والفطرة بكسر الفا معناها الخلقة كما قال تع فطرة الله التى فطر الناس عليها والمراد السنة التى التزمها
النبى صلى الله عليه وسلم كما امر **فصل** واما زهده صلى الله عليه وسلم فى الدنيا الزهد معناه
ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك
فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض
وصف اوليائه به فضلا عن انبيائه عليهم الصلاة والسلام لان الدنيا لا تساوى عند المتخلقين
باخلاق الله جناح بعوضة وما بال اعظم ملوكها بعض منها بل اقل قليل من باقيها فعنده معنى
الزهد ترك ما يرغب نفسه فيه فمن لا رغبة له فى شئ منها لا يسمى زهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا
او يترك ما من شانه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالى فى الاحيا فى وصفه باعلى طبقات الزهد
نظرا الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فلم ينفه للحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه

ن وقيل ما بين البراجم والسلاميات
وقيل ظهور السلاميات صح

ابن الحنبلى

به نظرا الى الثانى واما طلبه صلى الله عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فليس لرغبته فيها بل لدفع
ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافى الزهد ايضا واليه يشير صاحب البردة بقوله
واكدت زهده فيها ضرورته ان الضرورة لا تعدو على العصم ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال
ابن المبارك لما قيل له يا زاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها
فائدة قال ابو يزيد البسطامى بفتح البا قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال ما علامة الزهد عندكم
فقلت اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت فما الزهد
عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا فقد تقدم من الاخبار التى فى صفاته فى اول الباب
وفى اثنائه اى فى خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة ومعناه ما انثنى
ودخل بعضه فى بعض هذه السيرة اى هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله عليه
وسلم والمراد سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته ما يكفى طالب السيرة ويغنى عن اعادته هنا
وحسبك من تقلله اى يكفيك فى معرفة تقلله اى قنعه بالقليل منها اى من الدنيا لزهده عليه
الصلاة والسلام فيها واكتفائه فى ضروريانه بالامر الزهيد القليل وهذا لا ينافى زهده واعراضه عن زهرتها
اصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويسكن الثانى اى
تركه صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته فى الرباعيات من حرصك
بالعنا كم تشتغل والعمر مضى فما يفيد الامل ما زهرة هذه الحياة الدنيا للفوز باغلى المنا تحتمل
وقد سيقت اليه اى ساق الله اليه صلى الله عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن
منها بحذافيرها اى بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اى جميعه بحيث لم
يبق منه شئ جمع حذفور او حذفار وهو الناحية وفى النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالى فكنى به
عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية
القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم وترادفت عليه فتوحها اى تتابعت
وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنايم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث
لو اراد توسع فيها وانفق واقتطف زهرتها فلم يرض واكتفى باقل قليل منها والجملتان حاليتان
او معترضتان هى المبتدا وخبره افادتا كمال زهده فزهده ابلغ زهد وادوم عفاف اى كافيك
مما ذكر حال حصول ما ذكر الى ان توفى بالبنا للمجهول اى حضرت وفاته عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودى اى والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر تانيثها واليهودى
كان يسمى بابا الشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة رضى الله
عنها وانما عامله صلى الله عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله عنهم واعلمهم بضرورته وهو
ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل الذمة
فى نفقة عياله فى التعليل كقوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة عذبتها والعيال
اهل البيت ومن تلزمه نفقته والذى اقترضه صلى الله عليه وسلم ثلثون صاعا وروى عشرون
صاعا من الشعير وكان فى حال اقتراضه وهو يدعو ويقول كما رواه الشيخان اللهم اجعل

ن صلى الله عليه وسلم لانه من كان هو
حالم وزهده صح

لانه لم يحضر اذ ذاك منهم
من يقترض منه و لانه لو طلب
صلى الله تع منهم صح

رزق ال محمد قوتا القوت كل ما يقوت به الانسان من الطعام اي اجعله بقدر ما يسد الرمق
من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله عليه وسلم مات وله حصون واراض وعنده مما افاء الله
عليه ارض خيبر وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به صلى الله عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن
درعه على اصوع شعير واجاب عنه ابن الصلاح في فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا
لم تورث عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان في ملكه وقد اعده لمصالح
المسلمين واخرج ما يحصل منها في ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار
صلى الله عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز ان يقال في حقه عليه
الصلاة والسلام انه فقير كما مر واقول هنا دقيقة وهي ان رياضة النفس بالجوع
تصفي الذهن وتقوي الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون
بذلك ولما لم يكن في الدين المحمدي لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله عليه وسلم واختاره لنفسه
خاصة وابرزه بصورة الفقر لئلا تقتدي به امته فيه ولمحبته لذلك طلبه من الله له ولاهله فافهم
فانه دقيق جدا حدثنا سفيان ابن العاص هذا الحديث رواه مسلم والبخاري وسفيان هذا
هو ابن سكرة لان المص سمع منه صحيح وليس هو الغساني لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة
والحسين ابن محمد الحافظ بن عيسى قاضي سبتة شيخ المص احد الاعلام وقد اكثر المص الرواية عنه
توفي في جمادى الاخرة سنة خمس وخمسمائة والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن
عمر قد تقدمت ترجمتهما قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي بفتح الجيم
نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال حدثنا ابن سفيان
ابو الحسين بن الحجاج مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال حدثنا ابو بكر بن
ابي شيبة تقدم ترجمته قال حدثنا ابو معاوية محمد بن حازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد
الائمة الاعلام الا انه كان مرجيا روى له الستة وتوفي سنة خمس واربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة
في الميزان عن الاعمش ابو محمد سليمان ابن مهران الكاهلي احد الاعلام روى عن انس وابن ابي اوفى
وغيرهما وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلاثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين
سنة ومات في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن ابراهيم
بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعي الكوفي الفقيه الزاهد راس عصره راى عايشة رضي الله
عنها واخرج له الستة وتوفي سنة ست وتسعين عن الاسود بن يزيد النخعي العابد حج ثمانين مرة
وصام حتى اخضر جلده وكان يختم القران في كل ليلتين وتوفي سنة اربع او خمس وسبعين
وهو ثقة اخرج له الستة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة ايام تباعا اي متتابعة متوالية من خبز بر كان او شعيرا وفي نسخة من خبز بر حتى مضى
لسبيله اي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل منه القبر وفي رواية اخرى
رواها البخاري من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء الدنيا وترفها ونعيمها لاعطاه الله عز وجل
ما لا يخطر بالبال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكر وتصور

اي يعطيه منها كل امر نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمه وكونه لم يعهد
مثله حتى يعرف وفي رواية اخرى رواها مسلم ما ترك اي ما خلف تركة رسول الله صلى الله
عليه وسلم دينارا ولا شاة ولا بعيرا وفي رواية ولا شيئا ولذا قال عبد الله بن ابي اوفى
ما اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته لانه لا مال له عنده يوصي به وانما اوصى بكتاب
الله وادعاء الشيعة انه اوصى وان عليا كرم الله وجهه وصي لا اصل له ولم يثبت وفي رواية
في الصحيحين ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز حتى لقي الله عز وجل وفي البخاري
ما شبع ال محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه
روايات كثيرة متقاربة المعنى وانه ما جمع بين غداء وعشاء وفي رواية من خبز وزيت وفي رواية
ما اكل كلتين في يوم قيل وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع لاهله قوت سنة وانه
ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من الغنم والف بعير ونحوه كما مر وان اصحابه كابي بكر وعثمان
وطلحة كان لهم اموال كثيرة رضي الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله عليه وسلم اموالهم وانفسهم
واجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لا لضيق اليد
وعن عايشة رضي الله عنها من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا
شيئا من التمر والودك وروي لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحوار كثير منهم كانوا في ضيق
قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنايح فلما فتحت بني النضير وما بعدها ردوا عليهم اقول
هذا ينافيه ما مر من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة زالت بعد الهجرة
فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله وما قاله لا يسمن ولا يغني من جوع وفي حديث
عمرو بن الحارث الذي رواه البخاري ما ترك اي ما خلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله الا سلاحه وبغلته
وارضا جعلها صدقة هذا بعض حديث اوله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما
ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله في السير فانهم قالوا كان له صلى الله
عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها اسم ودروع سبع وقسي ست وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاي
اربعة ومغفرات وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة وراية بيضاء او صفراء وكان مكتوبا على راياته
صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الميزان انها لم تكن الا بيضاء ولم يبين ما وجد منها
عند موته واما بغلته صلى الله عليه وسلم فهي الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت بعده عليه
الصلاة والسلام حتى ذهبت اسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة
معاوية رضي الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل عليها واما بغلته فضة فوهبها لابي بكر الصديق
رضي الله عنه والارض المذكورة فدك والنضير وارض بخيبر وهي مفصلة ومعنى كونها صدقة
انه وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ منها نفقته ونفقة
عياله بقدر الحاجة ويتصدق بباقيها فكل ما عنده عليه الصلاة والسلام كان مرصدا لا ملكا فلذا
لم يورث عنه كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام واما قوله يرثني ويرث من ال يعقوب فالمراد منه
انه يرث علمه وحكمته وشرفه كما هو جوابه وضمير جعلها للارض والجملة صفة او مستانفة استينافا بيانيا

او الضمير للمذكور وقالت عايشة رضى الله عنها فى حديث رواه الشيخان ولقد مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شئ ياكل ذو كبد هو كناية عن كل حيوان انسانا او غيره والكبد
معروف وهى احد الاعضا الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذا الى الجسد كله وهذا مناف لقولها
ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيا ووفق بينهما بان المنفى هنا ما كان مختصا بها من بقية نفقتها او المراد
بالشئ وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو لعدم الاعتداد به اذ كر لقلته الا شطر شعير
الشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفى النهاية اراد به نصف مكوك او نصف وسق والمكوك
المد وقيل الصاع فى رف لى بفتح الراء المهملة وتشديد الفا شبه الطاق فى الحايط ويطلق على خشبة
عريضة ترفع عن الارض تعد لو ضع ما يراد حفظه وهو الرفوف ايضا والاول اقرب لان الخشبة
لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتتمة الحديث فاكلت منه طويلا ثم كلته ففنى وفيه اشارة الى ان الكيل
كالعد يذهب البركة وقد وردت ولم نظاير كما فى مسلم عن جابر رضى الله عنه ان رجلا اتى
النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامراته ووصيفه ياكل منه حتى كاله
فاتى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره فقال لو لم تكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل
والتمسك بالاسباب المعتادة واما ما ورد فى حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فاجيب عنه
بانه عند التبايع لحق المشترى فتامل وقال اى النبى صلى الله عليه وسلم لى اى لعايشة وفى نسخة ابن اقرس
وقال الى تايى بدل اللام اى ادن واقربى الى فطلب صلى الله عليه وسلم دنوها منه ليسارها وقال
حكاية لحال ماضية انى عرض على بالبنا للمجهول وفى رواية عرض على ربى يقال عرض له وعليه اذا ظهر له
واراه اياه والمراد اعلمه بالوحى ان يجعل لى بطحا مكة ذهبا البطحا والابطح واد تجرى فيه السيول
او بطن واد فيه رمل وحصى او مكان لا ينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا
ان يملاه به او ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشايها من العدم غير مستحيل الوقوع
والله قادر على كل شئ فقلت لا يا رب اى لا اريد جعل البطحا ذهبا اجوع يوما واشبع يوما الى اخره
كانه قيل فما تريد قال اريد الفاقة وان اكون تارة جايعا وتارة شبعان لزومها لمقام العبودية والافتقار
الى الله ثم بين ما يكون عليه فقال فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك فيه والتضرع الدعا
بتذلل وانكسار من الضراعة وهى الذلة والالتجا وادعوك اى اطلب منك وفى الدعا مناجاة
والالتجا ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك واثنى
عليك لما انعمت به على ولا وجه لما قيل هنا من انه تعليم لفقرا امته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا
لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير ذلك مما اطال فيه بغير طايل على عادته وهذا الحديث
رواه الترمذى عن ابى امامة رضى الله عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا
شبعت شكرتك وحمدتك وفى حديث اخر قال السيوطى لم اجده هكذا ولكن البيهقى
رحمه الله اخرجه فى الزهد من طريق عطا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال يوما ما امسى لال محمد كف سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله
سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك

مطلب البعد يذهب البركة

جبال

جبال تهامة زمردا او ياقوتا وذهبا وفضة فقلت الخ واخرجه ابن سعد وابن عساكر فى تاريخه
من حديث عايشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لو شئت لسارت معى جبال الذهب
ولاحمد فى الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وللطبرانى نحوه
من حديث ام سليم رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو سالت الله ان يجعل تهامة كلها
ذهبا لفعل واخرجه احمد حديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له
مختصرا عن عايشة رضى الله عنها قلت فما ذكره المص رحمه الله رواية بالمعنى من عدة احاديث
ان جبريل نزل عليه الصلاة والسلام فقال له ان ربك يقريك السلام اى يسلم عليك
ويحييك تحية اكرام قال فى الاكمال اقراه السلام وهو يقريك السلام بضم اليا من المزيد واذا
قيل يقرو عليك السلام فبفتح اليا لا غير وقيل هما لغتان وهو مهموز لا معتل ويجوز ابداله همزة
واوا ويا ومعنى اقراه حمله على ان يقرا عليه سلامه اى يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ
ماخوذ من القراة ومعنى قراه عليه ذكره له ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث ما كنت اى تسير معك وتتوجه اين توجهت فاطرق ساعة
اى طاطا راسه يفكر فيما يجيبه به صلى الله عليه وسلم ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا
دار له ومال من لا مال له الدنيا تقابل الاخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب وتطلق على هذا
العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التى هى مقر العالمين ولهذا الاعتبار
تسمى دارا وقوله دار من لا دار له اى لانها فانية لا يقيم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذى ينزله
المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال وانا لفى الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا
يسرى وقوله مال الخ اى ما يملكه المرء فيها سيسلب منها فهو عارية او وديعة فصاحبه لا ملك
له حقيقة فكل غنى فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا فرط له وذخر من لا ذخر له قد يجمعها من لا
عقل له قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهى لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها بعد بلوغه
ورشده لموته ثم يفقدها الى ما لا نهاية له او لمتعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره قليل وعلى هذا
حمل قوله قد يعلم ما انتم عليه فان ما هم عليه بالنسبة لبقية معلوماته اقل قليل وهى مستعارة ههنا
للتكثير كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وان كان فى البيت نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل له
لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالاخرة وتهديه الى الاكتفا من الدنيا
بزاد المسافر الذى يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقها لو اوصى لاعقل
الناس صرف للزهاد وقال الشاعر ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا
فيها فلما علموا انها ليست لحى وطنا جعلوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا فقال
له جبريل عليه الصلاة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت المراد بالقول الثابت
الحق لانه دايم لا يزول او المراد به حق مخصوص بمقالته وهو اما دعاء له او اخبار بان الله امتن
عليه فانه محض فضل الله ولطفه فانه الذى ثبته على هذا وعن عايشة رضى الله عنها فى حديث صحيح
رواه الشيخان انها قالت انا كنا ال محمد المراد باله اهل بيته عليه الصلاة والسلام ولم معان اخر

مشهورة وان مخففة من الثقيلة لنمكث شهرا ما نستوقد نارا اى ما نوقد نارا فالسين للتاكيد
او المراد ما نطلب من احد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم ما يطبخ ان هو الا التمر والما
وان نافية وهو ضمير الطعام والماكول اى ما عندنا ما يوكل ويتغذى به الا التمر والما وروى
وانما هو الاسودان التمر والما قيل هذا كان فى بعض الاحوال وعن عبد الرحمن بن عوف الصحابى
المشهور رضى الله عنه وهذا الحديث رواه عنه الترمذى والبزار وغيرهما بسند جيد هلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى توفى والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل فى حق النبى صلى الله
عليه وسلم وغيره قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه واما اختصاصه بميتة السوء كالقتل
فعرف طار ولذا كثر استعماله فى الاعدا فيقال هلك عدو الله وقد ورد فى الحديث والاهانة
انما تفهم من ذكر العدو ونحوه قلت فلا يجوز لنا الان اطلاقه على من كرمه الله والصحابة
ونقتصر فيه على ما ورد منه من غير نكير كما ورد فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام حتى اذا هلك
قلتم الخ وكذا ورد فى حق غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يختص بمن استحق العذاب
الا بقرينة ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير واول الحديث عن نوفل بن اياس الهذلى
قال كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه جليسا لى وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا ذات يوم
حتى اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن
بن عوف فقلت يا ابا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو
واهل بيته من خبز الشعير فلا ارانا اخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم انه ورد فى معناه احاديث
كثيرة متقاربة المعنى وتقدم ما فيه من الاشكال وجوابه والى تقوية هذا اشار بقوله وعن
عايشة رضى الله عنها وابى امامة وابن عباس رضى الله عنهم نحوه اما احاديث عايشة
رضى الله عنها ففى الصحيحين عنها انها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير
يومين حتى قبض وحديث ابى امامة رضى الله عنه فى الترمذى بهذا اللفظ ايضا وحديث
ابن عباس رضى الله عنهما هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبى صلى الله عليه وسلم الخ قال
السيوطى رحمه الله وسياق كلامه ياباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره والاحسن انه
ما فى الصحيحين ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عمر رضى الله عنه حدث انه دخل عليه
صلى الله عليه وسلم وقد اعتزل نساءه فاذا هو مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلبت عينى
فى خزانته فاذا هى ليس فيها شئ غير قبضتين من شعير وقبضة من قرظ فابتدرت عيناى
فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال ما لى لا ابكى وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم
فى الخنادق والانهار وانت هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان يكون لنا الاخرة ولهم الدنيا
فقلت بلى يا رسول الله قال فاحمد الله عز وجل قال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة طاويا حال من ضميره صلى الله عليه
وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود حاله صلى الله عليه وسلم وحال اهله يعلم من حاله
لانهم يتبعونه فى كل حال وطاويا بمعنى جايعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهرى والليالى منصوب

على الظرفية

على الظرفية وقوله لا يجدون عشاء بفتح العين والمد الطعام الذى يقابل الغذا وخصه لقوله يبيت
والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث اخرجه الترمذى وابن ماجه وعن انس رضى الله عنه فى حديث
رواه البخارى قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان بكسر الخا المعجمة وضمها فارسى معرب ويقال
اخوان بزنة اكرام ايضا وهو والمائدة والميدة بمعنى وان فرق بينهما فى الاصل بان الخوان ما يوضع عليه
الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين حتى لا يحتاجوا الانحنا اذا اكلوا وقيل
انه عربى من التخون وهو التنقص ويجمع على اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر ويكون
بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الاديم ايضا ولا فى سكرجة قال الجواليقى هى بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح الرا
المهملة المشددة وجيم وهاء وهى اعجمية معربة وقيل الصواب اسكرجة بهمزة مضمومة وقد جا فى الحديث
الصحيح بدون الهمزة ومعناه مقرب الخل ولذا قيل معناها قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة
وعلى كل حال فهى مما يضعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والها علامة التصغير عندهم وقيل
فيها ايضا سكيرجة ولا خبز له مرقق بالبنا للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل
هو المنبسط الدقيق وقيل هو الجوازى والسميد بدال مهملة او معجمة وفى رواية مرققا بالنصب تمييز
او مفعول ثان لخبز لتضمينه معنى الجعل والمراد ان خبزه صلى الله عليه وسلم لم يجعل من باب الدقيق
لانهم لم يكن لهم مناخل ولا راى شاة سميطا قط سميط فعيل بمعنى مفعول اى لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم
شاة بتمامها بعد سمطها اى غليها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان
ما ذكر فى الجلالين التصغير وعن عايشه رضى الله عنها فى حديث رواه الشيخان انما كان فراشه عليه
الصلاة والسلام الذى ينام عليه ادما بفتح الهمزة والدال المهملة وميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ
اللين وقيل انه مخصوص بالاسود حشوه ليف والليف ما يكون من النخل وهو معروف وعن حفصة
رضى الله عنها بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ام المومنين وحديث حفصة رواه الترمذى فى الشمايل
منقطعا وحديثها لا ينافى حديث عايشة المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله عليه وسلم
الذى كان عندها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته مسحا بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها
حا مهملة وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكسا ويقال له جبل وقيل هو ثوب اسود من شعر يلبسه الزهاد
وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شئ غليظ
ينزه عن مثله اصحاب الترفه نثنيه ثنتين فينام عليه الثنى بكسر فسكون والمثنى ما ثنى بعضه على بعض
وعطف اى يجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون اثخن واوطا للنوم عليه وتثنيته ثنتان وجمعه
اثناء وروى ثنيتين بمثناة فوقية مكان اليا المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة الاولى اصح وانه
ثنيناه له ليلة باربع طاقات ليكون الين مهادا من الثنتين فلما اصبح صلى الله عليه وسلم قال ما
فرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات فقال ردوه بحاله الاول وهو الثنيان
فانه وطاته بفتح الواو والطا المهملة والمد وتا تانيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة او فعلة بفتح فسكون
وهمزة غير ممدودة على وزن فعلة اى لينه تحت جنبى لكثرة طاقاته منعتنى الليلة صلاتى
اى ان لينه لذه صلى الله عليه وسلم النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه ممهد لم يرده خشية حسه فانقطع

ن صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات
فى جوانب المائدة فيها ما يعين الهضم
وقيل قصعة صح

عن بعض القيام للتهجد ليلا لزيادة نومه وكان صلى الله عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول ونومه
الاول على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج بالشريط او غيره والشريط بشين معجمة وراء
وطاء مهملتين بينهما يا مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل او سعفه مع حبال وواحده شريطة حتى
يؤثر حبال شريطه في جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان والترمذي
وفيه وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وفي معناه احاديث اخر وعن عايشة رضي الله عنها
قالت لم يمتلى جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط قال التاسانى فيه اربع لغات فتح الشين المعجمة
وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع وبسكونها ما يشبع
والظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره بحسب الرواية فسلم واما بحسب الدراية فالظاهر
هو الثاني لانه اسم عين وعلى الاول اسم معنى والامتلا منه مجازى كالامتلا غضبا وقيل عليه ان المجاز
ابلغ من الحقيقة فهو اولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضي انه صلى الله عليه
وسلم كان يشبع ولكنه لا يملى جوفه بتمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على ما يقوم
به الاود ثم ملى ثلث بطنه فان ثلثا للزاد وثلثا للما وثلثا للنفس فان زاد فنصفها وما زاد على ذلك حرص
وبطنة غير ممدوحة وقد يحرم ان وصل للضرر والتخمة قصدا كما ان اوله مرابتة واجب ولم يبث
شكوى الى احد بفتح اليا التحتية وضم البا الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى تذكر وبظهر يقال بث الخبر
وابثه اذا نشره ويقال ايضا انشه بنون وبها روى قول قيس اذا جاوز الاثنين سر فانه بنث وتكثير الحديث
قمين والشكوى مذمومة فالذى يليق بمقام العارفين الصبر وكتم ما بهم لا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم كان
يستر بكل ما ياتيه من الله ولا يعده مولما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله وكانت الفاقة
وهي الحاجة والفقر احب اليه صلى الله عليه وسلم من الغنا قيل هذا يقتضي ان الفقر افضل من الغنا وقد
اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى حيث امتن عليه صلى الله عليه وسلم
بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضا حاجته والمفضول قد يكون في مقام له منة تزيد على الفاضل
ولا في قوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فانه لم يذم الغنا بل ما قد يترتب عليه وكذلكون حساب
الفقر اخف والمختلف فيه هل الغني الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث
ذهب اهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم من ايام
القيمة وهو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في الجانبين وقال الغزالي رحمه الله تعالى
قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الا في موضعين غنى يستوى فيه الوجود والعدم ويستفاد
به دعا المساكين وقضا حوايجهم كغنى بعض الصحابة رضى الله عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون
كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه نوع من الوجوه والممدوح غنى النفس لا غنى المال من حيث هو
والفضل كله في الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة ولذا طلبه صلى الله عليه وسلم لعياله وان كان
ليظل جايعا ان مخففة من ان المكسورة مع الهمزة المثقلة النون والجملة حالية بفتح المثناة التحتية
والظا المشددة من اخوات كان واصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان ظليد وفيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل
ليلا ونهارا وهو المراد يلتوى طول ليلته من الجوع بتقديم اللام على التا الفوقية وواو مخففة مكسورة وفي نسخة

كامتلاء صح

ويظل صح

يلتوى

يتلوى بيا مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مخففة مكسورة يليها الف ومعناه
ينقلب على فراشه من الم الجوع من لواه ليا اذا صرفه عن جانب لآخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا
لزهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا وصبره على مشاقها ليقمع شهوته ونفسه ويقهرها ويرشد امته بذلك
كما بينه بعد وقوله فلا يمنعه ذلك او جوعه صيام يومه بالنصب بيمنع او بنزع الخافض اى
عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشئ فامتنع وقوله ولو شاء صلى الله عليه وسلم الغنى والشبع
وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد بدلالة جوابها عليه سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد
عيشها ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه ونصبه عطفا على جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف
والثمار جمع ثمرة وهي ما يحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة
العلم العمل ويجوز ارادة هذا هنا ورغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه رغيد وارغد
والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يتعيش به واصل معنى الرغد الواسع يقال ارغد فلان اذا اصاب
رغدا اى سعة وخصبا وغيره ولقد كنت ابكي له رحمة مما اراه به وفي نسخة لما ارى به اى عاهتاه
به او مما اعلمه به وامسح بيدى على بطنه كانه يمسحه ليستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليرده
ويشد صلبه وهذا للشفقة مما به من الجوع اى من المه ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها واقول
نفسي بك الفدا تقدم ان الفدا بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه
فيجعل عوضا عنه ويقال افديه بنفسي وبامي وابي ومالي وقد يقال بنفسي من غير ذكر للفدا
وتسمى البا با التفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله عليه وسلم فيقال
لمن له شرف كالحكام والعلما والصلحا واعزة الاخوان قصد التوقير والاستعطاف ولو كان
محظورا كما قيل ما قاله صلى الله عليه وسلم ولنهى عنه من قاله له وقد قال له ابو بكر رضي الله
عنه فديناك باباينا وامهاتنا وقال صلى الله عليه وسلم لسعد ارم فداك ابى وامى ومنعه قوم
لحديث مالك بن فضالة ان الزبير رضي الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم وهو شاك
فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال له صلى الله عليه وسلم ما زلت على اعرابيتك
بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان هذا الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة
الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير محله لانه لا ينبغي ان يقال
ذلك للمريض بل يتوجع له ويقال لا باس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام
مقال او لان القائل له كان ابواه مشركين او لانه من خصوصياته لان من قابليته من ليس
كذلك والاصل عدم الخصوصية لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك التبليغ مفعل من البلاغ
وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ ماخوذ من الزاد الذى يبلغ به المسافر
منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت اى لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة
ولو للتمنى فيقول صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها ما لي وللدنيا قيل ما نافية
اى ليس لى الف ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية اى اى الف ومحبة ورغبة لى
في الدنيا وهذا منه لانه صلى الله عليه وسلم الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة تركها ثم

رغد
عيش

مطلب يجوز الفدا بامى

بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم الصلاة والسلام فجرى على طريقتهم فقال اخوانى من اولى العزم
من الرسل تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على خلاف فيهم وفى وجه تسميتهم
بذلك صبروا على ماهو اشد من هذا كالحبس والعرض على القتل اوغير ذلك مما علم من التفاسير فمضوا
على حالهم اى استمروا عليه راضيين بقضا الله لهم الى ان ماتوا فقدموا على ربهم اى لاقوه وشهدوا ما انكشف
لهم من احوال الاخرة فى البرزخ فاكرم مآبهم اى اكرمهم الله فى مرجعهم اليه يقال آب يؤوب اذا رجع فهو
اسم مكان او مصدر ميمى واجزل ثوابهم اى اكثر لهم العطا والجزا فى دار المقامة فاجدنى استحى من الله عند
لقائه ان ترفهت فى معيشتى اى ان تنعمت وتوسعت فى العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية
وهى كالرغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله عليه وسلم قبيل موته بين الخلد فى الدنيا ولقائه فاختار
لقاه كما قاله ابن العربى وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها اى لترفهى ووقع فى نسخة
فى معيشتهم اى فى جنس معيشتهم والاصح الاولى ان يقصر بى غدا يقصر مبنى للمجهول مع التشديد اى ان يقع
التقصير او المقصر بالكسر حاله وعمله دونهم اى فيكون مقامى دون مقامهم لتنزل مرتبتى عن مرتبتهم
والمعيشة مفعلة وجمعها معايش بلا همزة وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهى ما يتعيش به وغدا بالمعجمة
اليوم الذى بعد يومك والمراد به الاخرة جعلا لدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والاخرة لكونها بعدها
بمنزلة غد استعارة وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى بالمد مضاف لياء المتكلم
جمع خليل وهو قياس فى المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبيا عليهم الصلوة والسلام السابق ذكرهم
والرفيق الاعلى وعن عايشة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لم يقبض نبى حتى يرى مقعده
من الجنة ويخبر بذلك فلما حضرته صلى الله عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لى
والحقنى بالرفيق الاعلى كما فى البخارى وفى النهاية الرفيق الاعلى جماعة النبيين الذين يسكنون
اعلى عليين او المراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الروف وهو من اسماء الله كالاعلى واللحوق
بهم بمعنى كونه معهم قالت عايشة رضى الله عنها فما اقام بعد بالبنا على الضم اى بعد مقالته هذه
الا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم اى انتقل للاخرة واستوفى ايام عمره

فصل

واما خوفه ربه عز وجل ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات
وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجا عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب مفعول
المصدر واعلم انهم اختلفوا فى خوف النبى صلى الله عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام ابو الحسن
الاشعرى فى كتاب الايجاز كان صلى الله عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال
اهل الحق كان خوفه قبل ان امنه الله من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه فى الدنيا كما قيل
له صلى الله عليه وسلم لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الاية فاما بعد ان امنه الله تعالى
من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه امنه منه فاخبر بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة
والقدرية حيث زعموا انه هو وساير المكلفين ماداموا مكلفين فى الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه
سوا امنهم ام لا دليلنا ان الخوف من شئ لا يجوز الا مع تجويز نزوله به واما مع القطع بانه لا يحصل
ابدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل فلو قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف عقاب الله

مع تأمين الله له من ذلك لادى الى كونه شاكا فى خبره وانه صدق او كذب فى اخباره بانه لا يتعلق به
عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى وسئل شيخ
مشايخنا ابن حجر الهيتمى عن الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا
يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفى الخوف واثبات الامن
لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما فى الاحيا الم القلب
لتوقع مكروه فى المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله على ما ينبغى والخوف
بهذا المعنى محقق فى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يأمنه احد
الا ان كان المامون منه الانسلاخ عن النبوة والملكية والايمان فى العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم
والرجا والخوف متلازمان واشتراط الرجا والخوف بما هو مشكوك فيه لا تابيد فيه لانهم لا يخافون
لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكل على يقين من اصل
الكمال وقد تعتريهم استشعار قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسال عما يفعل ولا يجب عليه
شئ وقد يشترط ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال الثانى
ان الشافعى رضى الله عنه صرح بان الملائكة داخلون فى قوله لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
لما اخرج ابن ابى حاتم من ان الله تعالى قال لهم ما هذا الخوف الذى بلغ منكم وقد انزلتكم منزلة لم انزلها
غيركم فقالوا ربنا لا يأمن مكرك الخ الثالث ما فى الاحيا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يخافون
المكر لما روى ان النبى وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من ان يكون تامينهم امتحانا ومكرا
وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين فلا شبهة فى ذلك لقوله ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فان قلت
يرده ما روى عن الحسن انه لما نزلت هذه الاية خاف صلى الله عليه وسلم زمانا فلما نزل انا فتحنا
الاية جد صلى الله عليه وسلم فى العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروى انه قال فى الاية اما
فى الاخرة فمعاذ الله لانه اخبر بانه فى الجنة فالمعنى ما ادرى ما يفعل بى فى الدنيا فاخبر بنصره واظهار دينه
قلت المراد خوفه صلى الله عليه وسلم من امور الدنيا واستيصال امته فامنه الله منه واما
الخوف من الله فلا يامنه احد الى ابعاده ورد فى ادعيته صلى الله عليه وسلم كثيرا مما يدل عليه نحو اللهم
انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وقوله اللهم انى
اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيى والممات وليس هذا تشريعا للامة ان يقولوه لانه لم ينقل
قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقها فى الامن من مكر الله واليأس من رحمة الله تعالى
فقال الشافعية انهما من الكبائر وقال الحنفية انهما كفر لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وتمسك الشافعية بعدهما من الكبائر بما ورد فى حديث
ابن مسعود رضى الله عنه وقال ابن ابى شريف ان اريد باليأس انكار سعة رحمة الله الذنوب
وبالامن انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقران وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو استبعادا
يدخل فى حد اليأس وغلبة الرجا المدخل فى حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او ارادة
كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم فى رسايله وعلى ما مر عن الاشعرى يخص الامن

في حد

بغيرمن مروعلى غيره وباق على عمومه هذا جملة ما قاله الفقها والاصوليون فى هذه المسئلة وهاهنا
بحث فيما قالوه وهو ان الاشعرى امام اهل السنة وقد جزم بانهم عموما ذهبوا الى امنهم من العقاب كان
دون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا يؤيده وما ذكر من الخوف والادعية فالظاهر الذى يقتضيه
النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه بل بمعنى ان يقدر عليهم امرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى
وان كان له ان يعذب كل احد لكن عدله وحكمته تقتضى ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم
هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشى منه وهذا مقام الكملين ولذا قال
انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا الخوف لا بد منه لكل احد واما خوف العقاب بدون هذا
ما دام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزم عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا
يحمل كلام الاشعرى وهو مناف لما قاله ابن حجر رحمه الله اذا عرفت هذا فقوله فى شرح جمع الجوامع
الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال فى المعاصى اتكالا على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف
ثم اقول الحق ما قاله الاشعرى والذى ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لا يقع وان الانبيا
خصوصا نبينا عليهم الصلاة والسلام بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تأخر له لا يخشى احد عليه العقاب
ولا يجوز تجويزه عليه اما هو فلعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غنى عن خلقه له ان يفعل بهم ما اراد
فيخاف خوفا شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم يجوزه نحن وفى قوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل فيه وكلام الغزالى لا حجة له فيه والاية التى ذكرها مخصوصة
بالدنيا او منسوخة كما فى الكشاف وكذلك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله عليه وسلم من الله
قد يذهل عن تأمين الله له لا سيما مع ما مر ونظيره ما قاله السيوطى رحمه الله فى اجوبته الحديثية الفكرية
فى قول يوسف عليه الصلاة والسلام توفنى مسلما والحقنى وهو يعلم ان كل نبى لا يموت الا مسلما انه دعى
بذلك فى حال غلبة الخوف عليه حتى اذهلته عن علمه ساعة الدنيا او ذلك اظهار للعبودية والافتقار
وشدة الرغبة فى طلب سعادة الخاتمة وتعليما للامة انتهى ثم رأيت ما قلناه صرح به ابن عزى
فى سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما اطلنا الكلام فى هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك
باعادة النظر فان مورده لم يصف من الكدر ولنا عودة الى الكلام فيه اخر الكتاب ان شاء الله تعالى
وطاعته له وشدة عبادته قد نهما مع الخوف لتلازمهما معه فعلى قدر علمه بربه قال القشيرى رحمه الله
العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم معرفة الخوف باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق فى معاملاته
وتنقى من ردى اخلاقه وافاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة وهى الخوف مع الاجلال والى ذلك
اشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما
يعصى الله من جهل به وبنعمه فان الايمان محبة الله ومن احبه اطاعه وتحت الرغوة اللبن الصريح
ولذلك قال فيما حدثنا وفى نسخة حدثنى ابو محمد بن عتاب قراءة منى عليه تقدم ترجمته قال حدثنا
ابو القاسم الطرابلسى حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمى المعروف بابن الطرابلسى كما تقدم عن البرهان
فالنسبة اليه طرابلسى والاطرابلسى بزيادة همزة فى اوله وهى مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيها ترابلس
بالتاء الفوقية وهو صحيح ايضا لانه اعجمى عرب بابدال التاء طاء فتلك حكاية اصلية والمنطوق معرب قال

قال حدثنا ابو الحسن القابسى على بن محمد بن خالد المغافرى الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم
قال حدثنا ابو زيد المروزى تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد الله الغربرى تقدم ضبطه و
ترجمته قال حدثنا محمد بن اسمعيل الامام البخارى صاحب الصحيح وقد تقدم قال حدثنا
يحيى بن بكير المخزومى الحافظ ابو زكريا المصرى روى عنه البخارى وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم
توفى سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة عن الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر
واصله من اصفهان وكان نظير الامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله كان فى كل
يوم الف دينار ولم تجب عليه زكاة توفى يوم الجمعة منتصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة
وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين عن عقيل مصغرا وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج
له الائمة الستة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى واربعين ومائة عن ابن شهاب تقدم انه
ابو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهرى عن سعيد بن المسيب تقدم ضبطه والكلام عليه ان ابا
هريرة رضى الله عنه تقدم ايضا كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم من عظمة
الله وجلاله وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة او ما اعلم من احوال الاخرة واهوالها وما يلقى الانسان
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا يأتى بيانه وفى الحديث طباقان او ثلاثة بين قليل والبكا والعلم وبين
الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المص عن صحيح البخارى وله فيه رواية
اخرى عن الترمذى اشار اليها بقوله زاد فى روايتنا عن ابى عيسى الترمذى رفعه بصيغة الماضى
اى زاد هذا الكلام او مصدر فهو مفعول زاد الى ابى ذر رضى الله عنه يعنى ان رواية البخارى
السابقة رواية ابى هريرة رضى الله عنه وهذه رواية ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد
خالف المص فى عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبى صلى الله
عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبى صلى الله عليه وسلم كذا فيقال رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم
لا الى الصحابى وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة تقديره عازيا الى ابى ذر فلا مخالفة فيه
لاصطلاحهم وسيأتى تتمته انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون المراد بما الموصولة
فيهما مغيبات وامور فى الملاء الاعلى اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة
والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين فى القبور
ولاطيط السماء المشار اليه بقوله اطت السماء اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب
اذا ضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك اى ان السماء لكثرة ما فيها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت
سمعه النبى صلى الله عليه وسلم وحقها بالبنا للمجهول او هو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله
ان تئط اى تصوت ويسمع لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل
ان صريرها يسمع منه الحان متناسبة مطربة منها اخذ الحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح
لسماعه لتذكرها معاهد حماها وقيل انه انين من خشية الله وقال التلمسانى هذا ايذان
بكثرة ما فى السماء من الملائكة وان لم يكن ثمة اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استانف
صلى الله عليه وسلم ما بين سبب اطيطها فقال ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع

ان ح

ولا يجب عليه سوى

روايتنا بيان

جبهته ساجدا لله اى ليس فيها مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات والله
لو تعلمون ما اعلم من احوال الدنيا والاخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا اى لضحكتم ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله ونظرتم ما انعم به عليكم وبكيتم للخوف
منه حتى يشغلكم ذلك عن التنعم والتفكه بلذايذ الدنيا وما تلذذتم بالنسا على الفرش بضمتين
جمع فراش وكنى بذلك عن مضاجعة النسا ومجامعتهن ولخرجتم الى الصعدات بضم الصاد والعين
وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم لصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى
اى لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهى فنا الدار وقيل جمع صعدة
كظلمة وهى تجارون الى الله اى تضجون وتصيحون من الجوار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء
مهملة وهو الصياح ورفع الصوت اى تستغيثون الله وتتركون اهلكم ومساكنكم لوددت انى
شجرة تعضد اى تقطع من اصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام فى جواب
قسم مقدر ووددت بوزن علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت ولودى اذا تمنيت قال
البحترى وبودى لو استطعت لخفت بصبرعن سيدى حين ملأ وهو مستعار من المودة المعروفة
قال الراغب الود محبة الشئ وتمنى كونه موجودا ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على ان التمنى
يتضمن معنى الود لان التمنى يشتهى حصول ما يوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذى روح
فلا يبعث ولا يسال وعضد الشجر موته واخر العهد به وروى هذا الكلام يعنى قوله وددت انى
شجرة تعضد فهو بدل من الكلام مبين له من قول ابى ذر نفسه لا من الحديث وكلام النبى صلى الله
عليه وسلم وهو اى كونه منه قول ابى ذر اصح وفى نسخة واضح بالضاد المعجمة والصحيح اصح اى كونه
من الحديث مرفوعا له صلى الله عليه وسلم وهو اليق بحاله وانسب بكلام بخلاف ما قبله فانه من الحديث
بلا خلاف والى هذا اشار المص بقوله لما بقا اذ ذاك فى روايتنا عن ابى عيسى الترمذى رفعه الى ابى ذر
واذا كان من كلام ابى ذر فهو مندرج فى الحديث اذ لم يميز لفظه عن لفظ فاعترض البرهان الحلبى عليه
بانه كان ينبغى له ان يقول انه مندرج لا وجه له نعم فى عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه صلى الله
عليه وسلم تمنيا ذكر مشكل لانه مقطوع له بالزلفى آمن من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه انما هو
خوف اجلال وهيبة لخوفنا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة
ليتنى طاير وليتنى لم اخلق بشرا وليتنى كبشا ذبح ونحو ذلك لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن
الا خوفا من مخالفة امره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام
وقد تقدم فى اول الفصل ما فيه كفاية وفى حديث المغيرة رضى الله عنه المتفق عليه فى رواية
الشيخين والمغيرة بضم اوله وتكسر اتباعا اى ابن شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى صلاة التطوع والتهجد لا ذا الزيادة المذكورة فى بعض الروايات
انما تاتى فيها حتى انتفخت قدماه اى ورمت من طول القيام وفى رواية انه كان يصلى حتى ترم
بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ لانصباب
المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله عليه وسلم ووقع فى بعض النسخ ترم بتشديد الميم اى تصير

تعضد
ساں

ديما

ديما وهى غير صحيحة رواية ودراية قدماه وفى رواية ساقاه وروى تورمت وتزلعت
بزاى معجمة وعين مهملة اى تشققت فقيل له اتكلف هذا بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية واصله
اتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا اى تتحمل مشقته وكلفته وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسياتى ما فى اضافة الذنب له صلى الله عليه وسلم
مع انه معصوم عن الصغاير والكباير على الاصح بان المراد لو صدر منك او ما يعد من الذنوب بالنسبة
لغيرك لنزاهتك وعلو مقامك وستسمع تفصيله فى محله قال افلا اكون عبدا شكورا لما انعم الله تعالى
على من جلايل النعم التى لا تحصى ومن اجلها عصمته لى ومغفرة الذنب قبل وقوعه والاستفهام انكارى
والفا سببية اى اترك الصلاة لمغفرته وهى سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة
تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله عليه وسلم بتقريبه ونسبته لسيده وكله
يقتضى لزوم الشكر وهو العبادة ونحوه عن ابى سلمة رحمه الله تعالى واسمه عبد الله او اسمعيل او اسمه
كنيته بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى التابعى احد الفقهاء السبعة المشهورين وابنه عن ابى هريرة
وغيره وفى الصحابة ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى مات فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم
ولم يعرف له الا حديث واحد واخران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة وابى هريرة رضى الله
عنه قال البرهان هكذا فى النسخ قال المحشى وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون
عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه فانه وقع هكذا فى الشمايل فى باب عبادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذى ذكره المص هنا فقال بعد حدثنا الفضل
بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه كان يصلى الخ الا ان يكون المص
وقف على حديث اخر لابى سلمة الصحابى ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابى سلمة عن ابى
هريرة ولكنه عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا وقالت عايشة رضى الله عنها كما رواه
الشيخان كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة بكسر الدال وسكون اليا المنقلبة عن الواو
لانه من الدوام ومعناه الدايم واصل معناه المطر الدايم فى سكون وهدو وفى الحديث احب
الاعمال الى الله تعالى ما دووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال
ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القران ثم نسيه وايكم يطيق ما كان يطيق اى ايكم يقدر ان يعبد الله
كما عبده صلى الله عليه وسلم كما وكيفا وقالت عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم روى نقول بالنون والتاء الفوقية
ويرفع يقول ونصبه كما قرى به فى قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعنى انه صلى الله عليه وسلم
فى بعض الازمنة يوالى الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم
نافلة وقيل المراد انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من اول الشهر ووسطه واخره حتى يتوهم
من صادف ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافى
كون عمله صلى الله عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة من كل شهر وهذا بالنسبة
لغيره ولك ان تقول الاول فى صلاته وقيامه وهذا فى صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله

الا رايته مصليا ولا نايما

ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضى الله عنهم اسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة
والاحاديث التى رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف فى بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية
فى الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة لايرادها هنا كما فى الشرح الجديد
وقالت عايشة كنت لا تشاء ان تراه صلى الله عليه وسلم من الليل مصليا الا رايته نايما وقال عوف
بن مالك هو ابو عبد الرحمن الاشجعى الصحابى الجليل القدر رضى الله تعالى عنه سكن الشام وتوفى
فى ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنساى كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام فصلى فقمت معه اى تهجد واقتدى به وفيه دليل
على صحة الاقتداء فى صلاة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعى رحمه وبعض الحنفية وبدا
الصلاة وفى نسخة فابتدا بالفا اى شرع فى الصلاة فاستفتح البقرة اى شرع فى قراتها وفيه على انه يقال
البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد فى احاديث لا تحصى واسماء السور توقيفية على الاصح
خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة السورة التى يذكر فيها التين وهكذا
لما روى الطبرانى والبيهقى عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة ال عمران ولا سورة النسا ولكن
قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزى انه موضوع والاحاديث
المعارضة له صحيحة فهى ارجح وعليه العمل ونقول ان هذا كان فى اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا
يستهزون بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف ايديهم
والسنتهم قيل ذلك من غير حرج فلا يمر صلى الله عليه وسلم باية رحمة الا وقف فسال الله الرحمة
ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنساى
ويوخذ منه انه ينبغى لمن قرا القران ان يتدبر ويتفكر فى معانيه وان الدعا بما يناسبه مستحب
ومستجاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول امنت بالله ونحوه ونحوها
ما ورد ان من قرا سورة تبارك فبلغ فمن ياتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرا سورة التين
فبلغ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرا لا اقسم بيوم القيمة
وبلغ قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى واذا قرا والمرسلات فبلغ فباى حديث
بعده يومنون فليقل امنا بالله واذا قرا سبح اسم ربك فليقل سبحان ربى الاعلى واذا قرا سورة
الرحمن فليقل عند كل فباى الاء ربكما تكذبان ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك ورد
فى الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الا ان من الناس من فعل امورا زايدة على ما ورد
كالدعا بين الجلالتين فى سورة الانعام وقد قال البقاعى انه بدعة لم يرد فيه اثر ولا حديث ثم ركع
فمكث بضم الكاف وهى لغة القران وتفتح فى لغة عنه ومعناه انتظر وتوقف بقدر قيامه يقول
سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والعظمة هذه الصيغة من انها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت
والرغبوت وهى مصادر فى الاكثر وورد فى الاسماء ايضا كالطاغوت والجبروت مبالغة فى الجبر وهو القهر
والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانها كالدليل عليها ولانها اعم ويكون صلى الله عليه وسلم
كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران

اى السورة التى ذكر فيها قصة ال عمران وقد تقدم جوازه وما فيه ثم سورة سورة اى ثم قرا فى صلاته فى كل ركعة
سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرئت النحاة فى قولهم قرات النحو بابا بابا وجعله التلمسانى
منصوبا مفعولا لفعل المقدر وفيه وفيه والسورة مهموزة من السور وهو بعض بعض الماء الباقى فى الاناء
وتبدل همزته واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها بالايات
او من السوار او من التسور لرفعتها والسورة مقدار من القران مشتمل على ايات اقلها ثلاثة مسماة
باسم ولا يرد عليه اية الكرسى لذكر الاية يفعل مثل ذلك المذكور من القراءة والتسبيح وعن حذيفة
ابن اليمان الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه مثله اى مثل الحديث
السابق وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه اصل
معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو من هذا اى مثله او قريب منه فان قلت
ذكر الفقها ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين
حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح
رواه مسلم كما مر وهو مناف لما ذكر قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكوت او بذكر غير مشروع
فلو طول بغيره ذلك كما فى صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووى تبعا لامام الحرمين
استدلالا بحديث حذيفة هذا ولا يشترط ان يكون بمقدار اكمل التشهد وقال حذيفة رضى الله
تعالى عنه حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمائدة اى قرا فى كل ركعة بسورة من هذه السور
وعن عايشة رضى الله عنها فى حديث صحيح اخرجه احمد والنساى على ابى ذر والاية التى ذكرت
فى قولها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران اى رددها طول ليلة ويكررها فى كل ركعة
وهى كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الاية فى سورة المائدة وانما اكثر ترديدها للتدبر والتفكر
فيها فان القران له بطون سبعة ففى كل قراءة يظهر له صلى الله عليه وسلم ما لم يظهر قبل والله تعالى
تجلى لخلص عباده فى كلامه ولكن لا يتبصرون كما روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه ففى كل
قراة يتجلى له الله فى مراة كلامه ومثل هذا لا تفى به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تطبع
فيها صور الحقايق وعن عبد الله بن الشخير بكسر الشين والخا المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية
ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف ابن كعب العامرى الصحابى البصرى المخضرم الذى ادرك الجاهلية
والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذى والنساى
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل جوف كل شئ باطنه
والمراد به ما تحت صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزاءين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية
ساكنة وهو صوت الغليان اى الشديد وهو النشيش والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه
وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا رق صدره وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر
الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس قال ابن ابى هالة
الصحابى المتقدم رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان اى حزنا حزنا
يتصل بعضه ببعض بحيث لا يفصل بينها فرح وسرور وهذا يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله

والركوع والسجود

والاستغفار فانه انت العزيز الحكيم

دائم الفكرة اى تفكره دائما فى امره وامر امته ومن كان هكذا ليست له راحة لاستغراق اوقاته فى الذى
كلفه من اعباء الرسالة واحكام تبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقايع ومن ينط به امور جميع الخلايق
كيف يفضى من الهم فان الامور بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما
مع الناس فى مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاته من تقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه
امورهم وفى عشرة اهله وانما ذلك حال سكونه وهو بين الناس وفى خلوته بنفسه ومشيه ونضده
اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلقيا بالبشر ودوام كل شى بحسب زمانه فاقسم لكل زمان
ما يليق به فان للزند حليا ليس للعنق فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله
عليه وسلم دائم البشر وهذا مناقض له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى
الله تعالى عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين امنوا واستعاذ صلى الله عليه وسلم منه فقال اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن وتقدم
الفرق بينهما ان الهم لما يقع فى المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما تغير للعزم مضعف للقلب غير معدود
من مقامات العارفين ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله
عليه وسلم ما يصيب المومن منهم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به خطاياه يدل على انه مصيبة
توجر المرء عليها كسيئ عليه والحديث الذى ذكره المص رواه الطبرانى والقضاعى وقال
ابن القيم كما ثبت انه لم يثبت وفى سنده من لا يعرف ولا اعلم صحته وفى التوراة اذا احب الله عبدا
جعل فى قلبه نايحة واذا ابغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال ابن القيم اجمع اهل السلوك على ان
الحزن ليس من مقامات السايرين الى الله الا ابو عثمان الحيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة
كمال للمومن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة
كالمرض لا مقام كما قاله الحيلى وحزنه صلى الله عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة ورقة
القلب فكان يحب هداية الامة فاذا راى ما هم عليه من عنادهم وتخلفهم حزن لذلك
وخاف من ان ينسب اليه قصور فى دعوتهم ولما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه
من الوجوه ولا حاجة لتفسير دوام الفكرة بانها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه
فيجاب بان النهى غير الكمل كما قيل وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة
وروى سبعين مرة هذا حديث صحيح وسياتى الكلام عليه وقوله صلى الله عليه وسلم استغفر الله بمعنى طلب
منه المغفرة او ذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا يكون
الروايتان بمعنى وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الكباير والصغاير
مطلقا على الاصح المراد به مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد فى نفسه قصورا انزل منزلة الذنب فاستغفر له
او على اشتغاله بما ابيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا العوقه عن الشهود او هو تشريع لامته
او كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم او انه لم يزل مترقيا فى المقامات فكلما ترقى لمرتبة راى
ما دونها نقصا فاستغفر منه وسياتى تتمته وعن على كرم الله وجهه سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن سنته الطريقة التى هو عليها وهذا الحديث ذكره فى الاحيا وقال الحافظ العراقى

لا اصل له وقال السيوطى رحمه الله انه موضوع واثار الوضع لايحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية فقال
المعرفة راس مالى راس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة
معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن يعلمه وهى تختص بالعلم المسبوق بالعدم
او بالجزئيات فلذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال لله عارف الا انها جاءت بمعنى العلم ايضا
والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل اذا كان راس المال عمرك فاحترس
عليه من الانفاق فى غير واجب وقد تقدم والعقل اصل دينى او من العقل قوة غريزية فى الانسان
يستعد بها لادراك العلوم اى دينه وشرعه اى ما يتعبد به ويتدين قبل البعثة او قبلها او بعدها
مبنى على ما اودعه الله تعالى فيه من كمال عقله الذى هداه الى النظر فى مصنوعات الله الدالة على وحدانيته
وعظمته وانه هو الحقيق وفى الحديث ان عايشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله بم تفاضل الناس
قال بالعقل فى الدنيا والاخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال يا عايشة هل يعمل الا من له
عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطى الناس من بدء
الدنيا الى اخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا كلها
والحب اساسى اى محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لم يحب الاساس ما يبنى عليه مودى فى اتباع
اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس له كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله ولا يكمل ايمان احد حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه واهله وماله كما سياتى
بيانه وجميع هذه الامور فى نسق واحد لان راس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة
انما هو لتلوين الخطاب والشوق مركبى اى شوقى الى المطالب العالية والى لقاء الله تعالى هو الذى حركنى
حتى وصلت المرادى كما قيل وقالوا اذا اتيت لهم سريعا • بجد فى سبيل التلاقى • ركبت على البراق فقلت
كلا • ولكنى ركبت على اشتياقى • والشوق اعلى من المحبة لانه ينشو عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء
من يشتاقه وذكر الله انيسى وفى نسخة انسى يعنى انه يانس فى خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر
من ذكره صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه انس به واستوحش مما عداه ومن كان
لى وردى فى الصباح والمساء كان من الذاكرين الله وانظر لقوله اذكرونى اذكركم وقال ممنون
حقيقة الذكر ان ينسى ما سواه ويستغرق الاوقات فيه لا لانى انساك اكثر ذكرك • ولكن بذاك
يجرى لسانى • والثقة بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه
كنزى الكنز المال المكنوز المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان مثله مال مدفون لا يراه ولكنه
انفع مما يراه فكذا ما ترجوه من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عند الثقة كما قيل • والى لا رجو الله
حتى كاننى • ارى بجميل الظن ما الله صانع • وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود
والحزن رفيقى اى لا يفارقنى وذكره مع الانيس لان الرفيق انيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان
وقد علمت ما فيه والعلم سلاحى اى علمى بالله وبما علمنى من لدنه واوحاه الى ادفع به من يجادلنى
ويخاصمنى وادفع الشيطان ووساوسه كما يدفع العدو بالسلاح والات الحرب والصبر فى المكاره وتحمل
المشاق وعدم العجلة فى الامور ردائى الردا ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر

بنى

فيه سكون وتحمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع واللحاف صح كما قيل تدرعت صبري والتحفت صروفه وقلت لنفسي الصبر اولى فاهلكي لنيس شيء والرضا بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في النسخ بالمد غنيمتي جعل غنيمة لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة ويا سرها اذ الراضي بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل هل هي الا مدة تنقضي • ما يغلب الايام الا من رضي • ولا شك ان الرضى بما قدره الله واجب وقوله في الشرح الجديد واختلف العلماء في الرضى هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا ذهب محققو العلماء مما لا ينبغي ذكره والفقر فخري وفي نسخة البرهان وغيره والعجز بدل الفقر اي اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضى مقام العبودية كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل بمعنى اخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني كما قيل اذا ما التواني انكح العجز بنته • فساق اليها حين اصدقها مهرا • فراشا وطاء ثم قال لها اتكي قصاراهما لا شك ان تلد الفقرا • وقال ابن تيمية الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة واريد به لازمه وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم ليس بعاجز عما ذكروا وانما تركه واعرض عنه باختياره كما مر فالاوجه ان المراد به ما مر كما في الحديث لا يدخل على الله نحو الناس اي ضعفاؤهم وفي اخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفي حديث هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث الاسراء امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر وكذا قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقد روي بسند لا باس به واثبات الفخر له وقد نفاه في قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها او المراد فخري لو كنت ذا فخر كما قيل في قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة اي انما يخشاهم لو كان يخشى غيره وان كان المشهور ان المراد بالخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود فان الغني هو الله كما قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد والزهد حرفتي الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين والفاء هي الصناعة التي يرتزق بها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصلاة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيا كلها في قبضته والتعبير بالحرفة ليس في محله فانه يوهم انه جعلها تكسبا وفيه شاهد للوضع مما قلته في مشايخ زماننا قد قام في سوق الريا تاجر • وباع للسوق ارشاده • حرفته الزهد ودكانه • يبيع فيه الكذب سجاده • واليقين قوتي اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوة القلب من قام به لاطمينانه وعدم خوفه من غير الله وهذا امر لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور في التفسير وكتب الكلام والصدق شفيعي الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بما عاهده اليه ويصح

ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شفيعه سبب مصالحه عند الله او المراد تعليم امته والطاعة حسبي بفتحتين هو ما يعده المؤمن مفاخر باثه اي طاعة الله في السر والعلانية هي التي افتخر به واعدها ما نزلا لما يفتخر الناس به او هو بسكون السين اي الطاعة تكفيني والجهاد في سبيل الله او مجاهدة النفس بمخالفتها خلقي اي طبعت على محبته وقرة بضم القاف وتشديد الراء المهملة عيني الباصرة اي مسرتها وفرحها في الصلاة لما يشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة ماخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان بلوغ الامنية برؤية ما يسر يسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم ما فيه وفي حديث اخر لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب وثمرة فوادي في ذكره الفواد القلب او داخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه وغمي لاجل امتي لرقتي عليهم في الدنيا والاخرة وشوقي الى لقاء ربي ومناجاته والتوجه اليه

فصل

اعلم وفقنا الله واياك تقدم الكلام عليه ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو من عطف الخاص على العام اعتناء لشانهم وبيانا لشرفهم وسياتي تفصيله من كمال الخلق وحسن الصورة الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته وشرف النسب اي شرف ابائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهي الى ادم عليه الصلاة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع وحسن الخلق بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه وجميع المحاسن في هذه الصفة كذا في بعض النسخ وفي غيرها وعليه الشراح هي بالضمير بدل في الجارة قال القسطلاني هذه الصفة خبر ان ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير للفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المنطلق اي لا غيره واتى بها على لفظ الافراد ليغاير بين المبتدأ والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهي صفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع في غيرهم ومن بيانية لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من الغلاقة والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيكة جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبر ان ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتدأ وفي هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ناشئة من كمال الخلق الخ وجميع المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن لانها صفات الكمال اي هذه الصفات بها يكمل البشر والكمال والتمام البشري تقدم الفرق بين الكمال والتمام والفضل الجميع مبتداء وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه لهم خبره اي ثابت للانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سياتي ولكن فضل الله بعضهم على بعض استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله قال الله تعالى تلك الرسل المذكورين في سورة البقرة فالتعريف عهدي وجميع الرسل الذي يعلمهم فهو استغراقي فضلنا بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب علية غير اصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات

والفقر فخري

وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام واشار الى فضلهم على من عداهم بقوله وقال تعالى ولقد اخترناهم
على علم منا باحوالهم على العالمين وهذا من المص مبنى على ان الضمير للانبيا مطلقا والمراد بالعالمين جميع
العالم لا على ما اختاره غيره من انه لبنى اسرائل والعالمين عالمى زمانهم لكثرة الانبيا فيهم وقال عليه الصلاة
والسلام فى حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه ان اول زمرة اى طائفة وجماعة يدخلون
الجنة على صورة القمر اى وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله فى الاستدارة وغير ذلك ولذا قال
ليلة البدر وهى ليلة اربعة عشر وهو اضوا ما يكون فيها وسمى بدرا لامتلايه بالنور ولمبادرته
مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا فى اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم ان الهلال اذا رايت نموه
ينبيك ان سيعود بدرا كاملا والقمر يطلق عليه دائما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث
ثم الذين يلونهم كاسد كوكب درى فى السما اضاءة ثم قال اخر الحديث قلوبهم على قلب رجل واحد
لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرء منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم
يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون انيتهم
الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفيه اثوا لهم من الحور
العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتاخذ مقعدها قدر
ميل من الارض على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه الصلاة والسلام طوله ستون ذراعا
فى السماء والمراد بهذه الزمرة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وبالذين يلونهم الاوليا والعلما الراسخون
وقيل المراد بهم الانبيا والاوليا وبالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله انيتهم الذهب
والفضة اما على اللف والنشر فانية الفرقة الاولى من الذهب والثانية من الفضة او هما لهما
بقرينة جعل امشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفا اى من الذهب والفضة ويرجح بعضهم
ان يكون هؤلاء كلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتى سبعون
الفا بيض الوجوه تضىء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى
او هم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة ادم عليه الصلاة والسلام لانه كان احمل الناس واتمهم
خلقا والستون ذراعا اما بذراع نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر لكن روى
ابن ابى الدنيا عن انس يدخل اهل الجنة الجنة على طول ادم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف
وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلين وورد ان
عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود او اشقر صار ابيض بياضا معتدلا وروى
الامام احمد عن ابى هريرة يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين ابنا ثلاث وثلثين
وهم على خلق ادم ستون ذراعا فى عرض سبعة اذرع وقوله فى السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه اى
كابتداء خلقه وصورته اذ كان فى السماء او المراد جهة العلو اى طوله ذلك اذا كان منتصبا قائما فانه كما
استنبط بعضهم من ان ارتفاع مقعد الحور فى الجنة ميلان كل او من يدخل الجنة يكون طوله اثنا عشر
الف ذراع الشرع الذى هو شبران لان مقعد الحورا ميل فيكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الواحد
منا ثلث قامته تقريبا والغالب ان الذكر كالانثى فى الخلقة فيكون طول الرجل اثنا عشر الف ذراع

فائدة مقعد الحورا فى الجنة ميلان

كما تقدم يقسم على الستين الواردة فى الحديث فيكون كل ذراع من الستين مائتى ذراع شرعى تقريبا
وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى رواه الشيخان ايضا رايت موسى عليه الصلاة والسلام
ليلة الاسرى عيانا لا مناما لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام احياء لا تبلى اجسادهم فاذا رجل ضرب
اذا فجائية اى فاذا هو رجل ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الرا المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم
بمعناه المشهور وهو الذكر من بنى ادم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال
والسمن وقال الخليل رحمه الله انه القليل اللحم ووقع فى رواية الاصيلى بسكون الراء وكسرها والاصح
الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطويل وفى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما انه جسيم
سبط وحمل هذا على ما يوافق رواية مضطرب لا على كثرة اللحم كما وقع فى صفة الدجال فهو من الاضداد
رجل بفتح المهملة وكسر الجيم وجا فتحها فى لغة قليلة اى شعره متكسر قليلا ليس بسبط ولا تكسر فيه ولا جعد
متكسر كثيرا اقنى بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال
رجل اقنى وامراة قنوا وقيل القنا احديداب فى الانف فمعناه محدودب وليس بعيب فى الناس
وفى النهاية القنا فى الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب فى وسطه واما قول كعب رضى الله عنه
قنوا فى حرتها للبصير بها عتق مبين وفى خديها تسهيل فمعنى اخر لا حاجة لنا به هنا كانه
من رجال شنوة بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم
وهاء على وزن فعولة وهى اسم قبيلة ويقال لها ازد شنوة وازد شنوة وهى باليمن مشهورة وهى
من الشنا وهو التباعد مما يدنس يقال رجل شنوء اذا كان ظاهر النسب ذا مروة سميت بذلك
لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وافعالهم وهذا الحديث متفق عليه وفى رواية البخارى كانه من رجال
الزط وهو نوع من السودان الهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو وجه الشبه اى انه طويل غير
جسيم ورايت عيسى عليه الصلاة والسلام يقظة فى الاسراء كما سياتى فاذا هو رجل ربعة بفتح
الرا المهملة وسكون البا الموحدة وفتحها اى بين الطول والقصر معتدل القامة كثير خيلان الوجه
بكسر الخا المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السودا المعروفة وما قيل من ان كثرة الخيلان
مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية فى لونه فروى انه ادم اى اسمر وروى احمر كانما خرج من ديماس
بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب فى الارض
والمراد صفا لونه مع حمرة فيه فرواية ادم بمعنى شديد الحمرة لا تنافى هذه وفى حديث اخر لم يعرف
راويه مبطن بالتشديد والطا المهملة اى ضامر البطن كما فسره وقوله مثل السيف اى فى استوايه ودقته
وقد تعددت الرواية برويته صلى الله عليه وسلم للانبيا عليهم الصلاة والسلام يقظة فى السما والارض
لانهم احيا وصنف البيهقى فى هذا جزا مستقلا قال صلى الله عليه وسلم وانا اشبه ولد ابراهيم به
فى حليته صلى الله عليه وسلم ولونه كلونه فهو اكثر شبها به من سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام والناس
كلهم وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث اخر فى صفة موسى عليه الصلاة والسلام كما رواه البخارى
فى صحيحه كاحسن ما انت راء من ادم الرجال ما موصولة والعايد محذوف اى الذى انت رايه
وادم من الادمة وهى سمرة اللون فقيل هى فى الابل بمعنى البياض وفى الظبا سمرة الظهر وبياض البطن

ومؤنثه ادماء وادم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع ادم كاسمر وسمر وهي السمرة مطلقا او الشديدة
وقيل انها البياض والاول اصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضا من غير سوء اي عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا
كان اسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق واخرجه سعيد
ابن منصور في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا ما بعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلاة والسلام
نبيا وهو لوط بن هاران وهو ابن اخي ابراهيم وخصه بذكره بعده لانه من الشام فبعثه الله تعالى الى اهل قرية
يقال لها سدوم ليست من بلاده وليست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء لم يبعث الا في ذروة من قومه
ويروى في ثروة اي كثرة والذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اعلى كل شيء اي بين قوم لم
ذوي جدة وسعة وشرف لا غرباء ولا من قوم ليسوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم في علو النسب وشرف القوم والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد
تختص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهي مثلثة الذال ومنعة بفتح الحروف اي ميم ونون وعين
مفتوحات وهاء جمع مانع كخدمة جمع خادم ويجوز تسكين نونه او هو اسم مصدر في الاصل كصدقة
اي قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط عليه الصلاة والسلام مفصلة في كتب التفسير وفي قوله تعالى قال
ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد اشارة الى ما ذكره انه لم يبعث في قومه الذين ينصرونه ويحمونه
فان قلت كيف يكونون في منعة وثروة وقد قال في بعضهم وما امن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم
وقتل بعضهم وما مناسبة ما ذكرها عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية
قلت قد توهم بعضهم وروده ما ذكر وليس كذلك لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة يدل
على المحاسن الذاتية لاستلزامه لها وكونهم كثيرون لا ينافي عداوتهم واما المنعة فباعتبار من اتبعهم ولذا
ورد رحم الله اخي لوطا لقد اوى الى ركن شديد وهو لا ينافي الاية لان المراد الملائكة وما امده الله تعالى به
وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه تقدم ترجمة
الترمذي وقتادة وان الدارقطني منسوب لدار القطن وهي محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل
المشهور امام عصره في الحديث والفقه والقران وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمائل وغيرها
مرسلا ما بعث الله نبيا الا وقد خلقه حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم من ابتداء وجوده وخلقته
احسنهم اي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجها واحسنهم صوتا لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق
اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل يدل على معروفه حسن وجهه • وما زال حسن الوجه احدى الدلائل •
وقال • يدل على قبح الطوية ما ترى • بصاحبها من قبح بعض الملامح • وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع
من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق ولا يلزمه كونه على رسم الموسيقى وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم
كان اجمل من يوسف واحسن صوتا من داود عليهما الصلاة والسلام وكانت قراءته صلى الله عليه وسلم ليلا
في بيته يسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد في حديث الطبراني في يوسف فاذا انا برجل
احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله على من عداه صلى الله عليه وسلم لا سيما ان
قلنا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه صلى الله

او المراد من المنعة ما لا يتعلق به من امر النبوة مع انه قد سبق المغلوبية لارباب المنعة

عليه وسلم

عليه وسلم اعطي الحسن كله واعطي يوسف عليه وسلم شطره اي نصفه اي ان الحسن كله جمع له صلى الله عليه
وسلم من تناسب اعضاء وصفاء لون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف اعطي من جنس الحسن الكامل
فيه نصفا وجميع الخلق وقع بينهم ما يعدل نصفه الاخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به
في الحديث الذي نحن فيه وما قاله السخاوي في كتابه الامتنان من ان الجلال المحلي رحمه الله سئل عن حديث
اعطي نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشيء الواحد جميعه في شيء ونصفه في اخر فقال
لم يظهر لي جوابه وكذا ابن حجر وقد تاملت قوله في البردة البوصيرية • منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن
فيه غير منقسم فبان لي منه جوابه وهو ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره
بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام انتهى فيه نظر وهذه
مغالطة ونهرة لا تحتمل الفرك ومنشاؤه عدم الفرق بين تقسيم شيء بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع
فتدبر وفي حديث هرقل الاضافة لادنى ملابسة لذكره في الحديث كما يقال حديث الشفاعة
والاصل اضافته لراويه الصحابي او التابعي او لمن خرجه كالبخاري ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان
عن ابن عباس رضي الله عنه وابن عباس نقله عن ابي سفيان حين ارسل اليه هرقل وهو بالشام للتجارة
في ركب من قريش في مدة مهادنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله
عظماء الروم فسالهم عن احواله صلى الله عليه وسلم فكان اول ما ساله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال
هو فينا ذو نسب الى اخره فقال له اي الترجمان اليه بقوله وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
اي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله عليه وسلم وانه ليس في امهاته سفاح وكلهم من نكاح
الجاهلية كما مر وتقلبه في الاصلاب الطاهرة من الانبياء وقبيلته اشرف القبايل وبيته اشرف بيوتهم وكذلك
الرسل عليهم الصلاة والسلام تبعث في انساب قومها اي كل نبي له نسب عال في قومه لان من اختاره
الله للنبوة يختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل فبينه اتصاله بها باتصال الظرف بمظروفه
وقال تعالى في ايوب صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه
مسجد وقرية موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها اثر قدم في حجر يقال انه اثر قدمه عليه
الصلاة والسلام والناس يتبركون من عينه ويغتسلون منها للتبرك ويقولون انها المذكورة في القران
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال اوامره ونواهيه
واستشهد بهذه الاية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الصبر امر عظيم وخلق كامل
كريم حليم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الخ ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر
على ما ابتلاه الله به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله عليه وسلم صبر على قومه
وما قاساه منهم وقصة ايوب عليه الصلاة والسلام ونسبه مذكور في التفسير واختلف في زمن
نبوته فقيل كان قبل موسى عليه الصلاة والسلام وانه من بني اسرائيل ومدة بلائه ثلاث عشرة
سنة او ثلاث سنين وامراته اسمها ليا وقيل رحمة بنت يوسف وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين واستشهد المصنف
بما ذكر على محاسن الانبياء واخلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلاة والسلام الكتاب التوراة او غيرها

للتبرك ماء

واتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا

مصدقا بكلمة وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين

بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد آتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرة وخلقة وكان حنانا
في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته وقال
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين الايتين استشهد بهاتين الايتين علما
حواه الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه
قال ابراهيم اسحاق واسمعيل واولادهما وال عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على كمن
واحد وقال في نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يفعل شيئا
الا قال بسم الله والحمد لله وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الاية استشهد بهذه الاية علما
لعيسى صلى الله عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجليلة التي وصفه الله بها من انه وجيه اى
شريف قدره في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل
من خطه الشيب او من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلثين وانجزم به
القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة اقوالا اخرها انه بلغ المائة او زاد عليها وتقدم
معنى كونه كلمة الله وقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا الى ما دمت حيا قيل انه نبي
وهو صبي والهم حفظ التورية والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى
وكان نطقه بما ذكر تبرية لامه عليه الصلاة والسلام وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وذلك لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام لشدة
تستره حيا من الله بان في بدنه برصا او به ادرة فبراه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك
ساق المصنف الاية وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا بحاء مهملة وياءين ثانيتهما
مشددة بزنة صبي اى كثير الحيا ستيرا بكسر السين المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكينة اى
شديد الستر لبدنه وقد اشار لتفسيره بقوله ما يرى من جسده شيء استحيا وهذا يدل على عفة
وحياته صلى الله عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية المخففة
فعيل بمعنى فاعل والذي احفظه انه بكسرها وتشديد التاء الفوقية كسكيت وسكير وكذا ضبط في نسخ
البخاري ومن كان يستحي من كشف عورته وبدنه فهو اشد حيا من كشف غيره الحديث بالنصب
اى اقرا الحديث الذي رواه البخاري عن ابي هريرة او نذكره وتتمته انه صلى الله عليه وسلم لما كان
يكثر التستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا لبرص او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع
ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر وجرى خلفه يقول ثوبي حجر حتى مر على بني اسرائيل فراوه اكمل الناس
واصحهم بدنا فبرى مما اتبعوه واذوه به وقال تعالى عنه ضمنه معنى حكى فعداه بعن اى عن موسى
عليه الصلاة والسلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما الاية اى علما ونبوة وفراره
صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطي وذهب فكلمه الله كما هو مشهور وقال في وصف جماعة منهم اى
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اني لكم رسول امين وقع هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب عليهم
الصلاة والسلام كما حكاه عنهم على وجه الرضى والتصديق فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه
وقال موسى لشعيب عليهما الصلاة والسلام ان خير من استاجرت القوي الامين وقصته معه

في سورة قصص

عيسى مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين

نعاما جعلني مباركا واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وجعلني نبيا

تماما وجعلني من المرسلين

انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتي شعيب عليه الصلاة والسلام جالستان ينتظران
فراغ الناس ليسقي غنمهما قال لهما لم تاخرتما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعا فقال اما عندكم بير غير هذه
فقالتا عندنا بير مطبق عليها حجر لا نطيق دفعه وكان لا يرفعه الا عشرة من اشد الرجال فقال اذهبا فاريانيها
فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك ابانا على ما فعلت فقال ارشداني للطريق وامشيا
خلفي لاني رجل من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لي فاخبرتا اباهما
بقصته وقوته في رفع ذلك الحجر وامانته لامتناعه من النظر لهما كالمستاجره على ما قصه الله لرعي غنمه قال
البيضاوي الجملة معللة لما قبلها وللمبالغة جعل خبرا والاسم ان معرفتين يعني لم يقل ان من استاجرته قوي
امين بل اتى بجملة معرفة الطرفين لحصر الخبرية فيه فتدبر وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
فوصفهم بالصبر وهو من احسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم في الشدايد
وقد اختلف في اولي العزم كما مر وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله اوليك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وقد وقع في هذه الاية بحث ذكره الطوفي في تفسيره وهو انه استدل بهذه الاية
على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى امره بالاقتداء
بهداهم جميعا ولا شك في امتثاله واقتدائه صلى الله عليه وسلم واذا اتى بما اتوا به جميعا مع ما خص به كان افضل
من كل فرد بل فرد منهم ومن المجموع ونقل عن العز بن عبد السلام انه قال انه افضل من كل واحد منهم لا من المجموع
ولا دلالة في الاية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه في هذه المقالة الى ما وصل الى تكفيره
وانا اقول انا بري من نسبة مثله للعز والقايل هذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال
واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادة
على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالاية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له صلى الله
عليه وسلم غير ما لجميعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والها في اقتده هاء السكت
تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا ووصلا
ووصلها ابن ذكوان بها تشبيها لها بهاء الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هي ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقران
يدرسه فوصفهم باوصاف جمة اى كثيرة من الصلاح ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهم رجل صالح
حتى يقال انه ليس مدحا للانبيا عليهم الصلاة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف
كما حقق في شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهي ابلغ من غيرها كما فصله السبكي في فتاويه
والهدى والاجتبا وهو الاصطفا والاختيار للرسالة والحكم والنبوة اى الحكمة او فصل الامر على مقتضى الحق
وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وهو اسحق فوصفه بالعلم والحلم وهما امران عظيمان قال الانطاكي كذا
في النسخ والذي في القران فبشرناه بغلام حليم وبشرناه بغلام عليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر
وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى قوله امين والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان
يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فشبه امرهم بابتاعه بمعاملة المختبر والمراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب
بنبينا صلى الله عليه وسلم فوصفهم الله في هذه الاية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرهما وقال حكاية
عن الذبيح ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح مسلما لله ولذا سلمه الله وفداه وقال

ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين

سورة دخان

في سورة الانعام

ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين

في اسمعيل عليه الصلاة والسلام انه كان صادق الوعد الايتين صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه
اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن حزقيل وهو نبي بعثه الله لقومه فسلخوا راسه
فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم وهو
رسول نبي وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر على الذبح خوفا بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف
على قول وقال في موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مخلصا في طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والتقرب
اليه وقال في شان سليمان نعم العبد انه اواب اي مسبح او رجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل
الرحيم او كثير الصلاة وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهو اسرائيل ابو انبيا بني اسرائيل اولي
الايدي والابصار الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الجارحة الظاهرة
وقوتها وعلى القوة الباطنة المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ ومعنى اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار جعلناهم خالصين بسبب انهم لا يذكرون الا الدار الاخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست
بدار مقر بل ممر ومعبر وعندنا للقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد كمعد التخفيف وقال في داود انه
اواب تقدم تفسيره ثم قال في حقه وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب اي قويناه بالعدل والتوفيق
له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاث الف متسلح
او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما بعد وهو اول
من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقيل غير ذلك وقال عن يوسف عليه الصلاة
والسلام اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم وقيل الارض هنا ارض مصر وفي الاية دليل على جواز
طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون يوسف اسلم وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام
اشهر من ان تذكر وقال في موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وهذه قصته مع الخضر
عليهما الصلاة والسلام المشهورة وقال عن شعيب عليه الصلاة والسلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال عنه ايضا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت شعيب
من نسل ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله
تعالى بالصلاح والاصلاح وانه لم يومر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال ولوطا
اتيناه حكما وعلما فلوط ابن اخي ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هنا وقال انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الاية اي شانهم المبادرة الى فعل انواع الخير وسوال الله تعالى في الرغبة والرهبة وقال سفيان
الثوري او ابن عيينة في تفسير هذه الاية هو الحزن الدائم قيل هو راجع الى الخشوع في قوله وكانوا لنا
خاشعين وفي الشرح الجديد يريد ان ما ذكر في الاية من الخيرات هو الحزن الدائم الذي ينشا عن خير
من سلك طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول في اي جمع اية كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وهذا ابتداء كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله اي ما ذكر من الايات
مندرج في ايات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه وجا من ذلك اي من وصف
كمالهم عليهم الصلاة والسلام في غير القران في الاحاديث الصحيحة كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم
بن الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي ابن نبي بن نبي هذا الحديث

اي الاخيار يعني قوله سبحانه انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار جعلناهم بخالصة خالصين لن نخلطهم بحب ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار

وستجدني ان شاء الله

ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم

ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين

الحزن الدائم الموروث لما رعه ابن الحنبلي

في البخاري

في البخاري بدون انما وقوله نبي بن نبي الخ والكريم ليس بمعنى السخا فانه استعمال طار وانما هو
معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خصه يوسف عليه الصلاة والسلام
بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع اربعة من الانبيا من الحسن المفرط والعفة والملك
والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول
ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا ابت لم تعبد الاية كرر يا ابت مبالغة في استعطاف ابيه والاطراد
كقوله واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات احيانا واما
انكاره لمن خاطبه وقوله اسجع كسجع الكهان لانه ليس في محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه انما
ذكر ليس من قبيل التكرير لان كرر مما ليس معناه واحد في الحديث وان ما ذكره ليس من قبيل السجع
وليس بشي لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ما صدق عليه والسجع ما تحدث قافية وفي
حديث انس رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فهو من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومراتب الخصايص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص
به صلى الله عليه وسلم دون ساير الناس الانبيا وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم
دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرايع السابقة ومنها ما اختص
به صلى الله عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبيا كما نحن فيه ولذا كان وضوءه صلى الله
عليه وسلم لا ينقض بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون الامم السالفة
وانبيائهم كالتيمم فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح
حتى طلعت الشمس عليه لا يصح ان يكون هذا تشريعا للامة لانه لا يفعل ما يمتنع شرعا للتشريع وان
لزمه ذلك من غير قصد له قلت اجيب عنه باجوبة احدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان له حالات حال لا ينام فيها قلبه وهي الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه الثاني
انه يغيب عنه في نومه ما يحس بالبصر مما لا يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح بعضهم
هذا الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى يتعطل احساسه وقد يستغرق لاشتغاله بالوحي كما كان يشاهد
منه اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد انه لا يستغرق قلبه حتى لا يدرك الحدث قال
ابن الدقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضعيفة ان قلبه صلى الله عليه وسلم كان
يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا لما مر وفي هذا اشارة الى يقظة قلبه وانه لا يغفل وهذا
من جملة الكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة وروى رواه الطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
سليمان عليه الصلاة والسلام كان مع ما اعطي من الملك لا يقع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا
لله وذلك لتعظيم ملكوت الله وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله في جهة وحيز كما يتوهم
وكذا كان ابوه داود عليه الصلاة والسلام كما ذكره الغزالي في الاحيا حياء من الله تعالى اي حيا من ملائكة
الله تعالى لقصوره في عمله من اعمالهم لا يفترون عنها طرفة عين ولا يناقي هذا قوله افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت والى السماء كيف رفعت لانه مقام اخر وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة ويأكل الخبز
الشعير جمع لذيذة وهو ما يشتهى ويميل الطبع من الماكولات واوحى الله اليه يا راس العابدين

اى اعلامهم ورئيسهم وابن محجة الزاهدين اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لجمعهم ومقصدهم
او مقتداهم الذين يانسون لسنته ومسلكه وفى نسخة بحجته وزهده صلى الله عليه وسلم لا ينافى ملكه وقدرته
بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك وكانت العجوز خصها الحقاد تها تعترضه اى تجئ له صلى الله عليه وسلم
وتقف مقابلته وهو راكب على الريح فى جنوده وعزة سلطانه فيامر الريح فتقف فينظر فى حاجتها
ويمضى لقصده وقيل ليوسف عليه الصلاة والسلام مالك تجوع وانت على خزاين الارض فقال
انى اخاف ان اشبع فانسى الجايع المراد بخزاين الارض المخزون من الاموال والارزاق وروى ابو هريرة
رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى عنه خفف على داود القران هو مصدر بمعنى القراة
كالغفران والمراد قراة كتابه وهو الزبور او المتوهوقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم فيما نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويطلق على المعنى القايم بذاته تعالى اشتراكا او مجازا على طريق الاستعارة او المجاز المرسل
والمراد بتخفيفه سرعة قراته فى زمن يسير فكان يامر بدوابه فتسرج وروى بدابته والمراد الجنس المختص به
فيقرا القران قبل ان تسرج قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله عليه وسلم او من البركة فى الزمن اليسير
حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووى وبلغنا ان من الناس من قرا اربع ختمات بالليل واربع ختمات
بالنهار ولا ياكل الا من عمل يده مع انه صلى الله عليه وسلم ملك خزاين الارض بيده وكان ادم عليه الصلاة والسلام
حراثا ونوح عليه الصلاة والسلام نجارا وادريس عليه الصلاة والسلام خياطا وموسى عليه الصلاة والسلام
راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لا ينافى توكل الخواص ثم بين عمله بقوله قال تعالى والناله الحديد
فكان اذا مسه بيده لان له كالشمع والعجين من غير نار وضرب ان اعمل سابغات او دروعا طويلة تامة
من السبغ وهو السعة وقدر فى السرد نسجه اى عمله واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى
تقديره جعل ثقوب طرفى الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير دقيقة فتقلق ولا غليظة فتكسر الحلق
وقيل ان دروعه صلى الله عليه وسلم كانت بلا مسامير للينها وان فى قوله ان اعمل تفسيرية او مصدرية
بتقدير الجار قيل كان تكسبه لانه اختفى وداد يسال الناس عن سيرته فيهم فلقى ملكا فى صورة رجل فساله
عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا ياكل من بيت المال واصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة
وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة
الجهاد والكسب الانتقال عن المطالبة وكان داود عليه الصلاة والسلام سال ربه ان يرزقه عملا بيده
يغنيه عن بيت مال الله وسببه ما مر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغى ان يكون له ما يتكسبه ليلا ياكل
من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا ياكل من بيت المال الا بقدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل
كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم وقال عليه الصلاة
والسلام فى حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الاتى وما بعده ياتى من نقله احب الصلاة
الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وبين ذلك بقوله كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه وقيامه فى وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سايل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام
سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبح بنشاط الاستراحة وهكذا ينبغى للمتهجد
ولم يتعرض احد لصلاة الامم السالفة ولا لصلاته صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا وبيان كيفيتها الا ان السيوطى

رحمه الله

رحمه الله تعالى نقل فى الخصايص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى يا ايها الذين امنوا ركعوا واسجدوا
وكان يصوم يوما ويفطر يوما وفى هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهى عنه مع ان
هذا اشق منه لان من اعتاد شيا صار طبيعة له لا تضره وهذا الحديث اخرجه وقوله وكان اى داود عليه
الصلاة والسلام يلبس الصوف ويفترش الشعر اى ما نسج منه لانه خشن يمنعه النوم والاستغراق فيه المانع
له عن ورده وهذا شعار الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصلحا وياكل خبز الشعير بالملح والرماد الملح
ادام بخلاف الرماد فكانه كان ياتدم به على خلاف المعتاد او يضعه فى ادامه ليلا يلتذ به ويمزج شرابه بالدموع
لكثرة بكائه وعدم خلوه منه ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة وهى تزوجه بامراة اوريا بعد ما ساله ان ينزل
له عنها ففعل وتزوجها فجاءه ملكان فى صورة رجلين يدعيان نعاجا على ما قصه الله تعالى وليست هذه خطيئة
ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمته
عما لا مزيد عليه لا شاخصا رافعا وفاتحا بصره نحو السما اى جهة العلو حيا من ربه سبحانه وتعالى كعادة
من اذنب فانه يطاطى بصره ولم يزل باكيا حياته منصوب على الظرفية اى مدة حياته صلى الله عليه وسلم
كلها تاكيد لما قبله وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه لكثرتها وهذا رواه ابن ابى حاتم عن انس رضى الله
عنه مرفوعا وعن مجاهد غير موقوفا وحتى اتخذت الدموع لياخذه اخدودا هو فى الاصل الشق
المستطيل فى الارض المتعمق لتاثير الدموع فى مجراها ان يعلم وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقى
وقيل كان يخرج من منزله متنكرا اى مستخفيا من معرفة الناس لتعرف سيرته جملة مستانفة لبيان سبب
تنكره فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا لله لما منحه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا كمن يزداد بمدح
الناس له غرورا وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام كما اخرجه احمد بن حنبل وابن ابى شيبة عن ثابت لو اتخذت
حمارا لتركبه لتستريح من المشى قيل انا اكرم على الله ان يشغلنى بحمار هذا من زهده وستره حاله ايضا
اذ لم يقل انا اتواضع بالمشى وشغله يشغله كسابيساله وشغله لغة رديه وكان يلبس الشعر اى
ما نسج منه زيادة فى تقشفه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يتخذه شعارا لاظهار الزهد فان اخفاه
افضل لما فيه من الريا وياكل الشجر اى ورقه او المراد به مطلق النبات تجوزا ولم يكن له بيت يملكه او يختص
به ايما ادركه النوم اى وقت نام اى ينام فى اى مكان يجن عليه الليل فيه وكان احب الاسما اليه وفى نسخة
الاسامى اى الالفاظ التى ينادى بها ان يقال له يا مسكين رغبة فى التواضع لعظمة الله عز وجل وقيل عليه
نحن مامورون بتعظيم الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومحبتهم وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال احد لنبى
من الانبيا يا مسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم كفر ومعصية فلا ينبغى لنبى ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم
نبينا صلى الله عليه وسلم وان لا ننادى باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع اصواتنا عنده توقيرا له
وحرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا كما سياتى بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فكان يجب على امة عيسى عليه الصلاة والسلام ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى
بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب وقيل مثله لا يطرق على عجب ولا يخشاه واجيب بحمل هذا
على نصب دعى لم يومن به فكانوا يقصدون بذلك تنفير الناس على الايمان به واتباعه كما وقع مثله
من المشركين فى نبينا صلى الله عليه وسلم فكان عيسى عليه الصلاة والسلام اذا بلغه ذلك عنهم احبه واتما

المؤمنون به فيجب عليهم تعظيمه افراده ممن امن به اذا سالهم سايل عنه اهو ذو مال ام فقير فيقولون
هو مسكين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة المساكين وكما قال ابو العتاهية اذا اردت شريف القوم كلهم فانظر الى ملك في زي مسكين
والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر اقول لا وجه للسؤال ولا للجواب اما الاول
فلان عيسى صلى الله عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون في شرعهم يجوز مناداته
وخطابه بمثاله من مؤمنيهم وخواص حواريهم وان لم يجز مثله في شرعنا ولا ما يقرب منه واما الثاني فلان
جعله من كفارهم او مومنيهم في غيبته لا يصح لان اظهار محبته وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح
في عكسه لمن له ادنى فهم وقد روي ما من كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلاة والسلام احب اليه الخ وقيل
ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين هذا الحديث رواه احمد في الزهد وابن ابي حاتم
عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا وتقدم ان وروده عليه الصلاة والسلام لما مدين كان لما فر من قبط
مصر فلقي ابنتي شعيب على ذلك الماء وبينه وبين مصر ثماني مراحل واكثر في قصته السالفة المذكورة في القران
وكان عليه الصلاة والسلام حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاؤه وكانت ترى خضرة
البقل الذي كان ياكله عليه الصلاة والسلام اذ لم يجد غيره والبقل ما ليس بشجر من النبات التي لا تبقى اورمته
واصوله بعد اخذه وهو معروف في بطنه من الهزال بضم الهاء وزاي معجمة وهو ضعف مذهب للحم وقال
عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابي سعيد الخدري وصححه ولقد كان الانبياء قبلي تبتلي بالبلاء للفعول
ونائبه احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك الابتلاء احب اليهم من العطاء اليكم لتيقنهم بما اعد الله لهم
في مقابلته وهوان لنعيم الدنيا عندهم لفظ والحديث ليس كما ذكره المص وهو ما قال ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه قلت يا رسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت
ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لا يجد الا العباء يلبسها ولاحدهم
كان اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء وهو صحيح مسلم والمراد ما يعطى من السعة وفي الدنيا قيل وهو يدل
على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يشق عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الا ان ابن الملقن
رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يوذيه صلى الله عليه وسلم تكريما له ونقل عن عبد الرحيم الله
في التمهيد ان نعيم ابن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يقتل القمل في الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لا يتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف
وانما كان يوجد في ثيابه من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولو قيل ان
الضمير يبتلى في حديث الحاكم للصالحين كان اقرب انتهى وهذا ينافيه ما نقل عن التمهيد وقد تقدم
وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلو همتهم في النظر للاخرة وقال عيسى عليه
الصلاة والسلام لخنزير لقيه المراد به الحيوان المعروف وتجويز ان يراد به الكافر او العدو
والجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا اذهب بسلام اي اذهب مصحوبا بالسلامة فقيل له
في شان ذلك القول الذي قاله فانه لا ينبغي فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء عملا بقوله تعالى
ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل به وقال مجاهد كما رواه احمد وابن ابي حاتم كان طعام

يحيى

يحيى عليه الصلوة والسلام العشب وهو النبت الذي يخرج بغير ذرع وعينه مضمومة وكان يبكي من خشية
الله عز وجل والخشية خوف مع تعظيم حتى اتخذ الدمع مجرى في خده اي صار محل جريانه متخفضا متميزا عن غيره
لتاثيره بدوام جريانه فيه وكان ياكل مع الوحش اي كان يحيى عليه الصلاة والسلام ياكل العشب في القفار
الخالية التي يسكنها الوحش وياْلفهم فيها ويكون معهم لئلا يخالط الناس اي يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه
عن العبادة وذكر الله وما ذكر رواه احمد في الزهد عن الخولاني وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه
الصلاة والسلام كان يستظل بعريش هو كل ما يستظل به خيمة كان او خشب او نباتا وياكل في نقرة في حجر
بوزن حفرة فلا ياكل في آنية ويضع طعامه في الارض ويكرع فيها اي يضع ما يشرب به في نقرة يكب عليها ويشرب
منها بفيه اذا اراد ان يشرب واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء في الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة
او لغيرها من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
كما تكرع الدابة اي تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب راسه ليشرب تواضعا لله بما اكرمه
من كلامه اذ كلمه بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما واخبارهم اي الانبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا
كله من النعوت التي تقدمت في هذا الفصل المعقود لها مسطورة في كتب الحديث والتفسير المعول عليها
وصفاتهم في الكمال وحسن جميل الاخلاق كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع وحسن الصور والشمايل
جمع شمال وهي الخلق والسجية وينبغي ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمايل ما ينشو عنها من الاثار
معروفة مشهورة وعبر في الاولى بانها مسطورة وفي هذه بانها مشهورة تفننا في العبارة ولان الاولى اخبار
يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لايقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة
للاعادة ولكن ذكرنا منها ما ذكر ليعلم قدرهم وفضلهم فلا نطول بها مع انها معلومة ثم لما كان في بعض الكتب امورا
متعلقة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام غير لايقة بهم حذر منها وقال لا تلتفت اي لا تعتبر وتعتقد واصل الالتفات
لي العنق وانعطاف بالجانب لتنظر ما تريد معرفته فتجوز به عما ذكر ومنه الالتفات البديعي الى ما تجده وتقف عليه
في كتب بعض جهلة المورخين جمع مورخ بالهمزة وقد تبدل واوا وهو المصنف في التاريخ وهو فن معروف
وهو لفظ عربي اصله بالارخ مستعار للحادث من ولد البقرة او هو معرب ماه روز وهو بعيد جدا اول
ما حدث في زمن عمر رضي الله عنه وفي كتب بعض المفسرين مما يخالف امثال هذا المذكور فصل
قد اتينا اكرمك الله جملة اعتراضية والخطاب لمن ساله تصنيف هذا الكتاب كما مر او لكل من يقف
على كتابه وليس فيه تجريد لمخاطب من نفسه كما قيل ومفعول اتينا مقدر اي مما عرفته وسمعته او مما فيه
مقنع بقرينة ما ياتي من ذكر الاخلاق الحميدة اي المحمودة الممدوحة وهو بيان لمقدر او لما الاتية بناء
على جواز تقدمه والفضايل الجيدة اي الكريمة الشريفة وخصال الكمال العديدة اي الكثيرة المعدودة
وقد تقدم انه قد يفيد الكثرة لان القليل لا يحتاج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول واريناك
اي اعلمناك واوضحنا لك صحتها له صلى الله عليه وسلم اي كونها صحيحة لايقة به وجليناها بجيم ولام مفتوحتين
ومثناة تحتية اي اوضحناه وبيناه وفي نسخة جليناها بموحدة اي دوناها ونقلناها وفي بعض النسخ حكيناها بالكاف
بدل اللام والمعنى واحد من الاثار جمع اثر وهو ما يبقى من علامات الشيء الدال عليه ويطلق في حقه
على الحديث وقد يخص بالموقوف وكلام الصحابة ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف

وكلام الاكابر وهو المراد هنا ما فيه مقنع بفتح الميم والنون وقاف ساكنة مصدر ميمي بمعنى القناعة او هو صفة
مشبهة بمعنى ما به القناعة والرضى وفي القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان اي يرضى ويكتفى بشهادته وقد قال
ابن الحاجب ان مفعولا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فما ذكر هو المقنع نفسه
فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن والباء وما قيل من ان المراد به الدليل
وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام والامر اوسع جملة حالية
اي شانه صلى الله عليه وسلم ومقامه اعظم مما ذكرناه واكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها وعلى تفنن واصفيه
بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف فمجال هذا الباب بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اي محل
تجول فيه الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصال او محاسنه صلى الله عليه وسلم في حقه صلى الله
عليه وسلم اي ما يقال في امره وشانه الذي يحق له ممتد اي واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال المجلس
والمقام العالي عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله ينقطع دون نفاده الادلاء جمع دليل وهو من يتقدم الركب
ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق ان يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه
صفاته صلى الله عليه وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقا وشبه
من يستفيدون منه لها ويهديهم في الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدي
لسبيله والادلاء جمع دليل لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادي السابلة كانبياء جمع نبي واصله ادللا وقيل انه جمع ادلة
بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكماله صلى الله عليه وسلم لو اريد عنايتها بالادلة كالآيات والاحاديث
واقوال الصحابة لم يكن الا ان يراد به بيان المقصود منه ونفاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغ ويحر علم خصايصه من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء
وقد يعكس لكنه قليل لا تكدره الدلاء جمع دلو وهو ما يؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديرها عبارة عن بلوغ
آخره لانه اذا بلغ حركة طينه فيكدر ما فوقه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف
الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته لكنا اتينا فيه بالمعروف المشهور الذي يعرفه الناس مما اكثره في الصحيح
اي الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله اكثره الى ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر بعض
المصنفين لها اوردها لما فيها من الفضائل كما اشار اليه بقوله والمشهور من المصنفات التي لم يلتزم فيها
الصحيح واقتصرنا في ذلك الذي اتينا به واوردناه اي اكتفينا بقل من كل وفي نسخة من كثر والاصح ما ذكرناه والقل
بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة اي ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا
او دون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به وغيض من فيض الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية
والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض بفاء وياء مثناة تحتية وضاد معجمة من فاض
الماء اذا تدفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق وافتنان ورأينا هو من الرأي لا من الرؤية اي خطر لخاطر
ان نختم هذه الفصول اي نجعل خاتمة هذه الفصول التي سبق ذكرها في هذا الباب بذكر حديث الحسن
رضي الله تعالى عنه ابن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الذي رواه الترمذي في شمايله واخرجه ابن سعد والبيهقي
والطبراني ورواه المصنف عن مشايخه عن ابن ابي هالة وهو هند بن ابي هالة الصحابي رضي الله عنه ربيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمة

لجمعه الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام من شمايله واوصافه عطف تفسير كثيرا مفعول جمعه
المصدر المضاف لفاعله وادماجه اي اشتماله من ادمج الشيء اذا لفه وستره وقيل المراد الاحكام واتقانه
وانه اولى جملة كافية من سيره وفضائله مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهري دمج دموجا
اذا دخل في الشيء واستحكم ونصله تنبيه لطيف على غريبه ومشكله اي بنبين في التنبيه ما في الحديث من غريب اللغة
وما يشكل من تركيبه حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان
وخمسمائة هو الامام الحافظ ابو علي بن سكرة الذي تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو القاسم التكنية
بهذه الكنية جائز وما ورد في حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي محمول على حياته صلى الله عليه وسلم او على الجمع بينهما
على ما ياتي في ذلك من الخلاف عبد الله بن طاهر بطاء مهملة تقدمت ترجمته التميمي منسوب لبني تميم قبيلة مشهورة
قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري الاديب هو العارف
بعلوم الادب الاثنى عشر المشهورة والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي منسوب للمحمدية قرية
من قرية تولنس وتسمى بهذا الاسم قرى اخر بنواحي مصر وبغداد واليمامة والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر
الوخشي بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول
وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن علي بن محمد ابن جعفر البلخي يروي عن جماعة وحدث
عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن ابن علي البلخي سنن ابي داود وهو ثقة ترجمة معروفة الا انه اتهم
بالقدر توفي خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ وعمره ثمانون سنة قالوا حدثنا
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة قال
انبانا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي نسبة للشاش بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ الثقة ابو سعيد
الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل صاحب المسند محدث ما وراء النهر سمع من الترمذي وغيره توفي سنة
خمس وثلثين وثلثمائة قال انبانا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ الامام الترمذي صاحب
السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم قال حدثنا سفيان بن وكيع
ابن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة سبع واربعين ومائتين قال
حدثنا جميع بزنة مصغر جمع ضد المفرد ابن عمر بن عبد السلام الرحمن العجلي الكوفي وعجل بكسر العين قبيلة
المهملة وسكون الجيم املا من كتابه الذي بيده او بيد غيره وهو احد طرق الرواية المقبولة من الثقة المصحح
لكتابه وما روي من منع الرواية من كتابه المصحح خلاف لما فصلوه قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد ابي هالة
زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله هذا الرجل هو عبد الله بن ابي هالة الذي
كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وهذا الرجل اخرج عنه الترمذي في شمايله عن ابن
ابي هالة قال الذهبي وتبعه البرهان ان هذا الرجل لا يعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا
وهالة علم منقول من هالة القمر وهي دارته عن الحسن ابن علي بن ابي طالب قال سالت خالي هند بن ابي هالة
لانه اخو فاطمة الزهراء رضي الله عنها لامها قال القاضي ابو علي بن سكرة المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين
وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن خذاذ الكرجي الباقلاني وخذاذ بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة والف
ودال مهملة ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب حداد ابدلت مهملة ومعناه بالفارسية

عطية الله والكرجي بفتح الكاف والرا المهملة ثم جيم منسوب للكرج اسم بلدة لابي دلف العجل واسم بلدة بالدينور
وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلا اذا شددت لامها قصرت وان خففت
فتحت قال ابو علي واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون هو الحافظ المتقدم ترجمته
قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بشين معجمة والف وذال معجمة
والف ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور وابن حرب كضد السلم ابن مهران بكسر الميم الفارسي منسوب
لفارس ديار العجم قراءة عليه فاقر به هو شرط لقبول الرواية عمن قرا عليه فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان
فيقول نعم اخبرني به فلذا قيده المص بهذا قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
بن عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان
ونسبه كما هنا وروى حديث علي وذريته يجتمعون الاوصيا الى يوم القيمة وهذا الحديث يدل على كذبه ورفضه
وهو متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم الناس عليه لانه معمر توفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قال حدثنا اسمعيل
بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين علي هذا هو جعفر بن محمد الصادق روى عن ابيه واخيه موسى روى عنه الترمذي
دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذي عن اخيه موسى بن جعفر هو موسى
بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة عن جعفر بن محمد هو الصادق وقد تقدم عن ابيه محمد
هو محمد بن علي ابو جعفر الباقر عن علي بن الحسين هو زين العابدين الامام المشهور قال قال
الحسين بن علي رضي الله عنهما واللفظ لهذا السند يعني اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثاني
والسند بالنون يعني الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن علي بن الحسين
زين العابدين وكذا انه رواه اخوه الحسن هو بن علي كما في المقتفي وهذا اسناد شريف لان
رواته كلهم من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمساني رحمه الله انه
اذا قرئ على مصاب افاق ورجال السند كلهم معروفون قال سالت خالي هند بن ابي هالة
عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان اي مما يرى من وجهه الشريف
وبدنه وهي بكسر الحا المهملة وسكون اللام وكان وصافا اي فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه
او كان معروفا بذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم وانا ارجو جملة حالية اي راجيا ان يصف
لي منها اي من حلية النبي صلى الله عليه وسلم شيا اي مقدارا منها لان جميعها لا يحصى او بعضا لا نفي العلم
به اتعلق به اي احفظ واتمسك به تبركا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما بفتح الفا وسكون
الخا المعجمة والفخم بوزن المكرم والمفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة في الاجسام ثم شاعت
في القدر والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضا النبي صلى الله عليه وسلم
تامة الخلقة وواسعة سعة غير مفرطة كما تقدم في الباب الثاني انه كان واسع الصدر وعينه نجلا
اي واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ باللحم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما
انه كذلك في العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما انه صلى الله
عليه وسلم مهابة في العيون والصدور مع الجلال يتلألأ وجهه اي يضيء ويشرق وهو ماخوذ

نـ لم يذكر صح

مطلب الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان

مطلب يتلألأ وجهه

من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه تلألؤ القمر ليلة البدر اي فيه نور كنور القمر في ليلة البدر وقد تقدم
الكلام فيه وتفسيره اطول من المربوع وهو الذي بين الطويل والقصير كالربعة وقال التلمساني
المراد به هنا القصير الذي تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه صلى الله عليه وسلم بانه ربعة
واصل المربوع الحبل المفتول على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى اقول لا حاجة لما ذكر
لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا امر تحقيقي
وربعة امر تقريبي فلا منافاة بينهما ولذا قال واقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال
المعجمتين والباء الموحدة وهو المفرط في الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهي التي
قطع بعض جريدها والتشذيب قطع كالتقليم عظيم الهامة بالها وتخفيف الميم وهي الراس وليس
المراد انها مفرطة في الكبر بل كبيرة كبرا نسبيا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل
وقيل الهامة وسط الراس وقيل مخه ولها معان اخر غير مناسبة هنا رجل الشعر بكسر الجيم على وزن
حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كما مر والمراد انه فيه تجعد قليلا وهو من صفاته
الممدوحة فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة والسبط المسترسل ان انفرقت عقيقته فرق
اي صار شعر راسه فرقتين والعقيقة الشعر الذي على راس المولود الذي يخرج عليه حين يولد
من عق اذا قطع لانه يحلق في اليوم السابع فسمي به شعر النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المجاز المرسل
لاستعمال المقيد في المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه متفرقا على حاله اذا انفرق
بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الراس وفي رواية عقيصته
بالصاد المهملة بدل عقيقته والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه وفي رواية اذنيه بالتثنية وهما بمعنى
كما يقال نظرت بعيني اذا نظر بعينيه وهكذا في كل عضو كان كذلك كما هو مقرر في العربية وشحمة
الاذن ما لان منها حيث يعلق القرط وتقدم في هذا الحديث ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اللمة الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر
شعره صار لمة اي ما يلم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة
وهي ما سقطت على المنكبين فالوفرة ابلغ منها اللمة والجمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق
سنة بخلاف السدل من قدام او خلف ومعنى قوله والا وان لم ينفرق فعلم منه انه اذا فرق جاوز
الشحمة ووصل المنكب واحواله مختلفة في الطول ولذا قيل له لمة وجمة اذا هو وفره وفي بعضها
وفر بدون ضمير والمعروف رواية الاول كما قال المزي وفاؤه مخففة ومشددة اي كثره وقد يقال
بعد الحلق وغيره كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب ازهر اللون
سياتي معنى ازهر وان معناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ونحو هذا علم
ما روي انه كان اسمر ولعل راويه عبر بنحوه ولم يحققه لانه لمهابته صلى الله عليه وسلم لا يحد النظر
في وجهه وفي رواية انه كان ابيض شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا
سمي خزيمة الابرش الوضاح ويؤيده انه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان عنقه كوز فضة وياتي
كان ساقه جماره وكشف ظهره فكانه سبيكة فضة وقيل انه سمرته حمرته ولذا قيل في الجمع بين الروايات

انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره واسع الجبين في القاموس الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الجانبين والجبهة وسطا وهو جميع ما بين الصدغين فتدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر ازج الحواجب ازج افعل كاحمر والزجج تقوس في الحاجب مع طول في طرفيه وامتداد بدقة في طرفيه واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان الجمع اثنان او لاطلاقه على اجزايه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر وسمى به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين سوابغ بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما يعقل وقيل جمع سابغة وفيه اى طوال كاملة من غير قرن بفتحتين اى من غير اقتران واتصال لانه غير محمود عند العرب وما وقع في حديث ام معبد من وصل حاجبه صلى الله عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر دقيق جدا لا يظهر الا لمسافر وعلاه غبار السفر فظن قرنا وما قيل انه بطريق الراى وانه لاختلاف الروية قربا وبعدا او انه حدث له صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لا وجه له بينهما اى بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع في الحواجب بمعنى المثنى هنا عرق يدره الغضب بضم اليا مضارع الادرار من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب بعد ما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافي ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار اكثر احواله صلى الله عليه وسلم وانه لا يغضب لنفسه ولا لاجل امر دنيوى ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمته وفي ضربه للاعدا كما قال البوصيرى رحمه الله يجينه عرق يدره اذا سطا • غضبا على الاقران يوم طعان والغضب يهيج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق اقنى العرنين القنا في الانف طوله ودقة ارنبته اى طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه والعرنين بكسر العين الانف او ما صلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اول حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال العرانين تلقاها محسدة • ولن ترى للئام الناس حسادا • له نور يعلوه الضمير له صلى الله عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله له نور لكنه اول ما يتعلق به ولذا سمي انفا يحسبه من لم يتامله اشم الشمم في الانف ارتفاع وسط قصبته مع استوا اعلاه واشراف ارنبته قليلا يعني ان وسطه في استوا مع اعلاه واسفله ولكن الحالة قد يظن ان فيه ارتفاعا وان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما وقد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب رضى الله عنه شم العرانين ابطال لبوسهم • من نسج داود في الهيجا سرابيل والتامل اعادة النظر وتكراره ليتثبت فيه ويقف على كنهه وهو في الاصل تفعل من الامل والرجا لان الانسان لا يعيد النظر غالبا الا لما فيه امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول اصح كث اللحية بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قولهم من سعادة المرء خفة لحيته معناه كثرة تحريكهما بذكر الله او المراد عدم طولها ادعج اى سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال رجل ادعج اى اسود وليس مرادا كما لا يخفى فيه كلام سهل الخدين اى غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط

ضليع الفم بضاد مفتوحة معجمة اى طويل انشقاق الفم وسعته وهو مما يمدح به ويعاب ضده بدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمساني وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطاء منهم او لمعنى اخر لا يلتفت اليه كما مر اشنب بنون بين شين معجمة وبا موحدة اى ذو شنب وهو كما في النهاية بياض وبريق وصفا وتحديد في الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحزيز فيها وسيل روبة عن قول ذي الرمة • لميا في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب • فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اى انه صفا وما فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن اراد الشبه بمن لا يشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله يا بارقا بارقا على الرقمتين بدا • لقد حكيت ولكن فاتك الشنب مفلج الاسنان تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو انقى للفم واطيب وفي حديث على كرم الله وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان او المراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام ويشبه به تقارب الاسنان مع عدم التلاصق كقوله مالي به مع قرب داره ملتقى فهل رايت ثغره المفلجا • دقيق المسربة بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة ورا مهملة مضمومة وموحدة مفتوحة تليها ها وهو شعر كالخيط سايل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل كان عنقه جيد دمية الجيد العنق الا ان السهيلي قال ان العنق يستعمل في غير المدح والجيد يستعمل في مقام بخلافه وان قوله في جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها وما هنا على اصل اللغة لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهي الصورة من رخام او عاج والمراد كثرة بياضه وطوله ويؤيده ما روى من ان عنقه صلى الله عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه هنا قوله في صفاء الفضة اى بياضها الخالص وهذا يؤيده ما مر من انه عليه الصلاة والسلام ليس بالاسمر وانما شبه بالدمية لان صانعها يبالغ في تحسينها ولهذا ضرب بها المثل معتدل الخلق بفتح فسكون اى متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضا مستقيم في احسن تقويم بادنا اى ضخم البدن غير دقيق الاعضا صغيرها واردفه بقوله متماسكا اى كان اعضاءه تمسك بعضها بعضا لشدة ارتباطه به وتناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدا مقدر سوا البطن والصدر اى متساويهما لم يرتفع احدهما على الاخر مشيح الصدر بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحا مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه بعيد ما بين المنكبين تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وما اخره با موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد ببعدهما سعتهما وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة ضخم الكراديس جمع كردوس وهو راس العظم او ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس انور المتجرد اسم مفعول يعنى

ضليع

ما خفى من البدن من المتجرد وهو الكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان
ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاة الهوا والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد فى وصفه
صلى الله عليه وسلم انه اجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة و
المساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطى فى شرح البردة قال بعض الصحابة رايت ساق النبى
صلى الله عليه وسلم فى غزاة وكان ... كانه جمارة يعنى فى بياض الكون والطراوة فان قلت الوارد
فى صفته صلى الله عليه وسلم انه ازهر اللون اى مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص قلت
يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى موصول ما بين
اللبة بفتح اللام وتشديد البا الموحدة وهى النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما
موصولة لا زائدة والسرة وهى موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر بشعر متعلق بموصو
يجرى كالخط وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كما جار والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة
وفى الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهى النقرة التى فوق الصدر
نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا عارى الثديين تثنية ثدى بفتح المثلثة
وكسرها تذكر وتونث وروى الثدوتين بالمثلثة ونون وهما بمعنى قال الجوهرى الثدى
يكون للرجل والمراة ووافقه الصاغانى وفى درة الغواص الثدى خاص بالمراة والذى
للرجل ثندوة وهو غير مهموز كترقوة على فعلوة وهو معنى الثدى او راسه فان ضمت
همزة وهو فعلوة ففيه تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعا لبعض اهل العصر
صوب بعضهم رواية الثندوتين وزعم ان غيره خطا لعدم ثبوته فى اللغة وما قيل
من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريهما انهما لا شعر عليهما وقيل لا لحم عليهما كما لمنبانى من انه
اشعر الخ وفيه نظر لانه لم يذكر فيه ان على ثدييه شعرا كما تسمعه قريبا ما سوى ذلك اى ما سوى
الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروى ما سوى ذلك وهو
اظهر اشعر اى كثير الشعر فى الذراعين بكسر الذال المعجمة ما بين المرفق وطرف الاصابع والمنكبين
تقدم بيانهما واعالى الصدر طويل الزندين تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف
وطرفاه الكوع وهو راس الذراع مما يلى الابهام والكرسوع وهو راسه مما يلى الخنصر وهما
العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع ... بعضه ولذا وصفه بالطول
رحب الراحة اى واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع
شثن بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلى لحما ويؤيده انه ورد
فى رواية انه ضخم الكفين والقدمين وما فى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ
والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى انامله غلظ بلا قصر وذلك
محمود فى الرجال دون النسا لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه عليه
الصلاة والسلام ممتلية لحما وهى مع ... لينة وفى حديث انس رضى الله عليه وسلم ما مسست
حريرا الين من كفه عليه الصلاة والسلام وقال الاصمعى الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق

عليه

عليه ولا حاجة لتاويله بانه لا مر عارض فى اسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف
لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولا ينافيه قوله
سايل الاطراف وبسط الكفين او سبط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم
مغرسهما فليست داخلة فى معناها ومعنى سايل باللام طويل فكانه شبهها بعيون سالت من برك
لطولها وصفايها وبياضها ولينها لان راحته صلى الله عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت
فى قصيدتى الهمزية • منبع الماء من اصابع كفه • بايادٍ ما غاض فيها المياء • لا تقسها على اصابع بحر
كم لكسر من حينها وفاء • او قال ساين الاطراف شك من الراوى فى قول ابن ابى هالة انه قال
ما تقدم او قال ساين بنون مبدلة من اللام كما ياتى وقالوا جبريل وجبرين واسمعيل واسمعين
وساين الاطراف بالسين المهملة مكان اللام ومعناه باق او جسيم وليس الثانى خطا كما قاله الحريرى
وتبعه فى الفرج الجديد كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين
اى ضخم اطرافه كلها وليس هذا لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج كما قيل وقد ضبب فى النسخ
على قوله ساين بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة كما ياتى فى تغييرها كما قاله فى المقتفى
وجا هذا فى بعض الروايات من غير شك سبط العصب سبط بسكون البا الموحدة وكسرها
بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتوّ كما فى النهاية والعصب وقع فى اصل البرهان بعين وصاد مهملتين
كما ضبط ابن الانبارى والذى اتفق عليه ابن الاثير والهروى انه القصب بالقاف لا بالعين
والمراد بالقصب ساعداه وساقاه وفى القرسيى كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة
وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تمتدح به كما قال فجاءت به سبط العظام كانما • عمامته بين
الرجال لواء • لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما عتد فى البدن لربط
الاعضاء وتحريكها كما بين فى علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به هنا عظام الساقين
والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا خمصان الاخمصين
خمصان بضم الخا المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم
هنا وبهما ضبط لفظ الشفا ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافى عن الارض المرتفع
والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته
العقب ومقدم القدم ويسمى به لضموره ودخوله ولما كان اخمص القدم قد يطلق على ما يلى
الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد
به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا وجعله قليل البل فقد قال ابن الاعرابى
اذا كان خميص الاخمص لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا
فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسياتى ما ينافى
هذا يعنى قوله مسيح القدمين قال البا ذرى فى كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين
متجافى القدم وهو الموضع الذى لا تنال الارض من وسط القدم وقوله مسيح القدمين ينبو
عنهما الماء قال المص فيما ياتى اى املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلافه

فيه اذا وطى بقدميه وطى بكليهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمي
عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح لا لحم عليهما وهو مخالف لقوله
شثن القدمين انتهى واقره صاحب المقتفى وفي النهر الجديد في النهاية معنى مسيح القدمين انهما ملساوان
لينان ليس فيهما تكسر ولا انشقاق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب العلى وقال
ابن الحنبلي في شرح قصيدة الصرصري النونية ليس المسيح باطن القدمين الذي هو محل الخمصان بل ظاهر
الملكة فلا تعارض بين العبارتين بباطن القدمين الذي هو محل الخمصان اقول ــــ هذا كله
خلط منهما وليت شعري ما يقول في حديث ابي هريرة الذي نقله الباذري فالاشكال الذي ذكره
البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به
مفارقة الما وانصبابه مجازا وانشد واهنا لبعضهم يا رب بالقدم التي اوطاتها • من قاب قوسين
المحال الاعظما • وبحرمة القدم التي جعلت لها • كتف المويد بالرسالة سلما • ثبت على متن الصراط
تكرما • قدمي وكن لي منقذا ومسلما • واجعلهما ذخري فمن كانا له • ذخرا فليس يخاف قط جهنما
والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم علي رضي الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم
اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح
بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفي بعض النسخ منيح بضم الميم و
معجمة ولم يفسروه وكانها تحريف من الناسخ او معناها خفيف المشي اذا زال زال تقلعا وروى
اذا مشى تقلع اي رفع رجليه رفعا قويا لا التثبت في مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب
خطاوه من غير اختيال واسراع كما ورد من قوله الاتي كانما ينحط من صبب وروى اذا زال
زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروى بالضم ايضا ويخطو تكفا اي اذا مد خطاه
يميل الى قدامه كمن يتكفأ وتكفوا ان همز فتحت فاوه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة
حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الاخر ويمشي
هونا بفتح الهاء اي اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتي لانه ممدوح قال تعالى يمشون على الارض
هونا ذريع المشية بفتح الذال المعجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو اي ما بين قدميه
واسع فمع عدم سرعته يساوي مشيه المشي السريع او يفوقه كانما ينحط من صبب اي ينحدر
من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهوله وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على
الحقيقة وانما هو كالمنحدر في السرعة والسهولة واذا التفت التفت جميعا اي اذا اراد ان
يدور لما خلفه او في جانبه لا يلوي عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير
مسارقة نظر فانه خفة وطيش خافض الطرف مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى
الخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله نظره في الارض اطول من نظره الى السماء
يعني ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره في جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا
مخصوصا بالصلاة والدعا فانه مكروه فيهما ولا ينافي هذا قوله قد نرى تقلب وجهك في السما
لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ قد جل نظره الملاحظة جل بضم الجيم بمعنى المعظم

والاكثر والملاحظة النظر باللحظ وهو طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق وماق
اي ينظر طرف عينه تادبا وحيا يسوق اصحابه اي يمشي خلفهم وفي ساقهم ولا يدع احدا يمشي خلفه
كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله عليه وسلم يقول خلوا ظهري للملائكة وفي قوله نسوق اشارة
الى انه هو الحافظ لهم فما قيل من انه لا يتقدم الصغار الكبار الا اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا ليس
على وفق السنة ويبدو من لقيه بالسلام لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء
وتحية وهي تحية اهل الجنة كما ورد في السنة فهو دعا بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا
بمعنى ان الله معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لا واجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لا يعتد به
ورده فرض كفاية لا على كل احد لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم الشر فيجب
دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله عليه وسلم تواضع ولطف مناسبة لما نحن فيه من حسن الخلق
قال الحسن رضي الله عنه هذا الحديث قلت ــــ لخالي هند بن ابي هالة رضي الله عنه صف لي
منطقه مصدر ميمي اي نطقه وكلامه صلى الله عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى واما
قول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر لقد نطق اليوم الحمام لنطرب
فلتنزيله منزلته لفهم سليمان عليه الصلاة والسلام منه معنى ولادعا السمع الى شوقه وطربه كما قاله الجوهري
قال كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب قوله
الاتي ولا يتكلم في غير حاجة فكانه قال كان كلامه موخرا قليلا وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح وبطر
بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية قول ابن ابي هالة متواصل الاحزان الخ لم يثبت عنه وفي سنده
مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن وطلبه ونهاه عنه بقوله ولا تحزن وغفر له ما تقدم وما
تاخر فلا خوف عليه ولا حزن في الدنيا والاخرة فمن اين ياتيه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله عليه وسلم
بانه كان دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن ومراد الهم ما يأتي والحزن
على ما مضى وقال ابن تيمية في حديث ابن ابي هالة انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر
متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوب او حضور مكروه فانه لم يكن من حاله
صلى الله عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب
انتهى قيل ولم ينه عن ذلك لانه ليس باختيار وانما نهى عن تعاطي اسبابه كما قيل
ومن سره ان لا يرى ما يسوءه • فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا • انتهى وقال ابن قيم
الجوزية في شرح منازل السائلين ليس الحزن من منازل السالكين وقد ورد النهي عنه فقال
ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المومن يسر الشيطان لانه مفتر العزم
ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الاية وهو من المصايب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم
يثبت اقول ــــ هذا تطويل بغير طائل وانكار وورد الحديث مردود لانه ثابت كما قاله
الحفاظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما هو بين فلا يضر والمراد
انه صلى الله عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال كونه لكثرة افكاره في امور امته واحوالهم كما يدل
عليه قوله دائم الفكر ليس له راحة وكيف لا وقد قاسى صلى الله عليه وسلم في التبليغ ما لا يوصف

ابن الحنبلي

واما وصفه صلى الله عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو في حال اخر فهو مخاطبته للناس والنظر في امورهم
ولا يتكلم في غير حاجة له صلى الله عليه وسلم او لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
طويل السكوت كما لا يجدى نفعا لكثرة افكاره صلى الله عليه وسلم ودوام اذكاره يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جوانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة
على فصاحته صلى الله عليه وسلم كما مر وهو مما يتمدح به العرب واما قوله صلى الله عليه وسلم
ابغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلم كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه
من صفة الذم ولا مدخل في الجواب ويتكلم بجوامع الكلم وهي الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم
النافعة السايرة مسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القران فصلا بفتح الفاء وسكون
الصاد المهملة اى كلاما مخصوصة وفارقا بين الحق والباطل لا فضول فيه اى لا زيادة فيه
على المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فصل خص بما ذكر ونقل لمعنى اخر ولذا نسب اليه
فقيل فضولى كما في المغرب ولا تقصير فيما يريده بتقليل مخل بالفهم دمثا بفتح الدال المهملة
وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة وهي سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهي ذات
الرمل المتلبد اى لين الخلق لطيف المعاملة ليس بالجافي اى ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفا
او لم يكن يجفو اصحابه ولا المهين روى بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة اى
لم يكن صلى الله عليه وسلم يهين احدا من الناس والثاني من المهانة وهي الحقارة والميم اصلية اى
لم يكن صلى الله عليه وسلم حقيرا متذللا لاحد من الناس لغرفه نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته
صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه يعظم النعمة وان دقت اى يعد كل ما انعم الله
به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت صغرت وقلت ولا يذم شيئا اى شيئا يستحق الذم
لم يكن يذم ذواقا بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال مصدر ذاق بمعنى
ما يذاق من ماكول ومشروب فما قدم له صلى الله عليه وسلم من طعام ونحوه ان اعجبه اكل منه والا
كف يده ولا يقول فيه شيء فلا يذمه ولا يمدحه ولا يقام لغضبه من قام اذا ثبت اى لا يثبت له
احد ومن قام بمعنى دام اى لا يدوم احد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول
وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يغضب لله احيانا وقد ورد ما يدل على ذلك
اذا تعرض للحق بشيء بضم التاء الفوقية والعين والراء المهملتين المشددة والضاد المعجمة
اى اذا تعرض احد للحق بما يبطله او يقتضي خلافه بشيء بالباء الجارة واللام وعامله اما يقام
او تعرض حتى ينتصر له اى للحق فيؤيده ويبطل خلافه ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اى اذا
اذاه احد من الاعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالاعرابي الذي امسكه صلى الله عليه وسلم
برداءه ولببه والذي قال ان هذه قسمة غير عادلة ونحو ذلك كلام بعض المنافقين ابن ابى
بن سلول راس المنافقين وما كان يصدر منه اذا اشار اشار بكفه كلها اى اذا اشار لشيء خارج
الصلاة اشار برفع يده واما في الصلاة واذا اشار للتوحيد اشار باصبع السبابة والمسبحة
ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله عليه وسلم اشارات اخر نبه عليها بقوله واذا تعجب قلبها اى

نه كعبد الله ابن صح

قلب

قلب كفه وجعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض وتانيث الكف لانها مؤنث سماعي وهو اشارة لانقلاب
الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه صلى الله عليه وسلم وعدم خفته
وهو امر ممدوح واذا تحدث افصل بها في شرح الدلجي بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف
اى وجه كفه من فصل علينا اذا خرج من طريق او ظهر من حجاب قاصدا بها اى بكفه ولم يبينه
غيره ووقع في بعض النسخ اتصل بها اى بمثناة فوقية بدل الفاء وفي حاشية التلمساني وللحديث
يتصل بها اى لا يزال يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية
وفي العبارة ثلثة وجوه افصل واتصل ويتصل والمعنى انه صلى الله عليه وسلم فصل حديثه بالاشارة
بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه في امر مهم اقول هذا كلامه مع غموضه
غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره الدلجي من انه افصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع في هذه المادة
مزيد بزنة اكرم فالصواب فصل او اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته
او وصل احدى يديه بالاخرى ثم رايته في كتاب النعمة في الصلاة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث
وان اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير
بالمسبحة للتوحيد ويجمع لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا احدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له
والظاهر ان الفاء في قوله فضرب تفصيلية كقوله ونادى نوح ربه فقال الخ ولم يبينوا معناه والظاهر
ان المعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه متعارف كالاشارة
للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه
او انتهايه فاعرفه وقوله فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى كذا في اكثر الروايات وفي بعضها فضرب
براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا
وهذا عادتهم واذا تحدثوا واذا غضب اعرض عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله
عليه وسلم واشاح بشين معجمة وحاء مهملة بينهما الف قيل معناه صرف وجهه فهو تاكيد لما قبله
وقيل معناه قبض وجهه ومن رواه من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله عليه وسلم
فلا يقال كيف ادرج هذا في صفات المدح فيجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله عليه وسلم
للسايل لان القاصر اياه وسيالى من المص تفسيره بما يقارب هذا وقيل ان في النهاية ان الشيح
الحذر والجاد في الامر والمقبل عليك المانع لما وراء ظهره وفي حديث سطيح اقبل على جمل مشيح اى جاد
مسرع فيجوز ان يريد احد هذه المعاني اى حذر من موجب غضبه او حذر في الامر ليشعر
باعراضه عن موجب غضبه او قبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف
مخالف لما اختاره المص مما هو الظاهر هنا واذا فرح لرؤية ما يسره او سماعه غض طرفه اى
ارخاه واطرق تباعدا من الاشر والمرح جل ضحكه التبسم اى اكثره وقد تقدم بيانه وقد
يضحك صلى الله عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادي الضحك ويفتر بفتح اليا
وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه
قال يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب وهو من فررت الدابة

نه الاني صح

ابن اقرس

خاکسار و کاشف

اذا كشفت فيها التعرف سنها من نهايا وذلك هو الفراد بالضم عن مثل حب الغمام متعلق بيفتر
والغمام السحاب واحدة غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لا قطر المطر كما توهم فانه
مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب الجامد دون السايل وتشبيه اسنانه صلى الله عليه وسلم
به لصفايه ولمعانه ورطوبته دون جريه حتى يقال انه لنوع منه وهو مشهور في كلامهم كما مر
قال الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما فكتمتها اى اخفيت صفاته صلى الله عليه
وسلم التي سمعتها من ابن ابى هالة الحسين مفعول ثان لكتم وفي نسخة عن الحسين بن على زمانا
مدة من الزمان ثم حدثته بما سمعته من صفته صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني اليه اى
الى الحديث المعلوم من قوله حدثته اى حفظه قبلى لانه رواه عن ابيه على رضى الله تعالى عنهما
فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وفي نسخة وملبسه
بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر والا بان كان اسم زمان او مكان فالمراد
مسألته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد خروجه صلى الله عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلو
عندهم كما ياتى وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وان ما ذكر لتعرف جميع احواله يعنى
الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابى هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها
من خاله فلما حدثه بها وجد عنده علما منها علم انها من طريق وهى رواية لها عن امير المؤمنين ابيه
مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم عن اهله لانه لم يساله ولم ينحصر علمه فيها ولو كانت
كذلك دخل في حديث من كتم علما الجمه الله بلجام من نار او انه انما كتم عنه كلام ابن ابى هالة الوصاف
البليغ دون معناه لعلم اهل البيت بذلك فان البيت والحديث لهم وشكله بفتح اوله اى
هيئته في ذلك الحال وبكسره بمعنى الهدى والسمت قال التلمساني فلم يدع من ذلك شيئا اى لم
يترك شيا من احواله الا بينه له قال الحسين سالت ابى عليا رضى الله عنه عن دخول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه اى دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه وقضا ما دبه
وقيلولته ماذونا له في ذلك من الله اذنا عاما بحيث يدخل اى بيت من بيوته في اى وقت من غير
استيذان من زوجاته رضى الله عنهن لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخو
بيوت اصحابه رضى الله عنهم وهو بعيد لقوله فكان اذا اوى الاصح قصره ويجوز مده الى منزله جزا
دخوله اى قسم زمن دخوله بيته ثلثة اجزاء جزا لله اى لعبادته والتفكر في ملكوته وجزا لاهله
يدبر فيه امورهم ويصلحها ويتلطف بهم وجزا لنفسه من ماكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به
لقوله ثم جزا جزاه بينه وبين الناس اى قسم الزمن الذى جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا
بذاته واحواله في نفسه وجزا اخر للناس وساير الامة وهو في منزله ولا يلاقيه فيه الا اهله وخواص
اصحابه الذين يؤذن لهم في الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه ثم فلذا قال فرد ذلك على العامة
بالخاصة يرد بمعنى يوصل ويعطى كانه لما كان لهم حق في الجملة اخذه منهم ثم رده اليهم وقيل معناه يستعين
لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك
لشارة لما فهم من السياق وهو جزا الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة

الفقر

بما سمعته منه صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم والبا في بالخاصة للسببية وكونها للبدل
كقوله فليت لى بهم قوما اذا ركبوا بعيد لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد للخاصة
وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى بدل يرد بذل بالمعجمة والمهملة مع ضم اليا المثناة
التحتية وفتحها فيهما ولا يدخر عنهم شيا اى عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين
عليه صلى الله عليه وسلم والمال واحد ويدخر بدال مهملة مشددة واصله يذتخر بذال معجمة وتا
افتعال من الذخر قلبت تاؤه دالا وداله دالا وفعل به ما علم من كتب الصرف وكذا امثاله مما ذكر ويجوز
يذخر بالمعجمة وخا مشددة فكان من سيرته في جزا الامة وهو الجزا الذى جعله للناس
وافرد مما كان لنفسه اى كان دابه صلى الله عليه وسلم وعادته في هذا الجزا ايثار اهل الفضل
باذنه الايثار تقديم ما يوثره على غيره والمراد بإذنه انه ياذن لهم في الدخول في خلوته في بيته
كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل اغنيا الصحابة رضى الله عنهم والفضل زيادة مالهم
على حاجتهم والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ياذن لهم ان يوثر وا بصدقاتهم اقرباءهم كما وقع لابى طلحة
رضى الله عنه في بيرحا تكلف اوقعه فيه قوله وقسمه على قدر فضلهم في الدين فتوهم ان
المراد تقسيم المال والعطا وليس كذلك وانما معناه قسمه جزئيه في خدمته معهم واشتغاله باحوالهم
وقوله في الدين لان اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفي بعض
النسخ وقسمه بدون تا فمنهم بين سبب تفاوتهم بقوله منهم ذو الحاجة الواحدة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج الثلاثة فاكثر فيتشاغل بهم اى بقضا حوائجهم وارشادهم لما يصلح معاشهم
ومعادهم ويشغلهم بفتح اليا المثناة التحتية مضارع شغل واما اشغل فلغة ردية كما مر
اى يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما امرهم فيما اصلحهم وفي نسخة يصلحهم اى ما فيه
صلاحهم والامة بالنصب اى واصلح الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته صلى الله عليه وسلم
بحالهم من مسألته عنهم وهو بيان لما اى سواله عن احوالهم ودوى مسالتهم اى الخاصة ذوى الفضل
واخبارهم اى اخبار ذوى الفضل بالذى ينبغى لهم اى يليق ويناسب حال المسؤول عنهم
من الامة وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغى ان يكون كذا فهو على وجهين
احدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغى ان تحرق الثانى الاسهال نحو فلان ينبغى ان
يعطى لكرمه قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ويقول صلى الله عليه وسلم لمن حضر
عنده ليبلغ الشاهد امر وهو امر للوجوب في الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة
ذكر الاتباع بعده ويجوز تشديدها والاول اصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته
بقوله الغايب وهو من لم يكن حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة والغايب من صغارهم
او هم الصحابة والتابعون قيل ويحتمل ان يراد العالم والجاهل واهل الحضر والبادية والسامع
ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية او هى تاويلات وتعميم لمفهوم قابل
وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها اى حاجة ودوى ابلاغ حاجة وهو تعميم بعد تخصيص
للترغيب والحث وبيان لسبب الامر فانه اى الامر والشان من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع

ابلاغها قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة ذى حاجة نجاه الله العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم والا فهو اجل من ان يكون ملكا وسلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك قلت فيه نظر
وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه
وفى حكمه بالسلطنة والفتيا والقضا المذكور فى القواعد للسبكى كما سياتى وهذا مستقل رواه
الاصبهانى وفى بعض الفاظه اختلاف ثبت الله قدميه يوم القيمة على الصراط يوم تزل الاقدام
كما ورد مصرحا فى رواية ابن ابى الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة اخيه فهو جزا من جنس العمل
وهو من كناية عن نجاته من اهوال الموقف ولا يذكر عنده اى لا يذكر فى مجلسه صلى الله عليه وسلم الا ذلك
الكناية لجميع ما تقدم من ذكر مصالحهم وسواله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه
ولا يقبل بالبنا للفاعل والمفعول غيره اى لا يرضى كلاما غيره يكون من هذا القبيل وقال اى على
رضى الله عنه فى رواية فى حديث سفيان بن وكيع بن الجراح ابو محمد الكوفى وهو امام حافظ روى عنه
الترمذى والدارقطنى وغيرهما توفى سنة سبع واربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله
يدخلون اى اصحابه رضى الله عنهم روادا بضم الراء المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة جمع رائد
واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلأ فاستعير هنا للطالبين لحوائج
حاجتهم وما يرشدهم وقيل يتحيون وقت الوصول اليه وقال التلمسانى ان رواد بكسر الراء وتخفيف
الواو مصدر ويروى لواذا بلام وذال معجمة اى ملتجئين لائذين به ولا يتفرقون من مجلسه عليه
الصلاة والسلام الا عن ذواق بفتح الذال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق
بمعنى المذوق وهو الماكول فاستعير للعلم الذى يتعلمونه ويحتمل انه يريد حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم
كان عادته ان يطعم شيا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة المذوق
كما قال الراغب وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا طراز المجالس اى
لا يتفرقون الا عن علم وادب هو غذا لارواحهم وسبب لبقائهم ويخرجون من عنده صلى الله عليه وسلم
ادلة يعنى فقهاء عالمين بامور الدين اى هداة مرشدين للناس ويهتدين بهم غيرهم فادلة جمع دليل
بمعنى هادى او بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضى الله عنهم كلهم مجتهدون خلافا
لبعض الحنفية كما فى تحرير ابن الهمام قلت قائله الحسين لابيه رضى الله عنهما فاخبرنى عن مخرجه اى عن حاله
صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من منزله كيف كان يصنع فيه بعد خروجه منه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره يخزن لسانه بالخاء
وضم الزاى المعجمتين والنون اى يصونه ومنه الخزانة لانه لا يحب كثرة الكلام قال ان المرء لم يخزن
عليه لسانه فليس على شئ سواه بخزان ولما فيه من المنع عداه بمن فقال الا بما يعنيهم وفى نسخة الا فيما
يعنيه بفتح المثناة التحتية اى يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه وزواجره ويولفهم ولا ينفرهم اى يجعلهم
موتلفين به غير متفرقين عنه لمداراته ولطفه بهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك او يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة بينهم يكرم كريم كل قوم كما قال
اكرموا عزيز قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الكرام ويوليه عليهم اى يجعله حاكما عليهم فلا يولى